سيرة الغزالي

وأقوال المتقدمين فيه

جمعه وحققه

عبد الكريم العثمان

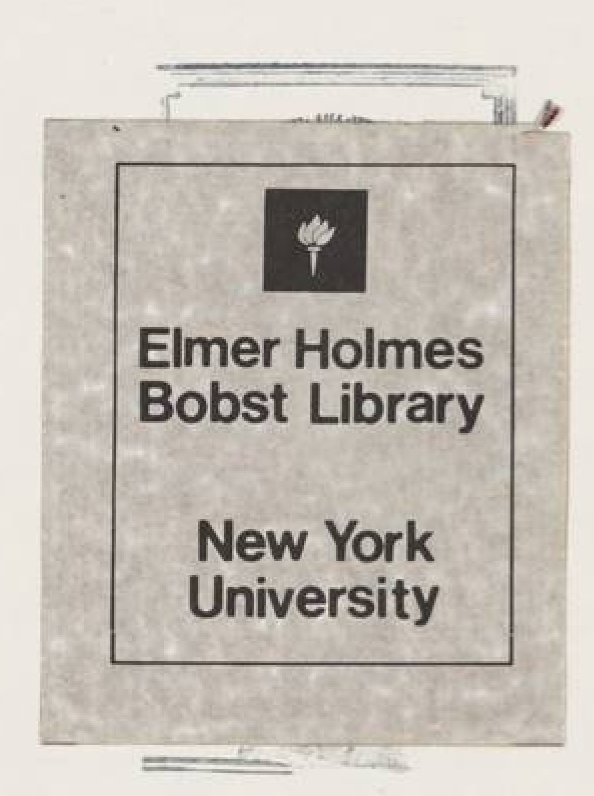
قدّم له

الدكتور أحمد فؤاد الأهواني

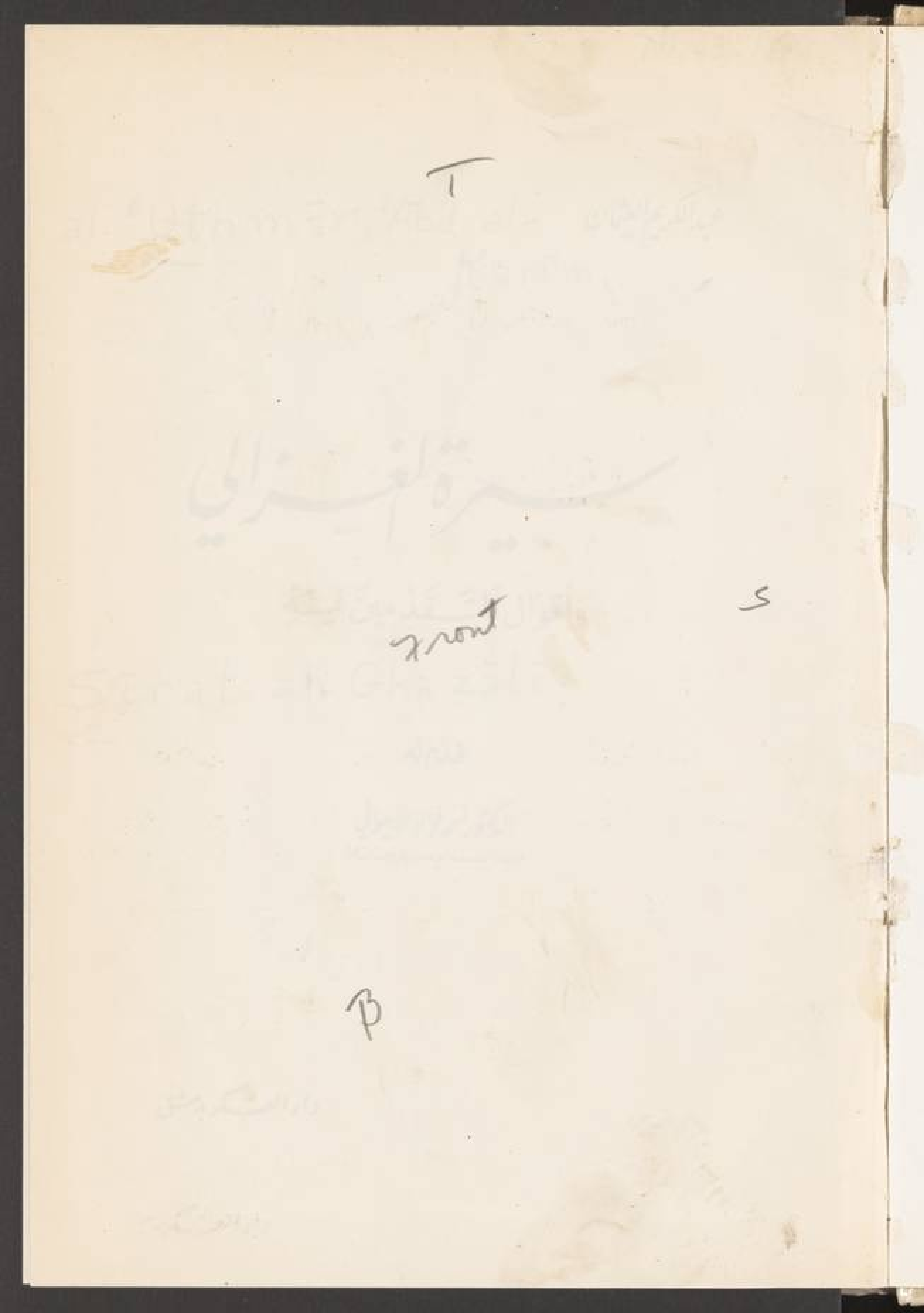
أستاذ الفلسفة الإسلامية بجامعة القاهرة

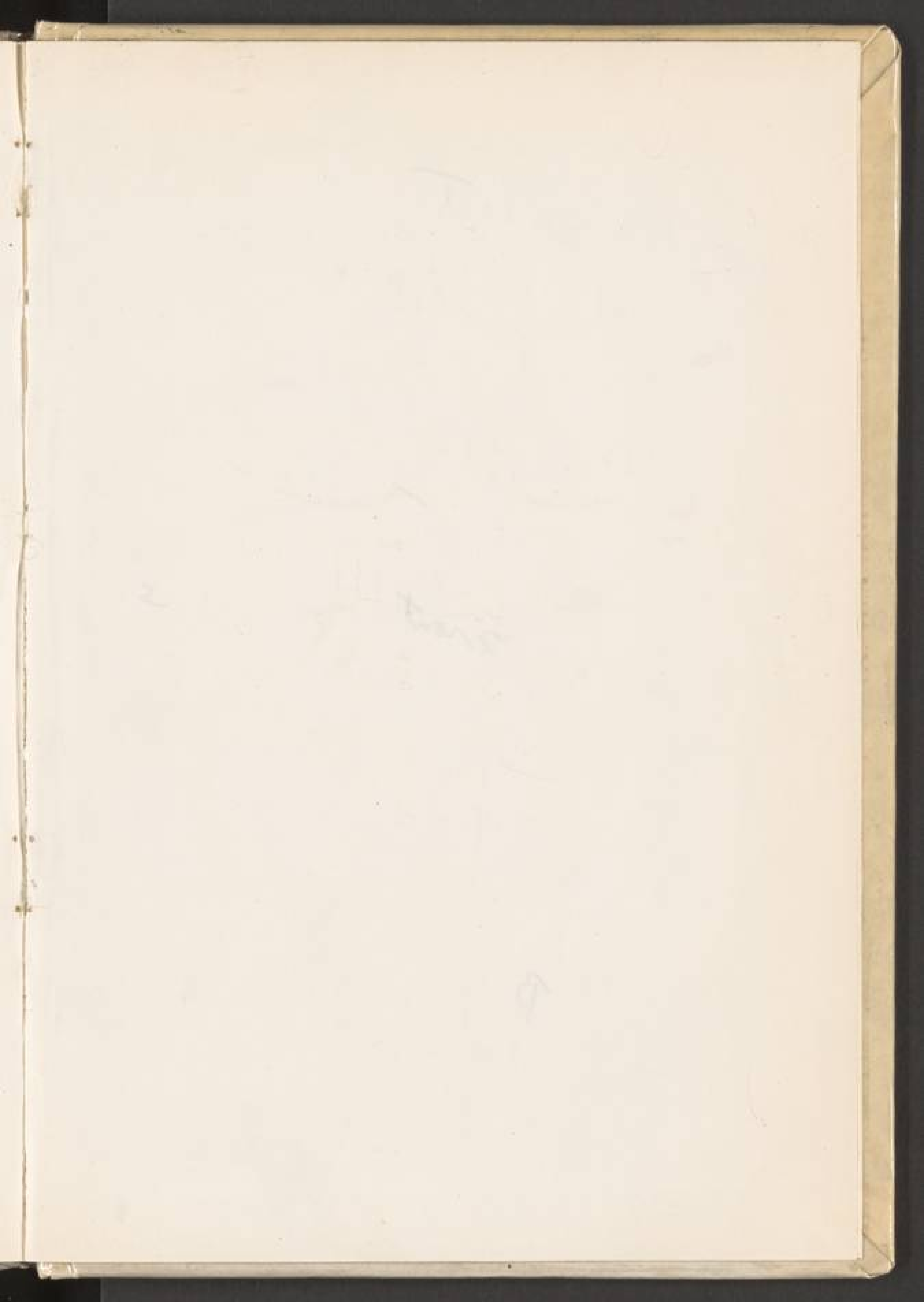
دار الفكر بدمشق


BOBST LIBRARY
3 1142 01675 9501


Elmer Holmes
Bobst Library
New York
University

DATE DUE	DATE DUE


front



عبد الكريم العثمان

سيرة الغزالي

وأقوال المتقدمين فيه

قدّم له

الدكتور أحمد فؤاد الأهواني
أستاذ الفلسفة الإسلامية بجامعة القاهرة

دار الفكر بدمشق

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الدكتور أحمد فؤاد الأهواني

استاذ الفلسفة الإسلامية بجامعة القاهرة

حجة الاسلام، أبو حامد الغزالي، من أبرز الشخصيات في تاريخ الفكر الاسلامي، — بل والعالمي — وأعظمها أثراً في حياة المسلمين العقلية والسلوكية على حد سواء. وعلى الرغم من هذه الشهرة وهذا الأثر لم يدرس من المحدثين بما يتفق مع منزلته، والكتب التي تناولت جوانب فكره في اللغة العربية قليلة جداً بالإضافة الى تلك المكانة. ولا شك أن البحث الذي يضطلع به الآن الاستاذ عبد الكريم عثمان عن «النفس عند الغزالي» تمهيداً للحصول على إجازة الماجستير من كلية الآداب بجامعة القاهرة، سيكون ذا أثر في الكشف عن ناحية من أهم نواحي فلسفة حجة الاسلام. والبحث في النفس هو حجر الزاوية في فلسفة الغزالي، كما أنه المحور الذي تدور عليه كل فلسفة، ويقتضي الخوض في جميع مؤلفات أبي حامد، كما يتطلب النظر في سيرته، للتعريف به من جهة ومعرفة ما كان لحياته الخاصة من أثر في نظريته النفسانية من جهة أخرى.

ومن أجل ذلك بدأ الأستاذ عبد الكريم بالبداية، فبحث في سيرته، ما كتبه

حجة الاسلام عن نفسه في المنقذ من الضلال ، وما كتبه المؤرخون وأصحاب الطبقات . ثم جمع مؤلفاته وأحصاها ، ماطبع منها ، ومازال مخطوطاً .

ولكنه لايحتاج في مقدمة بحثه عن الغزالي ، وكتابة شيء عن سيرته الى المادة الغزيرة التي ضم شتاتها ، وجمعها من مختلف مظانها ؛ ثم رأى أن المؤتمر الخاص بمرور تسعة قرون على ذكرى الغزالي سينعقد في دمشق هذا العام ، فوجد من المناسب أن يطبع هذه المادة مساهمة في ذكراه ، ولتكون مرجعاً لمن شاء أن يؤرخ لسيرته تأريخاً جديداً .

★ ★ ★

أقدم من أرخ للغزالي هو عبد الغافر الفارسي ، وكان معاصراً له ، ونقل معظم المتأخرين كلامه إما بنصه ، وإما باختصار . كذلك فعل السبكي في الطبقات ، وابن عساكر في تبيين كذب المفتري . وحيث كانت رواية الفارسي على هذه الأهمية ، فقد أفردها مصنف هذه السيرة ، وجعلها أول وصف لحجة الاسلام . ثم رتب أقاويل القدماء عن الغزالي متسلسلاً بعد ذلك حتى بلغ الزبيدي ؛ وحذف مانقلوه عن عبد الغافر الفارسي ، اكتفاءً بافراد ذلك النص في أول الكتاب . وبذلك يكتمل كل ماذكره القدماء عن الغزالي فيما يختص بحياته أمام الباحثين في هذا الجانب .

وقد وضعنا حجة الاسلام في موقف يتحتم على كل من يريد أن ينظر في سيرته أن ينزله منزلة الاعتبار ، وذلك حين أرخ لنفسه في « المنقذ من الضلال » . حقاً إنه لا يُعنى إلا يسيراً بالاشارة الى حياته الخاصة ، لأنه في المنقذ إنما يكتب السيرة الفلسفية ، وكيف تقلب في المذاهب الفلسفية المختلفة حتى انتهى به الأمر الى اصطناع طريق الصوفية . ولكنه مع ذلك سجل أطرافاً من أحداث الحياة ، وصروف الزمان ، والعلائق مع أصحاب السلطان ومع الناس ، ولو أنه لم يفصح ،

مكتفياً بالتلميح دون التصريح . ولهذا السبب كان المفيد ، بل من الواجب ، أن يرجع المؤرخ الحديث لحياته إلى هذه السيرة الشخصية ، ليرى مدى تطابقها مع ماذكره قدماء المؤرخين .

ولسنا بصدد الطريقة التي تكتب بها سيرته من خلال « المنقذ » ؛ ولكننا نود أن نعرض الخطوط العريضة التي يمكن في ضوئها تصوير حياة الغزالي ، بحسب روايات القدماء . وهي في نظرنا تقتضي تقسيم حياته إلى المراحل الآتية بحسب إقامته في مختلف العواصم :

١ — حياته في طوس :

وتقسم هذه الحياة مرحلتين ، الأولى أسرته ، وهي مالانكاد نعلم عنها شيئاً ، سوى ان أباه كان فقيراً لايملك شيئاً ، ولم يكن شيئاً مذكوراً . والمرحلة الثانية ماتلقاه الغزالي من تعليم شبيه بكافة ابناء المسلمين ، من حفظ القرآن ، وتعلم القراءة والكتابة ، ومايتبع ذلك من بعض النحو ، واللغة العربية ، والحساب . ثم دراسة الفقه على الراذكاني .

٢ — حياته في نيسابور :

تلمذته في هذه المدينة على إمام الحرمين الجويني ، وتفوقه في مجلسه ، ومايروى عن غيرة الجويني منه ، وهو شيء شبيه بما كان بين أرسطو واستاذه أفلاطون ، إن صحت رواية القدماء . وفي نيسابور اصطنع الغزالي بطريق الجويني مذهب الأشاعرة ، واطلع على المذاهب الكلامية ، وكذلك مذاهب الفلاسفة لما بين علم الكلام والفلسفة من صلة وثيقة .

٢ — في بغداد :

انتقل الغزالي من نيسابور الى العسكر حيث اتصل بنظام الملك ، ثم عين للتدريس في المدرسة النظامية ببغداد ، وألف في هذه الفترة كتبه في أصول الفقه ،

٤ — في مكة :

ثم قطع علائقه ببغداد ، وهرب منها ، وذهب الى الحجاز حاجاً في جوار بيت الله . وهذا في الواقع بدء انصرافه عن الدنيا وإقباله على الآخرة ، وتحوله من الاشتغال بالعلوم الدنيوية الى التصوف .

٦ — في دمشق :

ودخل الى الشام ، واستقر في دمشق حيث ألف اعظم كتبه وأعظمها أثراً في الفكر الاسلامي ، نعني « إحياء علوم الدين » ، وهو اكبر كتبه في التصوف، الى درجة ان ابن عساكر نقل « كتاب العقائد » برمته عن الاحياء ، عند التأريخ له ، وقد بلغ من شهرة الإحياء ، انّ كثيراً من اجزائه فصل على حدة ، واتخذ كتباً مستقلة . وهو الى ذلك فريد في تبويبه وترتيبه ، ويحوي جميع العلوم الشرعية والاجتماعية التي يحتاج اليها كل مسلم في حياته الدينية من شتى وجوهها .

٧ — العودة الى نيسابور:

ثم عاد الى خراسان ، واستقر في نيسابور مرة اخرى ، استجابةلرجاء فخر الملك . واشتغل بالتدريس وقد بلغ الذروة ، الى ان توفي سنة ٥٠٥ هجرية .

★ ★ ★

ونحن نرى أن من يريد التصدي لسيرة الغزالي على النحو الذي ذكرنا ، لابد له أن يحيط بالظروف التاريخية والاجتماعية والفكرية التي سادت العالم الاسلامي خلال القرن الخامس ، وبداية القرن السادس ، فلا نزاع ان الفيلسوف اذا كان خالقاً للمذاهب العقلية التي يهتدي بها قومه ، فانه الى جانب ذلك ، بل وقبل ذلك، من خلق البيئة العقلية نفسها ، وتعد آراؤه تعبيراً صادقاً أميناً لروح الأمة . وكانت هناك تيارات فكرية متعددة ، منها التيار العلمي الخالص كالبحث في الفلك

والرياضيات والطب والنبات والفلاحة والكيمياء؛ والتيار الفلسفي الذي بلغ أوجه، ممثلاً في فلسفة الشيخ الرئيس ، الذي أثّر أعظم الأثر في حياة المسلمين ، وسلموا بآرائه وعدوها الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . فلا غرابة ان ينهض الغزالي يرد على تلك الآراء ويبين بطلانها في كتابه « تهافت الفلاسفة » الذي يعتبر من أعظم الآثار الفلسفية التي كتبت في تاريخ الفكر ، سواء وافقت صاحبها على حججه أم لم توافقه .

وفي القرن الخامس أخذت آراء المعتزلة في الانزواء ، وحلت محلها مذاهب الأشاعرة ، التي بدأت بالأشعري ثم بالجويني ، ثم بالغزالي. وهكذا نجد ان حجة الاسلام كان أحد العمد التي قام عليها مذهب الأشاعرة ، بل انه يمثل اتجاهاً لم يكن موجوداً من قبل منذ ظهور ذلك المذهب . وقد فطن ابن خلدون الى هذا الاتجاه الجديد في المذهب الأشعري ، فقسم آراءهم قسمين بحسب الطريق الذي سار فيه كل فريق ، فطريق القدماء ينتهي عند الجويني والباقلاني ممن يعترفون بالأسباب والمسببات .وطريق المحدثين الذي فتح الغزالي بابه حين هدم الارتباط بين الاسباب والمسببات .

هذا فضلاً عن الاختلاف بين الشيعة وبين السنة ، وبين الفقهاء أنفسهم ، واشتداد ساعد المذاهب الصوفية التي نبتت في فارس ، واكتسبت ألواناً جديدة مع انتقالها الى بيئات أخرى .

وكان الغزالي إماماً صاحب مذهب في جميع النواحي ، فهو إمام في الفقه ، وصاحب اتجاه في علم الكلام ، وله موقف من الفلسفة يجعلنا نسلكه في زمرة الفلاسفة ، وشيخ من شيوخ الصوفية ولو أنه لم يكن صاحب طريقة وأتباع ومريدين. جدير إذن بمن يدرس الغزالي ان يبحث في تأثير البيئة ، أو قل البيئات

المختلفة التي عاش فيها ، على حياته الفكرية ، لمعرفة الصلة بين هذا التحول الواضح في حياته من فلسفة إلى كلام إلى فقه إلى تصوف ، وبين الظروف التاريخية التي وجد فيها .

ونرجو ان تيسر هذه السيرة التي تضم أقوال القدماء في حجة الاسلام البحث المنشود .

أحمد فؤاد الأهواني

المقدمة

كتب الشيخ مصطفى المراغي شيخ الجامع الأزهر يصف الغزالي وتنوع معرفته فقال « أما إذا ذكر الغزالي فقد تشعبت النواحي ولم يخطر في البال رجل واحد بل خطر بالبال رجال متعددون لكل واحد قدرته وقيمته .

يخطر في البال ، الغزالي الأصولي ، الحاذق الماهر ؛ والغزالي الفقيه الحر ؛ والغزالي المتكلم ، إمام السنة وحامي حماها ؛ والغزالي الاجتماعي ، الخبير بأحوال العالم ، وخفيات الضمائر ومكنونات القلوب ؛ والغزالي الفيلسوف ، الذي ناهض الفلسفة ، وكشف عما فيها من زخرف وزيف ؛ والغزالي المربي ؛ والغزالي الصوفي الزاهد .

وإن شئت فقل إنه يخطر بالبال رجل هو دائرة معارف عصره ، رجل متعطش الى معرفة كل شيء ، نهم الى جميع فروع المعرفة ..[1] »

والحقيقة انه من النادر أن تجد في تاريخ الفكر البشري إلا قليلاً ممن يماثل الغزالي في نهمه للمعرفة ، وجلده على البحث ، ورغبته في الوصول الى الحقيقة .

وقد كان طموحه الى معرفة الحقيقة دافعاً له الى تحصيل أكثر أنواع المعارف في عصره ، ونستطيع ان نلمس هذا من سجله الحافل عن حياته العقلية ، والذي أودعه كتابه « المنقذ من الضلال » ...

فقد تناول علم الكلام دراسة وتمحيصاً وتأليفاً ، ولم يكن فيه مجرد ناقل عن

---

(١) محمد فريد الرفاعي - الغزالي ص ٩ ومابعدها .

الأشعري سالكاً في سبيله، بل كان يغلب رأياً على آخر ويقذف بالرأي الجديد ولو أغضب الأشاعرة.

وعمد الى الفلسفة فقتلها بحثاً وتنقيباً، وخرج من دراستها بتآليف عدة، وكتابه «مقاصد الفلاسفة» يعتبر من أحسن الكتب التي تلخص وضع الفلسفة آنذاك، كما يُنظر الى كتابه «تهافت الفلاسفة» كحدث فكري فاصل في التاريخ الفلسفي.

ولم يكن شغفه بمعرفة مذاهب التعليمية، أو الباطنية بأقل قوة، خاصة وان الباطنية استشرت في زمنه وباتت تهدد العالم الاسلامي وتفرض إرهاباً أسود عليه، وحتى كادت ان ترسي قواعدها كاتجاه فكري قوي، لذلك عمد بعد دراستها الى التأليف فيها شارحاً حقيقتها، مهاجماً لها مبيناً خطرها.

وكان في دراساته متطلعاً دائماً الى يقين عقلي، وهدوء نفسي وقد وجد هذا في الصوفية فكرة وسلوكاً.

ولم يكن بعد هذا كله مقصراً في الدراسات الفقهية، فقد ألف في الأصول، وفي الفقه الشافعي كتباً تعتبر حتى الآن من أمهات كتب هذا المذهب كالوجيز والوسيط والبسيط والخلاصة.

ومن مطالعة القوائم المتعددة التي وضعها الباحثون لكتب الغزالي نستطيع ان نعلم أي مدى من السعة والتنوع بلغه هذا الرجل في المعرفة.

فقد استطاع ان يلم بثقافة عصره كلها تقريباً:

قرأ كتب الفلاسفة، رسائل إخوان الصفا، ومؤلفات الفارابي (٣٣٩ هـ) وابن سينا (٤٢٨) ومسكويه (٤٢١) وأخذ عن هذين الأخيرين كثيراً من آرائها الفلسفية وخاصة من كتاب النجاة لابن سينا، وكتاب تهذيب الأخلاق لمسكويه.

واستفاد من كتب الصوفية وخاصة من آثار أبي طالب المكي (٣٨٦) صاحب

قوت القلوب ، والقشيري (٤٦٥) صاحب الرسالة المشهورة ، والمحاسبي والجنيد وغيرهم .

ولا شك أنه استفاد من القرآن الكريم ، ومن الحديث الشريف ، وان كان ضعيف الرواية والنقل للحديث وقد عكف عليه في آخر عمره ليعوض مافاته منه .

كما أنه كان مطلعاً بصورة واسعة على الانجيل والآداب المسيحية ، لأنه كثيراً مايستشهد في كتبه والاخلاقي منها خاصة بأقوال وحوادث للسيد المسيح .

ولا بد أن نشير الى أنه كان حراً في انتفاعه من هذه الثقافات كلها ، مرنا في مقارنتها وهضمها ، واسع الصدر في مناقشتها وعرضها .

لم يمنعه تبنيه لآراء الأشاعرة في علم الكلام من أن يخرج على بعض آرائهم — كما قلنا — وفي أن يستبعد منها « المناقشات غير المجدية ، ويبعد الفضول الدقيق ، والزهو العقلي ، ويظهر الشعور الديني ببساطة ووضوح ، وانشراح صدر ، وعطف شديد الى روح الشعب ..[١] »

كما لم يمنعه تمذهبه بالمذهب الشافعي من ان يخالف الشافعية في بعض مايقولون به ، ويسير على طريق الاجتهاد في عدد من آرائه .

وسلوكه لطريق التصوف ، والخدمة العظيمة التي قدمها للصوفية التي كانت كما يقول مكدونالد « موجودة في الاسلام قبل الغزالي إلا أنها كان يُنظر اليها كأنها شيء مخالف للشرع مزر بمقام من يتبعه ، ولكن الغزالي لما ظهر في ميدان الحياة عزز الصوفية في تعاليمه أيما تعزيز ، وطبقها على الشرع وطبق الشرع عليها وزاد في تكريمها حتى صارت الصوفية ذات المكانة العليا بين عموم المسلمين السنيين بل بين جميع الفرق الاسلامية منذ ذلك الحين[٢] » .

«١» كارا روئو . الغزالي ص ١٠٣ «٢» الفواص واللآلي . زويمر ص ١٢٨

نقول ان الغزالي الصوفي في كثير من آرائه وسلوكه لم يقصر في مهاجمة الآراء الصوفية السائدة حينذاك والتي اعتقد أنها مجانبة للحق ، وخاصة فكرتي الحلول والاتحاد ..

كما أنه عقد فصلاً خاصاً في كتابه « الكشف والتبيين في غرور الخلق أجمعين » هاجم فيه الصوفية ونقدهم نقداً مراً ..

وكان يصدر في هذا كله عن فكرته عن التقليد والمقلدين فهو خصم عنيف للتقليد ولعل هذه الخصومة تبدو واضحة فيما كتبه في « فيصل التفرقة » « أما بعد فاني رأيتك أيها الأخ المشفق ، والصديق المتعصب ، موغر الصدر ، منقسم الفكر لما قرع سمعك من طعن طائفة من الحسدة على بعض كتبنا المصنفة في أسرار معاملات الدين وزعمهم أن فيها مايخالف مذهب الاصحاب المتقدمين والمشايخ المتكلمين، وأن العدول عن مذهب الاشعري ولو في قيد شبر كفر ، ومباينته ولو في شيء نزر ضلال وخسر ، فهون أيها الاخ المشفق المتعصب على نفسك ... واستصغر من بالكفر أو الضلال يعرف [1] .»

ثم يتابع حديثه فيقول « نخاطب نفسك وصاحبك ، وطالبه بحد الكفر فان زعم أن حد الكفر مايخالف مذهب الاشعري ، أو مذهب المعتزلي ، أو مذهب الحنبلي أوغيرهم ، فاعلم أنه غر بليد ، قد قيده التقليد [2] ..»

ولعل من المفيد أن نتابع الغزالي في هذه الساحة الفكرية فنقرأ حد الكفر والايمان عنده ، « الكفر هو تكذيب الرسول عليه السلام في شيء مما جاء به ، والايمان تصديقه في جميع ماجاء به .. [3] »

«١» فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة ـ الغزالي ـ الطبعة الاولى ص ٦ ـ ٨
«٢» الفيصل ص ١١ «٣» المرجع السابق ص ١٩

ويبين العلة في هذه السعة الفكرية في تعريف الايمان والكفر فيقول « وهذا لأن الكفر حكم شرعي كالرق والحرية مثلاً ، إذ معناه اباحة الدم ، والحكم بالخلود بالنار ، ومدركه شرعي فيدرك إما بنص وإما بقياس على منصوص ..[1]»

فالحقيقة هي من وراء الغزالي دائماً

واسمع الى حديثه في المنقذ شارحاً شجاعته في هجومه على مناهل المعرفة بغض النظر عن ألوانها وأشكالها « ولم أزل في عنفوان شبابي ، منذ داهمت البلوغ الى الآن وقد أناف السن على الخمسين أقتحم لجة هــذا البحر العميق ، وأخوض عزامته خوض الجسور ، لاخوض الجبان الحزور ، وأتوغل في كل مظلمة وأتهجم على كل مشكلة وأتقحم كل ورطة وأتقمص عن عقيدة كل فرقة وأستكشف أسرار كل طائفة لأميز بين محق ومبطل ومفتن ومبتدع[2]»

★ ★ ★

لا عجب والغزالي على هذا الشكل من الورود على مناهل المعرفة ، والهجوم على مايعتقد أنها تستحق النقد ، والوقوف بجانب مايعتقد أنه الحق من أن يكون محور دراسات كثيرة وممتعة بين الاقدمين والمحدثين والمعاصرين ، ولا عجب أيضاً أن تختلف آراء الناس فيه اختلافاً كبيراً .. ولا غرو أن نجد اذاً من يمدحه حتى تحسب أنه مغال في هذا المدح وأن تسمع ألقاب « حجة الاسلام » « زين الدين » وغيرها ، وأن تجد في نفس الوقت من يجعله مسئولاً عن تدهور الفطرة الاسلامية في نفوس المسلمين ، ولكن المعرفة لا تعدم منصفين يسلكون السبل ، وينوعون الحيل للوصول الى الحقيقة الصحيحة .

★ ★ ★

وسيعقد بعد أيام مؤتمر عن « الغزالي » يشرف عليه المجلس الاعلى للآداب

«١» المرجع السابق ص ٢٩ «٢» المنقذ ص ٦٥

والفنون دعا اليه المهتمين بالدراسات الاسلامية الفلسفي منها والفقهي من شتى أنحاء العالم.. ولأنني أعد بحثاً عن الغزالي فقد رأيت أن يكون لي نصيب ولو بسيط في الاسهام في التعريف بهذه الشخصية الفذة ، ووجدت أنه قد يكون من المفيد أن أقدم بين يدي هذا المؤتمر مجموعة من أبحاث رجال التاريخ والطبقات والسير ، التي تتناول حياته ، وعصره وما الى غير ذلك ...

وقد راعيت أن يكون بين هؤلاء ، المعاصر كعبد الغافر الفارسي ، والمتأخر قليلاً كابن عساكر ، وهكذا حتى القرن الثالث عشر الهجري .

وقد جمعت هذه الابحاث من عدد من الكتب المخطوطة ، والمطبوعة ، والمطبوع منها أغلبه — ان لم نقل كله — نادر مفقود .

وما أظن أن هذه المقالات غادرت شيئاً كثيراً من حياة هذا الرجل الشخصية والعقلية ...

وفي اعتقادي أن نشر هذه الابحاث من الضرورة بمكان ، لأنه يجعل أهم المراجع التي لا بد من العودة اليها للتأريخ للغزالي متيسرة بين أيدي الباحثين .. وقد ضمنتها أوسع دراسة قديمة عن حياة الغزالي وبيئته ومؤلفاته وتلاميذه وآراء العلماء فيه بقلم السيد المرتضى الزبيدي ، شارح الاحياء المشهور كتبها مقدماً بها لشرحه الكبير .

★ ★ ★

وكنت أود ان يكون عملي مقتصراً على تقديم هذه الابحاث خالية من أي مقدمة مكتفياً بوضعها بين أيدي الباحثين تاركاً لهم مهمة دراستها واستخلاص ما يرونه فيها.

غير أنني وجدت الواجب يحتم علي أن أشير الى بعض الملاحظات حول حياة الغزالي وأسباب خروجه من بغداد وهل سافر الى مصر ، ولم أقصد من سرد هذه الملاحظات كتابة سيرة جديدة للغزالي .

١ ـ حياة الغزالي :

نستطيع ان نلخص حياة الغزالي بالمراحل التالية :

سنة	٤٥٠ هـ	ولادته بطوس
حوالي	٤٦٥	دراسته على الشيخ احمد الراذكاني ، وذهابه الى جرجان ودراسته على الشيخ الاسماعيلي[١] .
حوالي	٤٧٠	عودته الى طوس حيث بقي فيها ثلاث سنوات .
حوالي سنة	٤٧٣	ذهابه الى نيسابور ودراسته على أبي المعالي الجويني والفارمدي .
حوالي سنة	٤٧٨	أي بعد وفاة الجويني ، ذهابه الى العسكر قاصداً نظام الملك .
جمادى (١)	٤٨٤	إرساله مدرساً الى بغداد .
من ٤٨٤	إلى ٤٨٨	فترة تدريسه في بغداد، حيث أصبح فيها من الرجال المشهورين .
حوالي	٤٨٨	ترك التدريس ، وخروجه من بغداد مدعياً الحج ـ مسافراً الى الشام
من	٤٨٨ـ٤٩٠	متنقلاً بين دمشق والقدس ومكة والمدينة
سنة	٤٩٠	عودته الى بغداد ، وبقاؤه فيها مدة يسيرة مدرساً الاحياء في رباط أبي سعد .. ثم سفره الى همدان .
حوالي	٤٩٣	عودته الى طوس حيث بقي فيها طويلاً .
ذي القعدة	٤٩٩	التدريس في نظامية نيسابور
سنة	٥٠٣	تركه التدريس وعودته الى طوس .

الاثنين ١٤ جمادى الآخرة سنة ٥٠٥ وفاته في مسقط رأسه « طوس » .



---

(١) يشير جبر في مقاله في الـ mideo الى أن الشيخ المقصود قد لا يكون أبا النصر لانه توفي سنة ٤٢٧ بل الشيخ اسماعيل بن مسعدة الاسماعيلي المتوفى سنة ٤٨٧ .

٢ – أسباب خروج الغزالي من بغداد :

يلقي بعض المورخين ورجال الطبقات ظلالاً كثيفة على حادثة خروج الغزالي من بغداد ، فبعضهم يكتفي بالسبب الذي ذكره الغزالي عن نفسه في كتابه « المنقذ من الضلال » حيث يقول :

« ثم لاحظت أحوالي فاذا أنا منغمس في العلائق، وقد أحدقت بي من كل الجوانب، ولاحظت أعمالي وأحسنها التدريس والتعليم فاذا أنا مقبل على علوم غير مهمة ، ولا نافعة في طريق الآخرة . ثم تفكرت في نيتي في التدريس فاذا هي غير خالصة لوجه الله تعالى بل باعثها ومحركها طلب الجاه وانتشار الصيت .. فلم أزل أتفكر في الأمر مدة وأنا بعد على مقام الاختيار أصمم العزم على الخروج من بغداد ومفارقة تلك الاحوال يوماً ، وأحل العزم يوماً ، وأقدم فيه رجلاً وأؤخر فيه أخرى ، لاتصدق لي رغبة في طلب الآخرة بكرة، إلا ويحمل عليها جند الشهوة فيفترسها عشية ، فصارت شهوات الدنيا تجاذبني بسلاسلها الى المقام ، ومنادي الايمان ينادي الرحيل الرحيل ، فلم يبق من العمر إلا القليل ، وبين يديك العمر الطويل ، وجميع ما أنت فيه من العلم والعمل رياء وتخييل، فان لم تستعد الآن للآخرة فمتى تستعد ، وإن لم تقطع الآن هذه العلائق فمتى تقطع ، فعند ذلك تنبعث الداعية ، وينجزم العزم على الهرب والفرار ، ثم يعود الشيطان ويقول : هذه حال عارضة إياك ان تطاوعها فانها سريعة الزوال فان أنت أذعنت لها وتركت هذا الجاه العريض والشأن المنظوم الخالي عن التكدير والتنغيص ، والأمن المسلم الصافي عن منازعة الخصوم ، ربما التفتت اليه نفسك ولا تتيسر لك المعاودة .

فلم أزل أتردد بين تجاذب شهوات الدنيا ودواعي الآخرة ، قريباً من ستة أشهر أولها رجب سنة ثمان وثمانين واربعمائة ، وفي هذا الشهر جاوز الامر حد الاختيار الى الاضطرار إذ أقفل الله على لساني ، حتى اعتقل عن التدريس فكنت

أجاهد نفسي ان أدرس يوماً واحداً تطيباً لقلوب المختلفة إلي ، فكان لاينطق لساني بكلمة واحدة ولا أستطيعها البتة ، حتى أورثت هـــذه العقدة في اللسان حزناً في القلب ، بطلت معه قوة الهضم ومراءة الطعام والشراب ، فكان لاينساغ لي ثريد ، ولاتنهضم لي لقمة ، وتعـــدى الى ضعف القوى ، حتى قطع الاطباء طمعهم في العلاج وقالواهذا أمر نزل بالقلب ومنه سرى الى المزاج فلاسبيل اليه بالعلاج.

ثم لما احسست بعجزي وسقط بالكلية اختياري التجأت الى الله التجاء المضطر الذي لاحيلة له ، فأجابني الذي يجيب المضطر إذا دعاه ، وسهل على قلبي الاعراض عن الجاه والمال والأولاد والأصحاب ، وأظهرت عزم الخروج الى مكة وأناأريد في نفسي سفر الشام . حذار ان يطلع الخليفة وجملة الاصحاب على عزمي في المقام بالشام فتلطفت بلطائف الحيل في الخروج من بغداد على عزم على ألا أعاودها أبداً ، واستهدفت لأئمة العراق كافة إذ لم يكن فيهم من يجوز أن يكون الاعراض عما كنت فيه سبباً دينياً ، اذ ظنوا أن ذلك هو المنصب الأعلى في الدين ، وكان ذلك مبلغهم من العلم ، ثم ارتبك الناس في الاستنباطات ، وظن من بعُد عن العراق أن ذلك كان لاستشعار من جهة الولاة ، وأما من قَرُب من الولاة ، وكان يشاهد إلحاحهم في التعلق بي والانكباب علي ، وإعراضي عنهم ، وعن الالتفات الى قولهم ،فيقولون هذا أمر سماوي ، ليس له سبب إلا عين أصابت الاسلام وزمرة العلم ، ففارقت بغداد[1] »

أما كارا دوفو فيرى أن الغزالي لم يكن بحاجة الى هذا التسلسل المسرحي الذي ذكره حتى يصل الى تقرير مايريد من ان طريق التصوف هو السبيل الوحيد للوصول إلى المعرفة وبالتالي فان الرغبة في السلوك مع الصوفية لاينظر اليها في ذلك الحين بالذات كدافع أساسي لخروجه من بغداد ، فالغزالي صوفي أصلاً ، أبوه صوفي ، والذي عني به صوفي والذين أحاطوا به في صباه وأثناء شبابه واكتماله أناس أتقياء[2].

(١) المنقذ ص ١٢٦ ومابعدها (٢) الغزالي. كارا دوفو ص ٤٨ - ٤٩

كما نجد فريد جبر يشك في ان يكون خروج الغزالي من بغداد مباغتاً مفاجئاً كما يصور ذلك السبكي .. ويلفت النظر إلى الحوادث السياسية التي لم يعلق عليها السبكي بكلمة ويرى ان لهذه الحوادث أثرها في الخروج من بغداد(١) .

فقد سقط نظام الملك في رمضان سنة ٤٨٥ في بغداد بيد أحد الباطنيين ، ولا يبعد أن يكون للسلطان يد في اغتياله ، وكانت العلاقة قوية بين نظام الملك والخليفة وكان الباطنية يهددون مخالفيهم في ذلك الحين ، والغزالي خصم لدود ، ثم ان عبد الغافر يذكر انه قد فتح على الغزالي باب من الخوف صرفه عن التدريس والحياة العامة ، وليس من المستغرب أن يكون هذا الخوف الشديد من جراء الأزمات السياسية الخانقة في ذلك العهد .

ويشك الدكتور البقري لعدد من الاسباب في جدية عزلة الغزالي الصوفية ، وكونها سبباً في خروجه من بغداد(٢) .

أما ماكدونالد فيرى ان الخروج من بغداد سببه سياسي ، أو أنه كان لاستشعاره الخوف وخشية الأذى فقد كان الموقف السياسي يومئذ خطراً وكانت الأحوال مضطربة لا تبعث على الاطمئنان عقب وفاة نظام الملك(٣) .

ولا يغفل ابن خلدون أن يشير إلى علاقة الغزالي بيوسف بن تاشفين ، ورضاه عن اللقب الذي لقب به وهو أمير المؤمنين وما قد يكون لذلك من أثر في إثارة حفيظة أصحاب السلطة في بغداد(٤) .

والحق أن الغزالي لم يكن بعيداً عن الحياة السياسية :

---

(١) M . I . DE.O مقال له عن حياة الغزالي ومؤلفاته .
(٢) عبد الدائم البقري ـ اعترافات الغزالي ص ١٢٣ وما بعدها .
(٣) مقال The life of Al Ghazali
(٤) ابن خلدون : العبر ص ٣ ج ١٢٩

فقد كان أحد المشهورين الذين يشار اليهم بالبنان في بغداد ، وكان للفقهاء وكبار العلماء منزلة في نفوس الناس وعند الحكام ، خاصة وأن السلجوقيين الحاكمين حينذاك كانوا يدعمون الاتجاه السني أمام العقيدة الفاطمية . وكان اعتمادهم في ذلك على فقهاء وعلماء أهل السنة ، وكان لأساتذة المدرسة النظامية بالذات شأن كبير ، ولعلنا نستدل على ذلك مما تذكره الكتب التاريخية عن تدخلهم لحل الخلافات بين الامراء ، وعن رجوع الحكام اليهم في كثير من الأمور ، فقد ذكر ابن خلدون مثلاً كيف كان الخلاف مستحكماً بين السلطان محمد (أبو شجاع) وابن اخيه ملكشاه ، وكيف تدخل الفقهاء بالصلح بينهما . قال ابن خلدون « وحضر من الغد القاضي والنقيبان واستحلف الكيا الهراسي مدرس النظامية بمحضر القاضي وزير أباز بمحضرهم لملكشاه ولأباز وللأمراء الذين معه ، فقال أما ملكشاه فهو ابني وأما أباز والامراء فأحلف لهم ألا ينال أبن انوش ، وساروا واستحلفه الكيا الهراسي[1] » .

وقد شارك الغزالي بالذات ببعض الامور السياسية فقد كلفه المستظهر بالله الخليفة العباسي بتأليف كتاب يفند فيه آراء الباطنية وقد فعل ، وسماه المستظهري .

كما أن ابن خلدون يذكر أنه حين توفي السطان (جلال الدين ابو الفتح) سنة ٤٨٥ كتمت زوجته الأمر وأرادت ان يولي الخليفة ابنها محمود ، وعمره آنذاك أربع سنين « فأجابها على شرط ان يكون أحد من أمراء أبيه هو القائم بتدبير الملك وأن يصدر عن رأي الوزير تاج الملك ويكون له ترتيب العمل وجباية الاموال فأبت عليه أولاً من قبول هذا الشرط حتى جاءها الامام أبو حامد الغزالي وأخبرها أن الشرع لا يجيز تصرفاته فأذعنت لذلك[2] »

كل هذه الامور تجعل المجال واسعاً لتفسير عبارة الغزالي بأنه فتح عليه باب

(١) ابن خلدون: العبر ج ٣ ص ٤٩٣

(٢) المرجع السابق ص ٤٧٨

من الخوف شديد[1] بأنه الخوف أن يصبه رذاذ المؤامرات السياسية المستحكمة ، كما تجعل البعض يحاول تفسير سبب اختيار الغزالي دمشق على غيرها بأنها أبعد البلاد الاسلامية حينذاك عن سلطة الباطنيين[2] .

٣ — هل بقي الغزالي طيلة مدة العزلة في الشام :

اختلف المؤرخون ورجال الطبقات في تحديد المدة التي بقي فيها الغزالي في بلاد الشام فبعضهم يؤيد ما يقوله الغزالي في المنقذ من أنه بقي فيها سنتين فقط « ثم دخلت الشام وأقمت بها قريباً من سنتين ، لاشغل لي إلا العزلة والخلوة والرياضة والمجاهدة اشتغالاً بتزكية النفس ، وتهذيب الاخلاق ، وتصفية القلب لذكر الله تعالى ، كما كنت حصلته من علم الصوفية ، فكنت أعتكف مدة في مسجد دمشق أصعد منارة المسجد طول النهار وأغلق بابها على نفسي ، ثم دخلت منها الى بيت المقدس أدخل كل يوم الصخرة وأقفل بابها على نفسي .

ثم تحركت فيّ داعية فريضة الحج والاستمداد من بركات مكة والمدينة وزيارة رسول الله ﷺ بعد الفراغ من زيارة الخليل صلوات الله عليه ، فسرت الى الحجاز .

ثم جذبتني الهمم ودعوات الاطفال الى الوطن ، فعاودته بعد ان كنت أبعد الخلق عن الرجوع اليه ، فآثرت العزلة به أيضاً ، حرصاً على الخلوة وتصفية القلب للذكر ، وكانت حوادث الزمان ومهمات العيال وضرورات المعاش تغير وجه المراد وتشوش صفوة الخلوة ، وكان لايصفو لي الحال إلا في أوقات متفرقة ، لكنني مع ذلك لا أقطع طمعي منها فتدفعني عنها العوائق وأعود اليها ، ودمت على ذلك مقدار عشر سنين[3] »

(١) السبكي جـ ٤ ص ١٠٩
(٢) جبر نفس المرجع السابق .
(٣) المنقذ ص ١٢٩

ومن الذين نحوا نحو هذا الاتجاه ابن الجوزي في المنتظم إذ يقول « وفي ذي القعدة خرج ابو حامد الغزالي من بغداد متوجهاً الى بيت المقدس تاركاً للتدريس في النظامية زاهداً في ذلك ، لابساً خشن الثياب بعد ناعمها ، وناب عنه أخوه في التدريس ، وعاد في السنة الثالثة من خروجه وقد صنف كتاب الاحياء فكان يجتمع اليه الخلق الكثير كل يوم في الرباط فيسمعونه منه[1] » .

كذلك فعل ابو الفداء وابن العماد .

يقول ابو الفداء في حوادث سنة ٤٨٨ « وفيها سار ابو حامد الغزالي الى الشام وترك التدريس في النظامية لأخيه نيابة عنه ، وتزهد ولبس الخشن ، وزار القدس وحج ثم عاد الى بغداد ، وسار الى خراسان[2] » .

أما ابن العماد فيذكر في الشذرات في حوادث سنة ٤٨٨ أيضاً « وفيها قدم الامام الغزالي دمشق متزهداً وصنف الإحياء وأسمعه بدمشق وأقام فيها سنتين ثم حج وردالى وطنه »[3] .

ويحدث القاضي ابن العربي أنه لقي الغزالي في بغداد ، وفي رباط أبي سعد بالذات في جمادى الأخرى ، سنة ٤٩٠ هـ « ورد علينا (أي الغزالي) فنزل برباط أبي سعد بإزاء المدرسة النظامية ، معرضاً عن الدنيا ، مقبلاً على الله تعالى فمشينا اليه وعرضنا انفسنا عليه ، وقلت له أنت ضالتنا التي كنا ننشد وإمامنا الذي به نسترشد فلقينا لقاء المعرفة وشاهدنا منه ما كان فوق الصفة »[4] .

ولكن بعض رجال الطبقات يرون انه كان مدة العزلة كلها في بلاد الشام بين

---

(١) المنتظم حوادث ٤٨٨

(٢) تاريخ أبي الفداء جـ ٢ ص ٢٠٨

(٣) شذرات الذهب جـ ٣ حوادث سنة ٤٨٨

(٤) المقري نفح الطيب جـ ١ ص ٣٤٣

دمشق والقدس . ذهب منها مرة الى الحج . أي أن الغزالي أمضى عشرة سنين في الشام .

وممن نحا هذا النحو عبد الغافر ، وابن عساكر ، والسبكي .

والذي يخيل الي انه لم يبق في دمشق إلا سنتين عاد بعدها الى بغداد فمكث فيها قليلا ثم اعتزل في خراسان [1] فترة طويلة قطعها بالعودة الى التدريس في نيسابور ثم عاد الى عزلته في بلده طوس [2] .

ومما يقوي هذا الرأي في نظرنا بالاضافة الى ماذكرناه ان الصليبيين استولوا على بيت المقدس عام ٤٩١ هـ . وذلك بعد ان ملكوا انطاكية وقتلوا ملك معرة النعمان وتوالى استيلاؤهم على بلاد الشام واحدة بعد الأخرى ومع ذلك لا نسمع الصليبيين ذكراً في كتابات الغزالي ، ولا تحريضاً منه للمسلمين على الجهاد والدفاع عن الدين والبلاد ، ولا نظنه لو كان في الشام آنذاك يغفل عن مثل هذا الواجب . وقد سبق له ان شارك في تبيان خطر الباطنية ووقف امامهم وهم في قوتهم وعظمتهم [3] !.

٤ — ذهابه الى مصر:

يذكر بعض المؤرخين ورجال الطبقات ان الغزالي اثناء تجواله في بلاد الشام قصد مصر فدخل الاسكندرية وأقام فيها مدة وكان يريد على ماذكروا السفر الى يوسف بن تاشفين في المغرب الأقصى ، ولكنه علم انه مات فرجع .

قال ياقوت في معجم البلدان في معرض حديثه عن الغزالي « ويقال انه اقام بمنارة الاسكندرية [4] »

---

(١) الكامل لابن الاثير ج ١ ص ٨٧ .

(٢) Bouyge : ess ai de chronologie p. 3

(٣) يرى كثير من الكتاب في موقف السكوت الذي سلكه الغزالي من الصليبيين شيئاً من الضعف والتهاون .

(٤) معجم البلدان طبعة لايبزيغ مجلد ٣ ص ٥٦١

أما أبو الفداء فقال «وقصد دمشق واقام بهـــا مدة ثم انتقل الى القدس واجتهد في العبادة . ثم قصد مصر واقام بالاسكندرية مدة ...[1]»

وذكر السبكي ان الغزالي بعد مفارقته دمشق أخذ يجول في البلادوقصدمصر ثم الاسكندرية فأقام بها مدة ، ويقال أنه عزم على المضي الى السلطان يوسف بن تاشفين لما بلغه من عدله »[2]

غير اننا نميل الى تغليب الظن بأنه لم يسافر الى مصر متابعين بذلك ابن الأثير وابن كثير ، والغزالي نفسه الذي لم يذكر شيئاً في كتبه كلها عن هذه الرحلة.

٥ — الحياة السياسية في عصر الغزالي :

وقد كان الغزالي يعمل في جو سياسي مضطرب، « وكانت الخلافـــة العباسية في غاية التدني والانحطاط : السلطان العربي في بغداد انقرض أو كاد ينقرض ، إسبانيا ثائرة ضد حكامها المسلمين ، بطرس الناسك يحرض الناس على الحروب الصليبية ، انقسام الناس الى شيعة وسنة على أسس دينية وسياسية ، الأشعرية والفلسفة المدرسية في الاسلام بمساندة السلجوقيين تناهض المعتزلة»[3].

وقد كان نظام الحكم في بغداد معقداً مربكاً ، كان هنالك الخليفة الذي لايملك من الحكم إلا الخطبة باسمه على المنابر ، والى جانبه السلطان السلجوقي الذي يسيطر على الجيش والسياسة .

وكان مناصرو الغزالي من الخلفاء ، المقتدي بالله (٤٨٧) ، ثم المستظهر بالله (٥١٢) ... ومعاصروه من السلاطين عضد الدولة ابن أرسلان (٤٦٥) ،جلال

---

(١) تاريخ ابي الفداء ج ٢ ص ٢٢٦ .
(٢) السبكي ج ٤ ص ١٠٥ .
(٣) التصوف الاسلامي العربي ،عبد اللطيف الطباري ص ٣٤

الدين ملكشاه (٤٨٥)، ناصر الدين محمود (٤٨٧) ، ركن الدين أبو المظفر بركياروق (٤٩٨) ركن الدين ملكشاه الثاني (٤٩٨) ، محمد بن ملكشاه (٥١١) وكان الى جانب السلطان وزيره الذي كان غالباً مايمسك بزمام السلطة .

ونظام الملك أحد هؤلاء الوزراء الاقوياء فقداستطاع أن يسيطر على الدولة حوالي ربع قرن ، وكان لهذا الوزير أثره الكبير في الحياة الثقافية ، إذ هو الذي أسس المدارس النظامية المشهورة . وقد كان معاصراً بل زميلاً في الدراسة للغزالي .

كما أن الوزير فخر الدولة بن نظام الملك هو الذي ألح على الغزالي في العودة الى التدريس في نظامية نيسابور .

أما في باقي الولايات الاسلامية .. فقد كان بالمغرب الاقصى دولة الملثمين والقائم بأمرهم يوسف بن تاشفين وابنه من بعده .

وفي افريقية كان يحكم آل زيري وأشهرهم تميم بن العز بن باديس، ثم يحيى بن غنيم .

وكان الحكم في مصر فاطمياً وأشهر من عاصر الغزالي من خلفائهم المستعلي بالله ابو القاسم احمد بن المستنصر ، ثم الآمر بأحكام الله علي المنصور بن المستعلي[1] .

وقد شهد الغزالي أو سمع بالداهية التي أصابت العالم الاسلامي في السنين الاخيرة من حياته ، وذلك حين بدأت جحافل الصليبيين تغزو البلاد ، وتؤسس فيها الممالك والدول ، فقد أسسوا أمارة الرها بوادي الفرات عام ٤٩٠ هـ ، ثم في انطاكية عام ٤٩١ ، وفتحوا بيت المقدس عام ٤٩٢ وطرابلس سنة ٤٩٥ وهكذا[2] .

---

(١) تاريخ الامم الاسلامية للخضري جـ ٢ ص ٥٧٦ ومابعدها

(٢) تاريخ ابن العميد ص ٢٩٢

ولكنه مع ذلك لم يحرك ساكناً ضدهم ، ولم يجر ذكرهم في أي كتاب من كتبه الكثيرة وقد هاجمه زكي المبارك لهذا الموقف[١] . والتمس له فريد جبر العذر إذ أنه كان في خراسان بعيداً عن المعركة ، في عزلته وخلوته ، ولعله لو كان في الشام اتخذ موقفاً مخالفاً ، ثم إن البلاد الاسلامية كانت كلها حينذاك غارقة في الفتن والمؤامرات ، والمعارك على السلطة بين الامراء لم تكن تنقطع وفي كل هذا شغل للمسلمين في قطر عن أحوال المسلمين في الاقطار الاخرى[٢].

٦ ــ **الباطنية[٣] :**

وكان خطر الباطنية بازدياد ووصلت خطورتهم الى درجة كبيرة حتى انهم قتلوا نظام الملك سنة ٤٨٥ هـ . وابنه فخر الدولة سنة ٥٠٠ ، والأعز وزير السلطان بركيارون سنة ٤٩٥ ...

وفرضوا نوعاً من الارهاب على المناطق الشرقية من العالم الاسلامي .

وكان الفاطميون من وراء الحركة الباطنية، وقد استغلت فرصة الفوضى السياسية وعدم وجود أصحاب عيون وأخبار في البلاد فعاثت فيها فساداً .

وكان الرئيس الثاني للباطنية الحسن بن الصباح ، الذي رحل الى مصر ، ولقي فيها الخليفة المستنصر واستولى بعد عودته على قلعة « الموت » وقد أرسل اليه نظام الملك من حاصره فلما ضاق عليه الحصار ارسل الى النظام من قتله .. وقد استولوا بعد قتله على قلعة أصبهان .

وكان الباطنية شجعاناً ، يمنون اتباعهم بالاعاجيب ، انقسم الناس بالنسبة لهم

---

(١) الاخلاق عند الغزالي ص ١٥
(٢) جبر المقال السابق .
(٣) ملخص عن كتاب تاريخ الامم الاسلامية ج ٢ ص ٦٥ وما بعدها

فرقتان فمنهم من جاهرهم بالعداوة والمقارعة ، ومنهم من عاهدهم على المسالمة والموادعة . فمن عاداهم خاف من فتكهم ومن سالمهم نسبه الناس الى الارتكاس في عقيدتهم ، وكان الناس منهم على خطر عظيم من الجهتين .

وزاد أمرهم استفحالاً ، فصاروا يهددون من لا يوافقهم بالقتل ، فصار يخافهم من يخالفهم حتى لم يجسر أحد من مخالفيهم ولو كان أميراً من الخروج من منزله حاسراً ، بل كان يلبس تحت ثيابه درعاً ، واستأذن السلطان بركياروق خواصُّه في الدخول عليه بسلاحهم ، وعرفوه خوفهم من الباطنية وأشاروا على أن يفتك بهم قبل أن يعجز عن تلافي أمرهم .. وهكذا حاول بركياروق أن يطهر الصفوف الداخلية منهم فأوقــع بهم وذهب بعض الابرياء ، وكاد يذهب الكيا الهراسي رفيق الغزالي في التدريس في النظاميــة والتلمذة على الجويني لولا أن استخلصه الخليفة المستظهر .

ثم أصبحوا يتعرضون لقوافل الحجاج حينما شغل عنهم الطلب بسبب خلاف السلطانين محمد وبركياروق ولما صفا الأمر لمحمد خرج الى حربهم وحاصرهم في أصبهان وقضى على ابن عكاش أحد رؤسائهم وأرسل من يقضي على حسن بن الصباح في قلعة الموت ولكنه توفي قبل ذلك ورجع الجند عنهم[1] .

وكان للغزالي مع الباطنية جولات فكرية في أكثر من واحد من كتبه وألف ضدهم خاصة كتاب المستظهري بتكليف من المستظهر بالله ، ألح فيه على هدم فكرة الامام المعصوم الذي كان يؤمن بهـا أولئك ، فالامور الدينية عندهم لا تؤخذ في ثوبها اليقيني إلا عن الامام المعصوم الذي يتلقاها عن الله مباشرة.

---

(١) وقد مات ابن الصباح سنة «٥٢٨»

٧ - الحياة الثقافية في عصره وثقافته الشخصية :

وكان العالم الاسلامي أيام الغزالي يخضع لمؤثرات ثقافية مختلفة .

فبالاضافة الى العنصر الاسلامي الاصيل الذي يتمثل بالقرآن والحديث وآراء الصحابة والفقهاء كانت هنالك تيارات ثقافية مختلفة تخلع رداءها على تفكير المسلمين .

ولعل الثقافة اليونانية من أكثر هذه التيارات أثراً ، ويرجع البعض أثرها الى ماقبل الاسلام « وجملة القول ان الثقافة اليونانية كانت هي السائدة في بيئة شرقنا هذا منذ فتوح الاسكندر ، وظلت متقدمة مع الزمن ، يضاف اليها عوامل تختلف باختلاف الأزمان ، وقد اختلطت بالفلسفة الهندية والفارسية والمصرية ، ولكنها ظلت هي الظاهرة المسيطرة إلى ان جاء المسلمون الذين نشطوا بعد تأثيل الملك إلى اقتباس مدنية من سبقهم فوجدوها ميسرة[1] ..

ومن اختلاط الثقافة اليونانية قبل الاسلام مع بقية الثقافات الأخرى ، ومع اصطباغها بفكرة ماوراء الطبيعة بالأسلوب المسيحي ، ظهرت الافلاطونية الجديدة في القرن الثالث للميلاد وكان لها أثر كبير على الفكر الاسلامي وخاصة الصوفي منه .

وكان أثر الفلسفة الهندية متأخراً عن الفلسفة اليونانية ، فقد بدأ في أواخر القرن الثالث الهجري ، وكان أكثر ما يبدو تأثيرهم في التفكير الصوفي حيث تأثر بفكرة الفناء الروحي .

ولم يقل تأثير فلسفة الفرس عن تأثير فلسفة الهنود وأكثر ماتظهر آثارهم في العقائد الشيعية المتطرفة في الحق الالهي للملك ، وفي حلول الله في جسد الامام

---

(١) التصوف الاسلامي ، الطيباوي ص٩ .

كما أن مدرسة حران بمن فيها من الصابئة تركت تأثيرها ولو أنه جاء متأخراً ، وكان الصابئة وثنيين متسترين بكلمة الصابئة الواردة في القرآن[1] .

ونستطيع ان نقسم العصور العباسية من الناحية الثقافية الى ثلاثة عصور :

١ ـ العصر الاول وهو دور النقل والتوسع والاستحداث والتجديد عن طريق الترجمة ومزج الثقافة العربية الاسلامية بغيرها .

٢ ـ العصر الثاني وهو دور التطبيق ومحاولة التقريب بين الفلسفة والدين .

٣ ـ العصر الثالث (عصر الغزالي) ظهرت فيه فورة جديدة ، وهي فورة الغضب للدين على الفلسفة .

وكان الغزالي من أهم ركائز هـذا العصر ، وقد تأثر بنشأته الصوفية التي هيأتها له بيئته فدفعت به الى دراسة كل ماسبقه من الفلسفات وأحوال أصحابها ثم عادت به روحانيته الى جوهر تعاليم الاسلام[2] .

ولاشك أن تأثر المسلمين بالعناصر الثقافية الوافدة كان كبيراً بسبب كثرة ماجاء به النقلة من جميع انواع الفلسفات والعلوم والفنون .

وكان من طبيعة وجود هذه العوامل الثقافية المختلفة المتعارضة في كثير من الاحيان ، أن ظهر على هذا العصر طابع الاسراف في التفكير ، وجموح الخيال ، بل لقد انقلبت وجوه الاسراف الى بلبلة عجيبة وعرض عجيب للملل والنحل والمذاهب وأصبح المجتمع عجيباً « امتلأت حقائب تاريخه بمئات من والطرق والمذاهب الدينية والفلسفية والكلامية ، حتى لقد أصبح لكل لسان ذرب مذهب خاص به ، ولكل قلم ممتلىء أمة فكرية تتبعه [3] » .

---

(١) المرجع السابق ص ١٠ .
(٢) الغزالي للرفاعي ص ٣١ .
(٣) الغزالي طه عبد الباقي سرور ص ٨

فالفلسفة اليونانية ، والرغبة في الخروج على القديم لها أنصارها ، وأنصار القديم ومحاربه هذا الاتجاه لهم أنصارهم ، ثم إن أنصار القديم مختلفون على أنفسهم ، وعلماء الكلام في خلاف مستمر بين أشعري ومعتزل ..

ولا يصح ان نغفل أنصار الصوفية الذين رأوا هذا التطور الجديد فلم يسكنوا اليه ولم يطمئنوا الى نتائجه ، فنهضوا الى المناداة بالعبادة العلمية ، أو الكشف الباطني ، والمشاهدة المحضة ، فنشأت من الصوفية بعض الاتجاهات التي اختلطت بعناصر من مذاهب الفرس والهندواليونان [1] .

ولعل من المفيد أن نعرض هنا بعض الصور الرهيبة عن هذه الحالة من الفوضى الفكرية يذكرها ابن خلدون في العبر « كانت مدينة بغداد قد احتفلت في كثرة العمران بما لم تنته اليه مدينة في العالم منذ بدء الخليقة فيما علمناه ، واضطربت آخر الدولة العباسية بالفتن ، وكثر فيها المفسدون والدعار والعيارون ... وربما حدثت الفتن من أهل المذاهب ومن أهل السنة والشيعة من الخلاف في الامامة ومذاهبها ، وبين الحنابلة والشافعية ، وغيرهم، من تصريح الحنابلة بالتشبيه في الذات والصفات ونسبتهم ذلك الى الامام احمد وحاشاه منه ، فيقع الجدال والنكير ثم يفضي ذلك الى الفتنة بين العوام ... وتكرر ذلك ..[2]»

ويقول أيضاً « وكان ابو النصر بن الاستاذ أبي القاسم القشيري قد حج سنة ٤٦٩ فورد هذا بغداد منصرفاً من الحج ووعظ الناس بالنظامية وفي رباط شيخ من الشيوخ ونصر مذهب الاشعري فأنكر عليه الحنابلة وكثر التعصب من الجانبين وحدثت الفتن والنهب عند المدرسة النظامية [3] »

---

(١) الغزالي للرفاعي ص ٧٥ .
(٢) العبر لابن خلدون جـ ٣ ص ٤٧٧ .
(٣) العبر لابن خلدون جـ ٣ ص ٤٧٢ .

أضف الى هذه العوامل تأييد الحكام لبعض الاتجاهات الفكرية دون الاخرى ، فقد تدخل نظام الملك لاعادة شأن الأشاعرة وقوتهم ، وكان نظام الملك صاحب فكرة تتعلق بالسياسة فقد وقف مع السنة تجاه الفاطميين والباطنية، وأسس المدارس النظامية لدعم هذا الاتجاه وهكذا ...

في هذا الجو المضطرب كانت سفينة الغزالي تشق طريقها ، وقد تسلح باطلاعه على أكثر الثقافات كما رأينا ، بالاضافة الى أنه كان « شديد الذكاء سديد النظر ، عجيب الفطرة ، مفرط الادراك ، قوي الحافظة ، بعيد الغور، غواصاً على المعاني الدقيقة ، جبل علم مناظراً محجاجاً[1] » .

وقد وصفه أستاذه الجويني بأنه « بحر مغدق[2] » .

وقال عنه أحد معارضيه في الرأي وهو ابن الجوزي « وتفقه على أبي المعالي الجويني وبرع في النظر في مدة قريبة وقاوم الاقران وتوحد وصنف الكتب الحسان في الأصول والفروع التي انفرد بحسن وضعها وترتيبها وتحقيق الكلام فيها حتى أنه صنف في حياة أستاذه الجويني ، فنظر الجويني الى كتابه المسمى بالمنخول فقال له دفنتني وأنا حي هلا انتظرت أموت؛ وأراد ان كتابك غطى على كتابي[3] ».

وقد عرف عنه مرونته في التفكير ، وقدرته على التوفيق بين الآراء المختلفة ، للوصول الى رأي وسط بينها « كما كان يلاطف الفرقاء ويستعمل ألفاظهم ويسمي بأسمائهم وذلك ليكسب ثقتهم ثم ليهدم مابنوه[4] » .

وقد استطاع أن يخدم السنة ، والصوفية ، والاشاعرة ، ووقف حائلاً بين

---

(١) طبقات السبكي جـ ٤ ص ١٠٣ .

(٢) نفس المرجع السابق .

(٣) المنتظم جـ ٩ حوادث سنة ٥٠٥ .

(٤) الحقيقة في نظر الغزالي سليمان دنيا ص ٤٨ .

الفلسفة واضطراد تقدمها .وكان كتاب « التهافت » فيصلاً بين عهدين من عهود الفلسفة في المشرق ، إذ لم يتيسر لها أن تحتفظ بالتقدير الذي كانت تتمتع به من قبل[١] ».

ويظن « دوجا » أن انتصار الغزالي على الفلسفة كان سهلاً بسبب تمهيد المدارس السنية وخاصة النظامية[٢].

ولكن يبقى للغزالي لو أخذنا برأي دوجا ان أحداً قبله « لم يحاول ان يشن على جملة المذاهب الفلسفية التي قامت في الشرق على أساس من الفلسفة اليونانية غارة تستند الى وجهات نظر عامة وتقوم على دراسة عميقة[٣] ».

ويلخص الدكتور ماكدونالد سبب قوة تأثير الغزالي على العالم الاسلامي من أربعة أوجه فهو :

أولاً : كان زعيماً عاملاً على إرجاع المسلمين عن التعاليم المجردة التي لا مغزى ولا معنى لها الى تصال قوي مع الكتاب والسنة لأنهما في نظره ينبوع الاسلام الوحيد ويمكن بل يجوز لنا ان نسميه فقيهاً في القرآن كما نفهم من هذه التسمية في عصرنا الحالي لأن تفسيره للكتاب ليس إيراداً لما أورده الغابرون من التفاسير ولكنه تفسير روحي لنصوص القرآن صادر من فيوضات آرائه الخاصة .

ثانياً : أدخل الغزالي في العالم الاسلامي عنصر الخوف من جديد لأنه في الأيام السابقة كانت مخاوف يوم الدينونة وأهوال الجحيم — كما في نصوص القرآن — عبارة عن زاجر قوي يزجر القوم ويردعهم ويوقظهم ويدعوهم للرجوع الى التوبة

---

(١) تاريخ الفلسفة في الاسلام دوبور ص ٢٤١ .

(٢) Histoire Des Philosophes Et Des Theologues Musulmans P .162.

(٣) تاريخ الفلسفة في الاسلام — دوبور ص ٢٠١ .

ولكن ميل الخلفاء والرؤساء والعلماء إلى مايلذ أجسادهم جعل القوم يجرؤون على إهمال هذه التعاليم وعلى التهاون بهافجاء الغزالي وأعاد إلى هذه التعاليم قوتها الأولى ورونقها ، وعززها ، وأطنب فيها حتى جعل الفرائص ترتعد من كثرة ما ذكر فيها من المخاوف والأهوال وقد استدللنا على هذه الحقيقة مما كتبه الإمام الغزالي في كتابه « الدرة الفاخرة » الذي له المقام الأسمى في قلوب المتدينين المسلمين إلى الآن.

ثالثاً كانت الصوفية موجودة في الاسلام قبل الغزالي ، إلا أنها كان ينظر إليها كأنها شيء مخالف للشرع ، مزر بمقام من يتبعه ، ولكن الغزالي لما ظهر في ميدان الحياة عزز الصوفية في تعاليمه أيما تعزيز وطبقها على الشرع وطبق الشرع عليها وزاد في تكريمها حتى صارت الصوفية ذات المكانة العليا بين عموم السنيين المسلمين بل بين جميع الفرق الاسلامية منذ ذلك الحين .

رابعاً : إن هذا الإمام حلل الفلسفة حتى جعلها قريبة من العقول العادية ، ثم بين خطرها ومبادئها الأساسية ، ثم أظهر كتابه بشكل جلي أنه لافرق بين الفلسفة الحقة ومبادىء الاسلام[1] ».

ولعل ماكدونالد يصيب الحقيقة حين يقول « إنه لم يكن كشافاً ، ولاأول من ركب الطريق واهتدى إلى النجد ، ولكنه كان رجلاً كبير الشخصية ، شديد التأثير ، نهج سبلاً مطروقة ، فجعلها شرعاً عاماً ، ومحجة واضحة ، وهذا من فضل شخصيته وقوة خليقته ، وقد يكون ثم من هو أبرع منه وأدق منطقاً وأفقه منه علماً ، وأكثر منه مواهب من قديسين ومتدينين[2] ».

٨ — حول مؤلفات الغزالي :

من الواضح أن الغزالي من أكثر كتاب العالم إنتاجاً ، وتنوعاً ، لذلك وصفه

---

(١) النواس والالاله لزوبمر ص١٢٧ ومابعدها .

(٢) الغزالي الرفاعي ج١ ص١٨ .

أحدهم بأمير الكتاب فقال «محمد بن عبدالله أمير الأنبياء، ومحمدبن ادريس الشافعي أمير الإيمان، ومحمد بن محمد بن حامد الغزالي أمير الكتاب[1]».

وكان أهم ما تناوله الغزالي في هذه المؤلفات :

١ — الفقه وأصوله .

٢ — المنطق والفلسفة والرد على الفلاسفة .

٣ — الرد على الباطنية .

٤ — النظريات الدينية .

٥ — دراسات حول القرآن .

٦ — علم الكلام .

٧ — التجارب الروحية والدينية .

٨ — تاريخ حياته .

٩ — كتب مضنون بها تضم بعض آرائه الخاصة .

١٠ — دراسات أخرى متفرقة .

وقد أوصل بعض المؤلفين كتب الغزالي الى حوالي ٣٠٠، ويرجع في هذا الخصوص إلى كتب الغزالي نفسه وإلى بروكلمان، وكارادوڤو وبويج والسبكي والزبيدي والزركلي وجبر وسركيس والبغدادي وحاجي خليفة وغيرهم .

ومن أهم مايلفت النظر بالنسبة لمؤلفات الغزالي :

١ — غزارة الإنتاج .

٢ — تنوع الإنتاج .

٣ — الاحالة إلى كتبه .

---

(١) النواس والآلئه لزويمر ص ١٧١

ولذلك قيل إن ما كتبه الغزالي يعرف من كتبه أكثر مما كتب عنـــه، ولا تلبث أن تقرأ كتاباً من كتب الغزالي، حتى تعرف جملة من أسماء كتبه، لأنه لايدع مناسبة لكتاب من كتبه تمر دون أن يشير فيهـــا إلى ذلك الكتاب ويحيل عليه[1] ».

وهذا ماجعل البعض يجعل من أسباب الشك في نسبة الكتاب إليه عدم ذكره في كتبه الأخرى، هذا مالاحظه بالاسيوس بالنسبـة لكتاب « معارج القدس » وجعل وات يشك فيه[2] ».

٤ — سهولة العبارة : والبعد عن التعقيد، وعدم تقيده بقواعد البلاغـــة أحياناً مما جعل البعض يضعف أسلوبه[3] ».

٥ — وضوح الأفكار وتنسيقها وتبويبها وتصنيف الموضوعات .

٦ — الاعتماد على الجدل في معرض الحاجة[4] ولعل كتاب « التهافت » أحسن دليل على طريقته الجدلية .

٧ — مراعاة المرتبة العقلية لمن يخاطبهم : وذلك على قاعدة « خاطبوا الناس على قدر عقولهم »، وكان الغزالي ماهراً في معرفته لنفسيات المخاطبين ودرجتهم العقلية وقد صنف الناس إلى ثلاثة أنواع[5] :

آ ـ عوام وهم أهل السلامة، البله، وهم أهل الجنة .

ب ـ خواص وهم أهل الذكاء والبصيرة .

---

(١) الحقيقة ـ سليمان دنياس ٩٧

(٢) كتاب Bauyeges السابق ص٨٧

(٣) الغزالي تيسير شيخ الارض ص١٧٦ وسليمان دنيا ـ الحقيقة ص٩٨

(٤) الغزالي لتيسير شيخ الارض ص ١٧٨.

(٥) القسطاس المستقيم ص٨٦ وما بعدها .

جـ ويتولد بينهم طائفة هم أهل الجدل والشغب فيتبعون ماتشابه من الكتاب ابتغاء الفتنة .

واسمع إليه كيف يسلك بين هؤلاء جميعاً : أما الخواص ، في أعالجهم بأن أعلمهم الميزان القسط ، وكيفية الوزن به ، فيرتفع الخوف على قرب ، وهؤلاء قوم اجتمع فيهم ثلاث خصال :

إحداها : القريحة النافذة ، والفطنة القوية ، وهذه عطية فطرية وغريزة جبلية لايمكن كسبها .

والثانية خلو باطنهم عن تقليد ، وتعصب لمذهب موروث مسموع ، فان المقلد لايصغي والبليد وإن أصغى لايفهم .

والثالثة : أن يعتقد فيّ أني من أهل البصيرة بالميزان ، ومن لم يؤمن بأنك تعرف الحساب ، لايمكنه أن يتعلم منك .

والصنف الثاني ، البله ، وهم جميع العوام ، وهؤلاء هم الذين ليس لهم فطنة لفهم الحقائق وإن كانت لهم فطنة فليس لهم داعية الطلب ، بل شغلهم الصناعات والحرف وليس لهم داعية الجدل .

فأدعو هؤلاء الى الله بالموعظة ، كما أدعو أهل البصيرة بالحكمة ، وأدعو أهل الشغب بالمجادلة ...

وأما الصنف الثالث وهم أهل الجدل فإني أدعوهم بالتلطف الى الحق ،وأعني بالتلطف ، ألا أتعصب عليهم ، ولاأعنفهم ، ولكن أرفق وأجادل بالتي هي أحسن وكذلك أمر الله ورسوله ﷺ.

ومعنى المجادلة بالتي هي أحسن ، أن آخذالأصول التي يسلمها الجدلي ،وأستنتج منها الحق بالميزان المحقق ، علىالوجه الذي أوردته في كتاب«الاقتصادفي الاعتقاد» وإلى هذا الحد .

٨ ـ ولا بد من الإشارة أخيراً إلى أن عدداً من الكتب دست على الغزالي ، كما حصل مع غيره من المشهورين في تاريخ الفكر .

ويذكر الزبيدي عدة كتب يعتبرها مدسوسة عليه وهي السر المكتوم، تحسين الظنون ، النفخ والتسوية (وهو المضنون الصغير) ، المضنون به على غير أهله .

وهو يشترك بالنسبة للكتاب الأخير مع ابن الصلاح الذي ينكر أن يكون هذا الكتاب له لأنه يشتمل ـ بزعمه ـ على التصريح بقدم العالم ، ونفي العلم بالجزئيات ونفي الصفات وكل واحدة من هذه يكفر الغزالي قائلها هو وأهل السنة أجمعون[١] .

ويؤيد هذا الرأي من المحدثين الدكتور العناني وزكي المبارك[٢] .

ويذهب الدكتور صليبا والدكتور عياد في تحقيقهما لكتاب المنقذ إلى رأي محي الدين بن عربي في أن المضنون الكبير للغزالي وأما المنحول فهو المضنون الصغير أو ما يسمى « النفخ والتسوية » . وللأستاذ دنيا مناقشة لطيفة حول هذا الموضوع في كتابه الحقيقة في نظر الغزالي[٣] .

ويرجح جرجي زيدان أن التبر المسبوك مدسوس على الغزالي[٤] ، ويرى محققا المنقذ أن هذا الكتاب منحول .

ومن المؤلفات التي ثار اللغط حول نسبتها للغزالي كتاب « معارج القدس في مدارج معرفة النفس » .

فقد ذكر الدكتور محمد يوسف موسى في كتابه الأخلاق في الإسلام «إننا كثيراً ما أعربنا عن شكنا في نسبة معارج القدس للغزالي ، وإن كنا نجده مذكوراً في ثبت الكتب الصحيحة النسبة إليه ، وليس شكنا لما فيه من النقل الحرفي عن

---

(١) طبقات السبكي ج٤ ص ١٣٤

(٢) الاخلاق عند الغزالي لزكي المبارك ص ١١٩ .

(٣) الحقيقة ـ دنيا ص ١٠٩

(٤) مجلة الهلال مجلد ١٥ ج ٦ .

ابن سينا ، بل لاشتماله على غير قليل من الآراء التي نقمها على الفلاسفة ورماهم من أجلها بالابتداع إن لم نقل بأكثر من الابتداع [١]» .

ويضع بويج هذا الكتاب في قائمة الكتب التي لم يستطع أن يحدد لها فترة زمنية والتي يجب أن ينظر إلى شرعيتها بعناية [٢] .

أما بالاسيوس فيلاحظ عدم الاحالة إلى هذا الكتاب من الغزالي ، ويعتمد وات على هذه الملاحظة فينكر نسبته له [٣] .

ويرى الأستاذ دنيا أنه صحيح النسبة اليه للأسباب التالية :

١ ـ إن كثيراً من فصوله موجودة بعضها في كتب أخرى [٤] مثل ميزان العمل ، ومعراج السالكين ، وإحياء علوم الدين .

٢ ـ اذا كان الاصل الذي من أجله يجعلنا نشك في نسبة الكتاب للغزالي أنه يتضمن آراء يناقض فيها آراءه في الكتب الأخرى ، فان من طبيعة الغزالي أن يصرح في الكتب العامة برأي ، ويسجل في كتب الخاصة رأياً آخر [٥] .

٣ ـ وعند الغزالي في كتاب معراج السالكين [٦] أنه سيتناول النفس بالدراسة في كتاب خاص ، فلم لا يكون هذا الكتاب هو نفسه الذي وعد به .

٤ ـ اشترط في كتاب « معارج القدس » نفس مايشترط في جواهر القرآن لكتب الخاصة [٧] .

٥ ـ ذكر الغزالي هذا الكتاب في « خلاصة التصانيف » في معرض جوابه على

---

(١) الاخلاق في الاسلام ص ١٥٦

(٢) Bouyeges الكتاب السابق ص ٨٩ .

(٣) المرجع السابق . الهامش

(٤) الحقيقة ـ دنيا ٩٤ وما بعدها .

(٥) دنيا ص ١٥٣

(٦) المعراج ص ٣٤

(٧) دنيا ص ١٥٤

أحد تلاميذه ، فأشار عليه بقراءة كتاب « معراج القدس » والظن أنه تحريف « لمعارج القدس ».

ولا بد من الاشارة الى أن الدكتور عبد الرحمن بدوي أعـد كتاباً عن مؤلفات الغزالي بتكليف من المجلس الأعلى للآداب والفنون استعداداً لمؤتمر « الغزالي » في دمشق .

* * *

وفي ختام هذه المقدمة لابد لي من ان اقدم جزيل الشكر وأوفره لأستاذي الجليل الدكتور أحمد فؤاد الأهواني ، الذي كان صاحب الفضل حين أشار علي بأن أقوم بهذا العمل ، وفي متابعة ارشاده ونصحه .

واني لأرجو أن أكون قد انجزت مهمتي كما أراد خدمة للمهتدين بهذا الفرع من الدراسات الاسلامية ، وللراغبين في معرفة « الغزالي » الرجل الذي قال عنه دوبور « انه أعجب شخصية في تاريخ الاسلام ».

عبد الكريم العثمان

ذكر كلام عبد الغافر بن اسماعيل الفارسي (١)

٥٢٩ هـ

قال أبو الحسن عبد الغافر بن اسماعيل الخطيب الفارسي خطيب نيسابور[٢] محمد بن محمد بن محمد أبو حامد الغزالي ، حجة الاسلام والمسلمين ، إمام أئمة الدين ، لم تر العيون مثله لساناً وبياناً ، ومنطقاً وخاطراً وذكاء وطبعاً ، أخذ طرفاً في صباه بطوس[٣] من الفقه على الإمام أحمد الراذكاني[٤] ، ثم قدم نيسابور مختلفاً إلى درس إمام الحرمين[٥] في طائفة من الشبان من طوس ، وجد واجتهد حتى تخرج في مدة قريبة ، وبز الأقران وحمل القرآن ، وصار أنظَرَ أهل زمانه ،

---

(١) هو عبد الغافر بن اسماعيل الخطيب الفارسي ، الحافظ أبو الحسن الفارسي ثم النيسابوري ولد سنة ٤٥١ هـ وتفقه على إمام الحرمين ، وكان إماماً حافظاً أديباً صنف السياق لتاريخ نيسابور وشرح غريب مسلم . توفي سنة ٥٢٩ هـ . والكلام مأخوذ من الطبقات الكبرى للسبكي .

(٢) مدينة بخراسان أنظر ياقوت معجم البلدان طبعة لايبزيغ مجلد ٤ ص ٨٥٧

(٣) إحدى مدن خراسان تتألف من طابران ونوقان . انظر المرجع السابق مجلد ٣ ص ٥٦٠

(٤) هو احمد بن محمد ابو حامد الرازكاني من قرى طوس . لم يذكر له تاريخ وفاة انظر السبكي الطبقات الكبرى ج ٣ ص ٣٦ الطبعة الحسينية .

(٥) هو عبد الملك الجويني الملقب بأبي المعالي ، من كبار فقهاء الشافعية درس في النظامية ببغداد وسافر إلى الحجاز فترة توفي سنة ٤٧٨ هـ

وأوْحَدَ أقرانه في أيام إمام الحرمين ، وكان الطلبة يستفيدون منه ، ويُدرِّس لهم ، ويرشدهم ، ويجتهد في نفسه . وبلغ الأمر به إلى أن أخذ في التصنيف . وكان الإمام مع علو درجته وسمو عبارته وسرعة جريه في النطق والكلام ، لا يصفي نظره إلى الغزالي سراً لإبائه عليه في سرعة العبارة وقوة الطبع ، ولا يطيب له تصديه للتصانيف وإن كان متخرجاً به منتسباً إليه كما لا يخفى من طبع البشر ، ولكنه يظهر التبجح به والاعتداد بمكانه ظاهراً خلاف مايضمره ثم بقي كذلك إلى انقضاء أيام الإمام .

فخرج من نيسابور وصار الى العسكر [1] واحتل من نظام الملك [2] محل القبول ، وأقبل عليه الصاحب لعلو درجته ، وظهور اسمه ، وحسن مناظرته وجري عبارته . وكانت تلك الحضرة محط رحال العلماء ، ومقصد الأئمة والفصحاء ، فوقعت للغزالي اتفاقات حسنة من الاحتكاك بالأئمة وملاقاة الخصوم اللد ومناظرة الفحول ومناقدة الكبار ، وظهر اسمه في الآفاق وارتفق بذلك أكمل الارتفاق حتى أدت به الحال إلى أن رسم للمصير إلى بغداد للقيام بتدريس المدرسة الميمونة النظامية [3] بها فصار اليها ، وأعجب الكل تدريسه ومناظرته ، ومالقي مثل نفسه ؛ وصار بعد إمامة خراسان إمام العراق .

ثم نظر في علم الأصول وكان قد أحكمها فصنف فيه تصانيف ، وجدد المذهب في الفقه فصنف فيه تصانيف ، وسبك الخلاف ، فجدد فيه أيضاً تصانيف . وعلت

---

(١) عسكر نيسابور ياقوت معجم البلدان ج ٣ ص ٦٧٧

(٢) الحسن بن علي .. نظام الملك الطوسي وزر لألب ارسلان ، ثم للسلطان ملكشاه اقترنت المدارس النظامية باسمه ، وقد انشأها لتدعيم الثقافة السنية مقابل الثقافية الفاطمية وأهم هذه المدارس : مدرسة بغداد ، مدرسة نيسابور ، مدرسة بلخ .. الخ .. قتل سنة ٤٨٥ بيد أحد الباطنيه .

(٣) احدى المدارس التي أنشأها نظام الملك .

حشمته ودرجته في بغداد حتى كانت تغلب حشمة الأكابر والأمراء ودار الخلافة، فانقلب الأمر من وجه آخر .

وظهر عليه بعد مطالعة العلوم الدقيقة وممارسة الكتب المصنفة فيها وسلك طريق الزهد والتأله ، وترك الحشمة وطرح ما نال من الدرجة للاشتغال بأسباب التقوى وزاد الآخرة ، فخرج عما كان فيه وقصد بيت الله وحج ثم دخل الشام وأقام في تلك الديار قريباً من عشر سنين يطوف ويزور المشاهد المعظمة ، وأخذ في التصانيف المشهورة التي لم يُسْبق إليها ، مثل إحياء علوم الدين[1] ، والكتب المختصرة منه ، مثل الأربعين وغيرها من الرسائل التي من تأملها علم محل الرجل من فنون العلم .

وأخذ في مجاهدة النفس ، وتدبير الأخلاق ، وتحسين الشمائل ، وتهذيب المعـــاش ، فانقلب شيطان الرعونة ، وطلب الرياسة والجاه ، والتخلق بالأخلاق الذميمة ، إلى سكون النفس ، وكرم الأخلاق والفراغ عن الرسوم والترتيبات ، وتزيا بزي الصالحين وقصر الأمل ووقف الأوقات على هداية الخلق ، ودعائهم إلى مايعنيهم من أمر الآخرة وتبغيض الدنيا والاشتغال بها على السالكين ، والاستعداد للرحيل الى الدار الباقية ، والانقياد بكل من يتوسم فيه أو يشم منه رائحة المعونة أو التيقظ بشيء من أنوار المشاهدة حتى مرن على ذلك ولان .

ثم عاد الى وطنه ملازماً بيته مشتغلاً بالتفكر ، ملازماً للوقت ، مقصوداً تقياً وذخراً للقلوب لكل من يقصـــده ويدخل عليه ، إلى أن أتى على ذلك مدة ، وظهرت التصانيف وفشت الكتب ولم تبد في أيامه مناقضة لما كان فيـــه ولا اعتراض لأحد على مأمره . حتى انتهت نوبة الوزارة الى الأجل فخر الملك[2] جمال الشهداء تغمده الله برحمته ، وتزينت خراسان بحشمته ودولته ، وقد سمـــع

---

(١) من أهم الكتب تأثيراً في الفكر والمجتمع الاسلاميين وسيأتي الحديث عنه .

(٢) أبو المظفر علي بن نظام الملك وكان أكبر أولاده قتل سنة ..٥ بيد احد الباطنية.

وتحقق بمكان الغزالي ودرجته وكمال فضله وحالته وصفاء عقيدته ومعاشرته ، فتبرك به وحضره وسمع كلامه ، فاستدعى منه أن لا يبقي أنفاسه وفوائده عقيمة لا استفادة منها ولا اقتباس من أنوارها ، وألح عليه كل الالحاح وشدد في الاقتراح الى أن أجاب الى الخروج وحمل الى نيسابور وكان الليث غائباً عن عرينه ، والأمر خافياً في مستور قضاء الله ومكنونه ، فأشير عليه بالتدريس في المدرسة الميمونة النظامية عمرها الله فلم يجد بداً من الاذعان لمولاه ، ونوى باظهار ما اشتغل به هداية الشداة ، وإفادة القاصدين ، دون الرجوع الى ما انخلع عنه وتحرر عن رقه من طلب الجاه ومماراة الاقران ومكابرة المعاندين ؛ وكم قرع عصاه بالخلاف والوقوع فيه ، والطعن فيما يذره ويأتيه ، والسعاية به والتشنيع عليه ، فما تأثر به ولا اشتغل بجواب الطاعنين ولا أظهر استيحاشاً بغميزة المخلطين . ولقد زرته مراراً وما كنت أحدث نفسي ماعهدته في سالف الزمان عليه من الزعارة وإيحاش الناس والنظر اليهم بعين الازدراء ، والاستخفاف بهم كبراً وخيلاء ، واغتراراً بما رزق من البسطة في النطق والخاطر والعبارة ، وطلب الجاه والعلو في المنزلة إنه صار على الضد وتصفى عن تلك الكدورات . وكنت أظن أنه متلفع بجلباب التكلف متيمن بما صار اليه . فتحققت بعد التروي والتنقير ان الأمر على خلاف المظنون وأن الرجل أفاق بعد الجنون ، وحكى لنا في ليال كيفية أحواله من ابتداء ماظهر له من سلوك طريق التأله وغلبة الحال عليه بعد تبحره في العلوم واستطالته على الكل بكلامه ، والاستعداد الذي خصه الله به في تحصيل أنواع العلوم ، وتمكنه من البحث والنظر حتى تبرم من الاشتغال بالعلوم الغريبة عن المعاملة وتفكر في العاقبة وما يجدي وما ينفع في الآخرة ، فابتدأ بصحبة الفارمدي[1] وأخذ منه استفتاح الطريقة ، وامتثل ما كان يشير به عليه من القيام بوظائف

(١) الفضل بن محمد من أهل طوس تفقه على الغزالي الكبير « وهو غير أبي حامد » وصاحب القشري توفي سنة ٤٧٧

العبادات والامعان في النوافل واستدامة الأذكار والجد والاجتهاد طلباً للنجاة ، الى أن جاز تلك العقبات ، وتكلف تلك المشاق وما تحصل على ما كان يطلبه من مقصوده . ثم حكى أنه راجع العلوم وخاض في الفنون وعاود الجد والاجتهاد في كتب العلوم الدقيقة واقتفى تأويلها حتى انفتح له أبوابها ، وبقي مدة في الوقائع وتكافؤ الأدلة وأطراف المسائل ، ثم حكى أنه فتح عليه باب من الخوف بحيث شغله عن كل شيء وحمله على الإعراض عما سواه حتى سهل ذلك وهكذا هكذا الى أن ارتاض كل الرياضة ، وظهرت له الحقائق ، وصار ما كنا نظن به تمرساً وتخلقاً ، طبعاً وتحققاً ، وإن ذلك أثر السعادة المقدرة له من الله .

ثم سألناه عن كيفية رغبته في الخروج من بيته ، والرجوع الى مادعي إليه من أمر نيسابور فقال معتذراً عنه : ما كنت أجوز في ديني إلى أن أقف عن الدعوة ومنفعة الطالبين بالإفادة .وقد حق علي أن أبوح بالحق وأنطق به وأدعو إليه ، وكان صادقاً في ذلك .

ثم ترك ذلك قبل أن يترك(١) وعاد الى بيته ، واتخذ في جواره مدرسة لطلبة العلم ، وخانقاه للصوفية ، وكان قد وزع أوقاته على وظائف الحاضرين من ختم القرآن ،ومجالسة أهل القلوب ، والقعود للتدريس ،بحيث لا تخلو لحظة من لحظاته ولحظات من معه عن فائدة ، إلى أن أصابه عين الزمان ، وضنت به الايام على أهل عصره ، فنقله الى كريم جواره بعد مقاساة أنواع من التقصد والمناوأة من الخصوم ، والسعي به الي الملوك ، وكفاه الله وحفظه وصانه من أن تنوشه أيدي المنكبات ، أو ينتهك ستر دينه بشيء من الزلات . وكانت

(١) قد تفيد هذه العبارة تحسس الغزالي بتغير الجو عليه في بلاط السلطان وقد يكون المقصود منها ، المعنى الصوفي أي انه رغب عن الدنيا والتدريس خشية التقصير في امور الآخرة

خاتمة أمره إقباله على حديث المصطفى ﷺ، ومجالسة أهله، ومطالعة الصحيحين البخاري ومسلم اللذين هما حجة الاسلام، ولو عاش لسبق الكل في ذلك الفن بيسير من الايام يستفرغه في تحصيله. ولا شك أنه سمع الاحاديث في الايام الماضية واشتغل بآخر عمره بسماعها ولم تتفق له الرواية، ولا ضرر فيما خلفه من الكتب المصنفة في الأصول والفروع، وسائر الأنواع تخلد ذكره، وتقرر عند المطالعين المستفيدين منها أنه لم يخلف مثله بعده.

مضى الى رحمة الله يوم الاثنين الرابع عشر من جمادى الآخرة سنة خمس وخمسمائة. ودفن بظاهر قصبة طابران[1] والله تعالى يخصه بأنواع الكرامة في آخرته، كما خصه بفنون العلم في دنياه بمنّه. ولم يعقب إلا البنات. وكان له من الأسباب إرثاً وكسباً، مايقوم بكفايته، ونفقة أهله وأولاده، فما كان يباسط أحداً في الأمور الدنيوية، وقد عرضت عليه أموال فما قبلها وأعرض عنها واكتفى بالقدر الذي يصون به دينه ولا يحتاج معه الى التعرض لسؤال ومنال من غيره.

ومما كان يعترض به عليه وقوع خلل من جهة النحو يقع في أثناء كلامه.

وروجع فيه فأنصف من نفسه، واعترف بأنه ما مارس ذلك الفن واكتفى بما يحتاج اليه في كلامه، مع أنه كان يؤلف الخطب، ويشرح الكتب بالعبارات التي تعجز الأدباء والفصحاء عن امثالها، وأذن للذين يطالعون كتبه فيعثرون على خلل فيها من جهة اللفظ أن يصلحوه ويعذروه فما كان قصده إلا المعاني وتحقيقها، دون الالفاظ وتلفيقها.

ومما نقم عليه ماذكر من الالفاظ المستبشعة بالفارسية، في كتاب كيمياء السعادة[2]

---

(١) إحدى مدينتي طوس والمدينة الاخرى نوقان. ياقوت معجم البلدان ج٣ ص٤٨٦

(٢) انظر فهرس الآثار المطبوعة للغزالي في نهاية الكتاب.

والعلوم ، وشرح بعض الصور والمسائل بحيث لايوافق مراسم الشرع ، وظاهر ما عليه قواعد الاسلام ، وكان الأولى به والحق أحق مايقال ، ترك ذلك التصنيف والاعراض عن الشرح به ، فان العوام ربما لايحكمون أصول القواعد بالبراهين والحجج ، فاذا سمعوا شيئاً من ذلك تخيلوا منه ماهو المضر بعقائدهم ، وينسبون ذلك الى مـــذاهب الأوائل . على ان المنصف اللبيب ، اذا رجع إلى نفسه علم أن اكثر ما ذكره مما رمز اليه إشارة الشرع ، وإن لم يبح به ، ويوجد أمثاله في كلام مشايخ الطريقة مرموزة ومصرح بها متفرقة ، وليس لفظ منها إلا وكما يشعر احد وجوهه بكلام موهم فانه يشعر سائر وجوهه بما يوافق عقائد أهل الملة ، فلا يجب إذاً حمله إلا على موافق ، ولا ينبغي أن يتعلق به في الرد متعلق ، إذا أمكنه أن يبين له وجهاً في الصحة يوافق الأصول ، على أن هذا القـدر يحتاج الى من يظهره ويقوم به ، وكان الاولى أن يترك الافصاح بذلك كما تقدم ذكره ، وليس كل ما يتفرد ويتمشى لأحد تقديره ينبغي أن يظهره بل اكثر الاشياء فيما يدري ويطوى ولا يحكى ، فعلى ذلك درج الأولون من السلف الصالحين ، إبقـاء على مراسم الشرع وصيانة الدين عن طعن الطاعنين وغيرة المارقين الجاحدين والله الموفق للصواب.

وقد ثبت أنه سمع سنن أبي داود السجستاني(١) عن الحاكم أبي الفتح الحاكمي الطوسي وماعثرت على سماعـه ، وسمع من الاحاديث المتفرقة آلافاً من الفقهاء فمما عثرت عليه ماسمعه من كتاب مولد النبي ﷺ من تأليف أبي بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الشيباني ، رواية الشيخ أبي بكر أحمد بن الحرث الاصبهاني الإمام ، عن أبي محمـــد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان بن المنصف ، وقد سمعه الإمام الغزالي من الشيخ أبي عبد الله محمد بن أحمـد الخواري خوار طابران

---

(١) من كبار المشتغلين بالحديث توفي سنة ٢٧٥ ه

مع ابنيه الشيخين عبد الجبار وعبد الحميد وجماعة من الفقهـــاء . ومن ذلك ماقال أخبرنا الشيخ أبو عبد الله بن محمد أحمـــد الخواري ، أخبرنا أبو بكر بن الحارث الأصبهاني ، أخبرنا أبو محمد بن حيان ، أخبرنا أبو بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم بن ابراهيم بن المنذر الخوارزمي ، حدثنا عبد العزيز بن أبي ثابت ، حدثني الزبير بن موسى ، عن أبي الحويرث قال سمعت عبد الملك بن مروان ، سأل قثات بن أشيم الكناني ، أنت أكبر أم رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ أكبر مني ، وأنا أسن منه ، ولد رسول الله ﷺ عام الفيل وتمام الكتاب في جزء من مسموع له .

ذكر كلام ابن عساكر الدمشقي (١)

٤٩٩ - ٥٧١

أخبرنا الشيخ أبو الحسن عبد الغافر بن اسماعيل الفارسي في كتابه قال:
(محمد بن محمد أبو حامد الغزالي . . . .
. . . .)(٢).

سمعت الشيخ الفقيه، الإمام أبا القاسم سعد بن علي بن أبي القاسم، بن أبي هريرة الاسفرايني، الصوفي، الشافعي، بدمشق(٣). قال: سمعت الشيخ الامام الأوحد زين القراء، جمال الحرم، أبا الفتح عامر بن فحام بن عامر العربي الساوي، بمكة حرسها الله، يقول: دخلت المسجد الحرام، يوم الأحد، فيما بين الظهر والعصر، الرابع عشر من شوال سنة خمس واربعين وخمسمائة، وكان بي نوع تكسر ودوران رأس، بحيث أني لا أقدر أن أقف، أو أجلس، لشدة ما بي. وكنت أطلب موضعاً، استريح

---

(١) هو ابو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله. صنف كتاب تاريخ الشام، وتبيين كذب المفتري، ولد سنة ٤٩٩، وتوفي بدمشق سنة ٥٧١ هـ.
والكلام مأخوذ من كتابه « تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الامام أبي الحسن الاشعري.

(٢) انظر كلام عبد الغافر ص ٤٢ - ٤٧ من الكتاب

(٣) حدثنا بهذه الحكاية الامام أبو جعفر أحمد بن ابي بكر القرطي قال سمعت الشيخ ابا الفتح عامر بن فحام وذلك بحضرة شيخنا ابي القاسم في حين سماعنا لهذا الكتاب عليه. ومن اثبت اسمه بالسماع سمعها من لفظ الشيخ ابي جعفر.

فيه ساعة على جنبي ، فرأيت باب بيت الجماعة للرباط الرامشتي عند باب العزورة ، مفتوحاً ، فقصدته ودخلت فيه ووقعت على جنبي الأيمن ، بحذاء الكعبة المشرفة مفترشاً يدي تحت خدي ، لكيلا يأخذني النوم ، فتنتقض طهارتي ؛ فاذا برجل من أهل البدعة ، معروف بهـــا جاء ونشر مصلاه ، على باب ذلك البيت وأخرج لويحاً من جيبه أظنه كان من الحجر وعليه كتابة فقبله ، ووضعه بين يديه ، وصلى صلاة طويلة ، مرسلاً يديه فيها على عادتهم . وكان يسجد على ذلك اللويح في كل مرة ، فاذا فرغ من صلاته ، سجد عليه وأطال فيه ، وكان يمعك خده من الجانبين عليه ، ويتضرع في الدعاء ، ثم رفع رأسه فقبله ، ووضعه على عينيه ، ثم قبله ثانياً ، وأدخله في جيبه كما كان . قال فلما رأيت ذلك كرهته واستوحشت منه ذلك ؛ وقلت في نفسي ليت أن رسول الله ﷺ كان حياً فيما بيننا ليخبرهم بسوء صنيعهم ، وماهم عليـه من البدعة ، ومع هـذا التفكر كنت أطرد النوم عن نفسي كيلا يأخذني ، فتفسد طهارتي ، فبينا أنا كذلك إذ طرأ علي النعاس ، وغلبني ، فكأني بين اليقظة والمنام فرأيت عرصة واسعة فيها ناس كثيرون ، واقفين وفي يد كل واحد منهم كتاب مجلد ، قد تحلقوا كلهم على شخص ، فسألت الناس عن حالهم ، وعمن في الحلقة ، قالوا هو رسول الله ﷺ وهؤلاء أصحاب المذاهب يريدون أن يقرؤوا مذاهبهم واعتقادهم من كتبهم على رسول الله ﷺ ، ويصححوه عليه . قل فبينا أنا كذلك أنظر الى القوم ، إذ جاء واحد من أهل الحلقة ، وبيده كتاب ، وقيل إن هـذا الشافعي رضي الله عنه ، فدخل في وسط الحلقة ، وسلم على رسول الله ﷺ ، قال : فرأيت رسول الله ﷺ ، في جماله ، وكماله ، متلبساً بالثياب البيض المغسولة النظيفة ، من العمامة والقميص وسائر الثياب ، على زي أهل التصوف ؛ فرد عليه الجواب ، ورحب به ، وقعد الشافعي بين يديه ، وقرأ من الكتاب مذهبه واعتقاده عليه ، وبعد ذلك جاء شخص آخر ، قيل هو أبو حنيفة رضي الله عنه وبيـده كتاب ،

فسلم وقعد بجنب الشافعي ، وقرأ من الكتاب مذهبه واعتقاده ، ثم أتى بعده كل صاحب مذهب ، الى أن لم يبق إلا القليل ، وكل من يقرأ يقعد بجنب الآخر . فلما فرغوا إذا واحد من المبتدعة الملقبة بالرافضة قد جاء وفي يده كراريس غير مجلدة ، فيها ذكر عقائدهم الباطلة ، وهمّ أن يدخل الحلقة ، ويقرأها على رسول الله ﷺ ، فخرج واحدٌ ممن كان مع رسول الله ﷺ ، وأخذ الكراريس من يده ، ورماها الى خارج الحلقة ، وطرده وأهانه ؛ قال فلما رأيت أن القوم قد فرغوا وما بقي أحد يقرأ عليه شيئاً تقدمت قليلاً ، وكان في يدي كتاب مجلد ؛ فناديت وقلت يارسول الله ، هذا الكتاب معتقدي ، ومعتقد أهل السنة ، لو أذنت لي حتى أقرأه عليك ، فقال ﷺ ؛ وإيش ذاك ، قلت : يارسول الله ، هو **قواعد العقائد**[1] الذي صنفه الغزالي ، فأذن لي في القراءة ، فقعدت وابتدأت :

بسم الله الرحمن الرحيم ، كتاب قواعد العقائد ، وفيه أربعة فصول .

الفصل الأول .

في ترجمة عقيدة أهل السنة ، في كلمة الشهادة ، التي هي أحد مباني الاسلام ، فنقول وبالله التوفيق : الحمد لله ، المبدىء المعيد ، الفعال لما يريد ، ذي العرش المجيد ، والبطش الشديد ، الهادي صفوة العبيد ، الى المنهج الرشيد ، والمسلك السديد ؛ المنعم عليهم بعد شهادة التوحيد ، بحراسة عقائدهم ، عن ظلمات التشكيك والترديد ، السابق بهم الى اتباع رسوله المصطفى ﷺ ، واقتفاء صحبه الأكرمين بالتأييد والتسديد ، المتجلي لهم في ذاته وأفعاله ، بمحاسن أوصافه التي لا يدركها إلا من ألقى السمع وهو شهيد ؛ المعرف إياهم في ذاته أنه

---

(١) كتاب قواعد العقائد ذكره الغزالي في الاحياء ج ١ص ٩ طبعة الحلبي . والغزالي في آرائه الكلامية مساير للأشعري إلا في أمور أوضحها في كتبه الكلامية .

واحد لاشريك له ، صمد لاضد له ، منفرد لاند له ، وأنه قديم لا أول له ، أزلي لابداية له ، مستمر الوجود لا آخر له ، أبدي لانهاية له ، قيوم لاانقطاع له ، دائم لا انصرام له ، لم يزل و لا يزال ، موصوفاً بنعوت الجلال ، لايقضى عليه بالانقضاء ، تصرم الآباد وانقراض الآجال ، بل هو الأول والآخر ، والباطن والظاهر .

التنزيه : وأنه ليس بجسم مصور ، ولا جوهر محدد مقدر ، وأنه لايماثل الأجسام ، لافي التقدير ولا بقبول الانقسام ، وأنه ليس بجوهر ، ولا تحله الجواهر ، ولا بعرض ، ولا تحله الأعراض ، بل لايماثل موجوداً ، ولا يماثله موجود ، وليس كمثله شيء ، ولا هو مثل شيء ، وأنه لايحده المقدار ، ولا تحويه الاقطار ، ولا تحيط به الجهات . ولا تكتنفه الارضون والسموات . وأنه استوى على العرش على الوجه الذي قاله ، وبالمعنى الذي أراده ، استواء منزهاً عن المماسة والاستقرار ، والتمكن والحلول والانتقال . لا يحمله العرش ، بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته ، ومقهورون في قبضته . وهو فوق العرش ، وفوق كل شيء ، الى تخوم الثرى ، فوقية لا تزيده قرباً الي العرش والسما ، بل هو رفيع الدرجات عن العرش ، كما أنه رفيع الدرجات عن الثرى . وهو مع ذلك قريب من كل موجود ، وهو أقرب الى العبيد من حبل الوريد ، وهو على كل شيء شهيد . إذ لايماثل قربه قرب الأجسام ، كما لا تماثل ذاته ذات الاجسام ، وأنه لايحل في في شيء ، ولا يحل فيه شيء ، تعالى أن يحويه مكان ، كما تقدس عن أن يحده زمان . كان قبل أن خلق الزمان والمكان ، وهو الآن على ماعليه كان . وأنه بائن من خلقه بصفاته ، وليس في ذاته سواه ، ولا في سواه ذاته . وأنه مقدس عن التغيير والانتقال ، لاتحله الحوادث ، ولا تعتريه العوارض ، بل لايزال في نعوت جلاله منزهاً عن الزوال ، وفي صفات كماله مستغنياً عن زيادة الاستكمال؛ وأنه في ذاته

معلوم الوجود بالعقول ، مرئي الذات بالابصار ، نعمة منه ولطفاً بالأبرار ، في دار القرار ، وإتماماً للنعيم بالنظر الى وجهه الكريم .

القدرة : وأنه حي قادر ، جبار قاهر ، لا يعتريه قصور ولا عجز ، ولا تأخذه سنة ولا نوم ، ولا يعارضه فناء ولا موت ، وأنه ذو الملك والملكوت ، والعزة والجبروت ، له السلطان والقهر ، والخلق والأمر ، السموات مطويات بيمينه ، والخلائق مقهورون في قبضته . وانه المنفرد بالخلق والاختراع ، المتوحد بالايجاد والإبداع ، خلق الخلق وأعمالهم وقدر أرزاقهم وآجالهم ، لا يشذ عن قبضته مقدور ، ولا يعزب عن قدرته تصاريف الأمور ، ولا تحصى مقدوراته ، ولا تتناهى معلوماته .

العلم : وأنه عالم بجميع المعلومات ، محيط علمه بما يجري في تخوم الأرضين الى أعلى السموات ، لا يعزب عن علمه مقدار ذرة في الأرض ولا في السماء ، بل يعلم دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء ، في الليلة الظلماء ، ويدرك حركة الذر في جو الهواء ، ويعلم السر وأخفى ، ويطلع على هواجس الضمائر ، وحركات الخواطر ، وخفيات السرائر بعلم قديم أزلي ، لم يزل موصوفاً في أزل الآزال ، لا بعلم مجدد حاصل في ذاته بالحلول والانتقال .

الإرادة : وأنه مريد الكائنات ، مدبر الحادثات ، ولا يجري في الملك والملكوت قليل أو كثير ، صغير أو كبير ، خير أو شر ، نفع أو ضر ، إيمان أو كفر ، عرفان أو نكر ، فوز أو خسر ، زيادة أو نقصان ، طاعة أو عصيان ، كفر أو إيمان ، إلا بقضائه أو قدره ، وحكمه ومشيئته ، فما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن . لا يخرج عن مشيئته لفتة ناظر ، ولا فلتة خاطر ، بل هو المبدىء المعيد ، الفعال لما يريد ، لا رادَّ لحكمه ولا معقب لقضائه ، ولا مهرب لعبد عن معصيته إلا بتوفيقه ورحمته ، ولا قوة على طاعته ، إلا بمحبته وإرادته ، لو اجتمع

الإنس والجن ، والملائكة والشياطين ، على أن يحركوا في العالم ذرة أو يسكنوها دون إرادته ومشيئته ، عجزوا عنه . وأن إرادته قائمة بذاته ، في جملة صفاته ، لم يزل كذلك موصوفاً بها ، مريداً في أزله لوجود الأشياء في أوقاتها التي قدرها ، فوجدت في أوقاتها كما أراده في أزله ، من غير تقدم وتأخر ، بل وقعت على وفق علمه وإرادته ، من غير تبـــدل وتغيير . دبر الأمور لابترتيب أفكار وتربص زمان ، فلذلك لم يشغله شأن عن شأن .

السمع والبصر : وأنه تعالى سميع بصير ، يسمع ويرى ، ولا يعزب عن سمعه مسموع وإن خفي ، ولا يغيب عن رؤيته مرئي وإن دق ، لايحجب سمعه بعد ، ولا يدفع رؤيته ظلام ، يرى من غير حدقة وأجفان ، ويسمع من غير أصمخـــة وآذان ، كما يعلم بغير قلب ، ويبطش بغير جارحة ، ويخلق بغير آلة ، إذ لايشبه صفاته صفات الخلق ، كما لايشبه ذاته ذات الخلق .

الكلام : وانه متكلم ، آمر ناه ، واعد متوعد ، بكلام أزلي قديم ،قائم بذاته، لايشبه كلام الخلق ، فليس بصوت يحدث من انسلال هواء، واصطكاك أجرام ، ولابحرف ينقطع بإطباق شفة ، أو تحريك لسان ، وأن القرآن والتورة والانجيل والزبور ، كتبه المنزلة على رسله ، وأن القرآن مقروء بالألسنة ، مكتوب بالمصاحف ، محفوظ في القلوب ، وأنه مع ذلك قديم ، قائم بذات الله تعالى ، لايقبل الانفصال ، والفراق بالانتقال ، إلى القلوب والأوراق ، وأن موسى عليه السلام ، سمع كلام الله بغير صوت ولاحرف . كما يرى الأبرار ذات الله تعالى من غير جوهر ولاعرض ، وإذ كانت له هذه الصفات ، كان حياً عالماً ، قادراً مريداً ، سميعاً بصيراً ، متكلماً بالحياة والعلم ، والقدرة والارادة، والسمع والبصر والكلام ، لابمجرد الذات .

الأفعال : وأنه لاموجود سواه إلا وهو حادث بفعله ، وفائض من عدله ،

على أحسن الوجوه وأكملها ، وأتمها وأعدلها . وأنه حكيم في أفعاله ، وعادل في أقضيته ، ولا يقاس عدله في عدل العباد ، إذ العبد يتصور منه الظلم بتصرفه في ملك غيره ، ولا يتصور الظلم من الله تعالى ، فانه لا يصادف لغيره ملكاً ، حتى يكون تصرفه فيه ظلماً ، فكل ما سواه من جن ، وإنس ، وشيطان ، وملك ، وسماء ، وأرض ، وحيوان ، ونبات ، وعرض ، ومدرك ، ومحسوس ، حادث اخترعه بقدرته بعد العدم اختراعاً وإنشاء ، بعد أن لم يكن شيئاً ، إذ كان في الأزل موجوداً وحده ، ولم يكن معه غيره . فأحدث الخلق بعد إظهاراً لقدرته ، وتحقيقاً لما سبق من إرادته ، وحق في الأزل من كلمته ، لا لافتقاره إليه وحاجته . وأنه تعالى متفضل بالخلق والاختراع . والتكليف لا عن وجوب ، ومتطول بالانعام والاصلاح لا عن لزوم ، فله الفضل والاحسان والنعمة والامتنان ، إذ كان قادراً على أن يصب على عباده أنواع العذاب ، ويبتليهم بضروب الآلام والأوصاب ، ولو فعل ذلك كان منه عدلاً ، ولم يكن قبيحاً ولا ظلماً . وأنه يثيب عباده على الطاعات بحكم الكرم والوعد ، لا بحكم الاستحقاق واللزوم ، إذ لا يجب عليه فعل ، ولا يتصور منه ظلم ، ولا يجب عليه حق . وأن حقه في الطاعات وجب على الخلق بايجابه على لسان أنبيائه ، لا بمجرد العقل ، ولكنه بعث الرسل ، وأظهر صدقهم بالمعجزات الظاهرة ، فبلغوا أمره ونهيه ، ووعده ووعيده ، فوجب على الخلق تصديقهم بما جاؤوا به .

معنى الكلمة الثانية : وهي شهادة الرسول ﷺ أنه تعالى ، بعث النبي الأمي القرشي ، محمداً ﷺ ، برسالته ، إلى كافة العرب والعجم والجن والانس .

قال : فلما بلغت إلى هذا رأيت البشاشة والتبسم في وجهه ﷺ ، إذ انتهيت إلى نعته وصفته ، فالتفت إلي ، وقال : أين الغزالي ، فاذا بالغزالي كأنه كان واقفاً على الحلقة بين يديه ، فقال : هأنذا يارسول الله ، وتقدم وسلم على

رسول الله ﷺ ، فرد عليه الجواب ، وناوله يده العزيزة ، والغزالي يقبل يده ، ويضع خديه عليها ، تبركاً به ، وبيده العزيزة المباركة ، ثم قعد. قال: فما رأيت رسول الله ﷺ ، أكثر استبشاراً بقراءة أحد ، مثل ما كان بقراءتي عليه قواعد العقائد .

ثم انتبهت من النوم ، وعلى عيني أثر الدمع ، مما رأيت من تلك الأحوال ، والمشاهدات والكرامات ، فانها كانت نعمة جسيمة من الله تعالى ، سيما في آخر الزمان ، مع كثرة الاهواء ، فنسأل الله تعالى أن يثبتنا على عقيدة أهل الحق ، ويحيينا ويميتنا عليها ، ويحشرنا معهم ، ومع الأنبياء والمرسلين ، والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقاً ، فانه بالفضل جدير ، وعلى مايشاء قدير .

قال الشيخ الإمام أبو القاسم الإسفرايني : هذا معنى ماحكى لي أبو الفتح الساوي ، أنه رآه في المنام لأنه حكاه لي بالفارسية ، وترجمته أنا بالعربية .

وتتمة الفصل الأول من فصول قواعد العقائد ، الذي يتم بـه الاعتقاد ، لم يتفق قراءته إياه على رسول الله ﷺ ، ومن المصلحة إثباته ليكون الاعتقاد تاماً في نفسه ، غير ناقص لمن أراد تحصيله وحفظه ، بعد قوله : وإنه تعالى بعث النبي الأمي القرشي محمداً ﷺ ،برسالته إلى كافة العرب والعجم والجن والانس ، « فنسخ بشرعته الشرائع إلا ماقرر، وفضله على سائر الانبياء وجعله سيد البشر، ومنع كمال الإيمان بشهادة التوحيد وهو قول لا إله إلا الله ، مالم يقترن به شهادة الرسول ، وهو قول محمد رسول الله ، فألزم الخلق تصديقه ، في جميع ما أخبر عنه من الدنيا والآخرة .

وأنه لايتقبل إيمان عبد ، حتى يوقف بما أخبر عنه بعد الموت ، وأوله سؤال منكر ونكير ، وهما شخصان مهيبان ، هائلان، يقعدان العبد في قبره ، سوياً ذا روح وجسد ، فيسألانه عن التوحيد ويقولان من ربك ، ومادينك

ومن نبيك ؟ وهما فتانا القبر ، وسؤالهما أول فتنة القبر بعد الموت ، وأن يؤمن بعذاب القبر ، وأنه حق وحكمة ، وعدل على الجسم والروح ، على مايشاء.

ويؤمن بالميزان ذي الكفتين ، واللسان وصفته في العظم ،مثل أنه مثل طباق السموات والأرض ، توزن فيه الأعمال بقدرة الله تعالى ، والسنج يومئذ مثاقيل الذر والخردل ، تحقيقاً لتمام العدل . وتطرح صحائف الحسنات في صورة حسنة، في كفة النور فيثقل بها الميزان ، على قدر درجاتها عند الله ، بفضل الله تعالى، وتطرح صحائف السيئات ، في كفة الظلمة ، فيخف بها الميزان بعدل الله تعالى .

وأن يؤمن بأن الصراط حق ، وهو جسر ممدود على متن جهنم ، أحد من السيف ، وأدق من الشعر ، تزل عليه أقدام الكافرين بحكم الله تعالى ، فيهوي بهم الى النار . ويثبت عليه أقدام المؤمنين ، فيساقون إلى دار القرار .

وأن يؤمن بالحوض المورود ، وهو حوض محمد ﷺ ، يشرب منه المؤمنون قبل دخول الجنة ، وبعد جواز الصراط ، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً . عرضه مسيرة شهر ، ماؤه أشد بياضاً من اللبن ، وأحلى من العسل ، حوله أباريق عددها عدد نجوم السماء ، فيه ميزابان يصبان من الكوثر.

ويؤمن بيوم الحساب ، وتفاوت الخلق فيه ، إلى مناقش في الحساب ، وإلى مسامح فيه ، إلى من يدخل الجنة بغير حساب . وهم المقربون ، فيسأل من شاء من الانبياء عن تبليغ الرسالة ومن شاء من الكفار عن تكذيب المرسلين ، ويسأل المبتدعة عن السنة ، ويسأل المسلمين عن الاعمال .

ويؤمن باخراج الموحدين من النار بعد الانتقام ، حتى لايبقى بجهنم موحد بفضل الله تعالى .

ويؤمن بشفاعة الانبياء ، ثم العلماء ، ثم الشهداء ، ثم سائر المؤمنين ، كل على حسب جاهه ومنزلته ، ومن بقي من المؤمنين ولم يكن له شفيع ، أخرج

بفضل الله تعـــالى ، ولا يخلد في النار مؤمن ، بل يخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان .

وأن يعتقد فضل الصحابة وترتيبهم ، وأن أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ ، أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم علي ، رضي الله عنهم . وأن يحسن الظن بجميع الصحابة ، ويثني عليهم كما أثنى الله تعالى ورسوله عليه السلام وعليهم أجمعين .

فـكل ذلك مما وردت به الاخبار ، وشهدت به الآثار ، فمن اعتقـد جميع ذلك موقناً به ، كان من أهل الحق وعصابة السنة ، وفارق رهط الضلال والبدعة . فنسأل الله تعالى كمال اليقين ، والثبات في الدين ، لنا ولـكافة المسلـمين ، إنه أرحم الراحمين . وصلى الله على محمد وآله أجمعين .



ذكر كلام أبي الفرج بن الجوزي (١)

٥٩٧ هـ

محمد بن محمد بن محمد أبو حامد الغزالي ، ذكر أنه ولد سنة خمسين وأربعمائة ، وتفقه على أبي المعالي الجويني ، وبرع في النظر في مدة قريبة ، وقاوم الأقران ، وتوحد وصنف الكتب الحسان في الأصول والفروع ، التي انفرد بحسن وضعها وترتيبها ، وتحقيق الكلام فيها ، حتى أنه صنف في حياة أستاذه الجويني ، فنظر الجويني في كتابه المسمى بالمنخول[٢] ، فقال له : « دفنتني وأنا حي ؛ هلا صبرت حتى أموت » أراد ، أن كتابك قد غطى على كتابي .

ووقع له القبول من نظام الملك ، فرسم له التدريس بمدرسته ببغداد ، فدخل بغداد سنة أربع وثمانين ، ودرس بها ، وحضره الأئمة الكبار ، كابن عقيل ، وأبي الخطاب ، وتعجبوا من كلامه ، واعتقدوه فائدة ، ونقلوا كلامه في مصنفاتهم.

ثم إنه ترك التدريس والرياسة ، ولبس الخام الغليظ ، ولازم الصوم ، وكان لا يأكل إلا من أجرة النسخ ؛ وحج وعاد .

---

(١) هو أبو الفرج عبد الرحمن بن علي .. ابن الجوزي ولد سنة ٥١٠ هـ وتوفي سنة ٥٩٧ هـ. والكلام من كتابه « المنتظم في تاريخ الملوك والأمم » مادة وفيات ٥٠٥ هـ .

(٢) من أجل مؤلفات الغزالي . أنظر مؤلفات الغزالي في نهاية الكتاب

ثم رحل إلى الشام ، وأقام ببيت المقـــدس ، ودمشق مدة ، يطوف المشاهد . وأخذ في تصنيف كتاب الإحياء في القدس ، ثم أتمه بدمشق ، إلا أنه وضعه على مذهب الصوفية ، وترك فيه قانون الفقه . مثل أنه ذكر في محو الجاه ومجاهدة النفس ، أن رجلاً أراد محو جاهه ، فدخل الحمام ، فلبس ثياب غـيره ، ثم لبس ثيابه فوقها ، ثم خرج يمشي على مهل حتى لحقوه ، فأخذوهـا منه ، وسمي سارق الحمام ؛ وذكر مثل هذا على سبيل التعليم للمريدين قبيح ، لأن الفقه يحكم بقبح هذا ، فانه متى كان للحمام حافظ ، وسرق سارق قطـــع ، ثم لا يحل لمسلم أن يتعرض لأمر يأثم الناس به في حقه . وذكر أن رجلاً اشترى لحماً ،فرأى نفسه تستحي من حمله إلى بيته ، فعلقه في عنقه ومشى ، وهذا في غاية القبح . ومثله كثير ليس هذا موضعه .

وقد جمعت أغلاط الكتاب وسميته (إعلام الأحياء بأغلاط الإحياء)، وأشرت إلى بعض ذلك في كتابي المسمى بتلبيس إبليس ، مثل ما ذكر في كتاب النكاح ، أن عائشة قالت للنبي ﷺ ، أنت الذي تزعم أنك رسول الله؟ ، وهذا محـال . وإنما كان سبب إعراضه فيما وضعه عن مقتضى الفقه ، أنه صحب الصوفية ، فرأى حالتهم الغاية ، وقال إني أخذت الطريقة من أبي علي الفارمدي وامتثلت ما كان يشير به من وظائف العبادات ، واستدامة الذكر ، إلى أن جزت تلك العقبات ، وتكلفت تلك المشاق ، وماحصلت ما كنت أطلبـــه ، ثم إنه نظر في كتاب أبي طالب المكي[1] وكلام المتصوفة القدماء ، فاجتذبه ذلك بمره ، عما يوجبه الفقه ، وذكر في كتاب الإحياء من الأحاديث الموضوعة ، وما لا يصح غير قليل .وسبب ذلك قلة معرفته بالنقل ، فليته عرض تلك الأحاديث عـلى من يعرف ، وإنما نقل نقل حاطب ليل .

---

(١) كتاب قوت القلوب وهو من أهم كتب الصوفية .

وكان قد صنف للمستظهر [1] كتاباً في الرد على الباطنية ، وذكر في آخره مواعظ الخلفاء . فقال : روي أن سليمان بن عبد الملك ، بعث الى أبي حازم ، ابعث إليّ من إفطارك فبعث اليه نخالة مقلوة فبقي سليمان ثلاثة أيام لا يأكل ثم أفطر عليها ، وجامع زوجته ، فجاءت بعبد العزيز ، فلما بلغ ، ولد له عمر بن عبد العزيز وهذا من أقبح الأشياء لأن عمر ، ابن عم سليمان ، وهو الذي ولاه ، فقد جعله ابن ابنه ، فما هذا حديث من يعرف من النقل شيئاً ، أصلاً .

وكان بعض الناس شغف بكتاب الإحياء ، فأعلمته بعيوبه ، ثم كتبته له ، فأسقطت مايصلح إسقاطه وزدت مايصلح أن يزاد .

ثم إن أبا حامد عاد إلى وطنه ، مشتغلاً بتعبده ، فلما صارت الوزارة إلى فخر الملك ، أحضره ، وسمع كلامه ، وألزمه بالخروج إلى نيسابور ، فخرج ودرس ثم عاد الى وطنه ، واتخذ في جواره مدرسة ورباطاً للمتصوفة ، وبنى داراً حسنة وغرس فيها بستاناً ، وتشاغل بحفظ القرآن ، وسمع الصحاح ؛ سمعت إسمعيل بن علي الموصلي [2] الواعظ ، يحكي عن أبي منصور الرزاز [3] ، الفقيه ، قال دخل أبو حامد بغداد فقوّمنا ملبوسه ومركوبه خمسمائة دينار ، فلما تزهد وسافر ، وعاد إلى بغداد ، فقومنا ملبوسه خمسة عشر قيراطاً . وحدثني بعض الفقهاء عن أنو شروان وكان قد وزر للخليفة ، أنه زار أبا حامد الغزالي فقال له أبو حامد : زمانك محسوب عليك ،

---

(١) هو العباس احمد المستظهر بالله بويع بالخلافة بعد المقتدي سنة ٤٨٧ هـ واستمر الى ان توفي سنة ٥١٢ .

(٢) أبو الفداء الواعظ الشافعي مات بالموصل سنة ٥٩٢ هـ

(٣) سعيد بن محمد .. الرزاز من كبار أئمة بغداد ولد سنة ٤٦٢ تفقه على الغزالي وغيره ودرس بالنظامية . توفي سنة ٥٣٩ هـ

وأنت كالمستأجر ، فتوفرك على ذلك أولى من زيارتي . فخرج أنو شروان وهو يقول لا إله إلا الله ، هذا الذي كان في أول عمره يستزيدني فضل لقب في ألقابه كان يلبس الذهب والحرير ، فآل أمره إلى هذا الحال .

توفي أبو حامد يوم الاثنين ، رابع عشر جمادى الآخرة ، من هذه السنة ، بطوس ، ودفن بها وسأله قبيل الموت بعض أصحابه أوصني ! فقال: عليك بالاخلاص فلم يزل يكررها حتى مات .

★ ★ ★

ذكر كلام ياقوت الحموي (١)

٦٢٦ هـ

وأما الغزالي أبو حامد ، فهو الامام المشهور ، صاحب التصانيف التي ملأت الارض طولاً وعرضاً قرأ على أبي المعالي الجويني ودرس بالنظامية بعد أبي اسحق، ونال من الدنيا أربه ثم انقطع إلى العبادة ، فحج الى بيت الله الحرام ، وقصدالشام وأقام بالبيت المقدس مدة . وقيل إنه قصد الاسكندرية وأقام بمنارتها ، ثم رجع إلى طوس ، وانقطع إلى العبادة ، فألزمه فخر الملك بن نظام الملك بالتدريس بمدرسته في نيسابور ، فامتنع ، وقال أريد العبادة ، فقال لايحل لك ان تمنع المسلمين الفائدة منك ، فدرس .

ثم ترك التدريس ، ولزم منزله بطوس، حتى مات بالطابران منها ، في رابع عشر جمادى الآخرة ، سنة ٥٠٥ ودفن بظاهر الطابران ، وكان مولده سنة ٤٥٠ هـ ورثاه الأديب الأبيوردي [٢] فقال :

بكى على حجة الاسلام حين ثوى من كل حي عظيم القدر أشرفه

---

(١) من كتابه معجم البلدان مادة طوس.

(٢) الابيوردي : محمد بن احمد ابو المظفر شاعر ونسابة ولد في ابيورد . توفي مسموماً بأصفهان سنة ٥٠٧ هـ

وما لمن يجـــتزي في الله عبرته عـــلي أبي حامـــد لاح يعنفـــه

تلك الرزيئة تستهوي قوى جلدي والطرف تسهده والدمع تنزفـــه

فماله خـــلة في الزهد منكرة ولاله شبه في الخلق تعرفـــه

مضى وأعظم مفقود فجعت بـــه من لانظير له في الخلق يخلفـــه

★ ★ ★

ذكر كلام ابن خلكان (١)

٦٨١ هـ

لم يكن للطائفة الشافعية في آخر عصره مثله ، اشتغل في مبدأ أمره بطوس على أحمد الراذكاني ، ثم قدم نيسابور ، واختلف الى دروس إمام الحرمين أبي المعالي الجويني ، وجد في الاشتغال ، حتى تخرج في مدة قريبة ، وصار من الأعيان المشار اليهم في زمن أستاذه ، وصنف في ذلك الوقت . وكان أستاذه يتبجح به . ولم يزل ملازماً له ، الى أن توفي في التاريخ المذكور في ترجمته ، فخرج من نيسابور إلى العسكر ، ولقي الوزير ، نظام الملك ، فأكرمه وعظمه ، وبالغ في الاقبال عليه . وكان بحضرة الوزير جماعة من الأفاضل ، فجرى بينهم الجدال والمناظرة في عدة مجالس ، وظهر عليهم ، واشتهر اسمه ، وسارت بذكره الركبان ثم فوض اليه التدريس بمدرسته النظامية ببغداد ، فجاءها وباشر إلقاء الدروس بها ، وذلك في جمادى الأولى سنة أربع وثمانين وأربعمائة ، وأعجب به أهل العراق وارتفعت عندهم منزلته .

ثم ترك جميع ما كان عليه ، في ذي القعدة سنة ثمان وثمانين واربعمائة ، وسلك طريق الزهد والانقطاع ، وقصد الحج ، فلما رجع ، توجه الى الشام ، فأقام بمدينة

---

(١) من كتابه «وفيات الأعيان» .

دمشق مدة ، يذاكر الدروس في زاوية الجامع في الجانب الغربي منه ،وانتقل منها الى بيت المقدس ، واجتهد في العبادة ، وزيارة المشاهد ، والمواضع المعظمة .

ثم قصد مصر ، وأقام بالاسكندرية مدة ، ويقال إنه قصد منها الركوب في البحر إلى بلاد المغرب ، على عزم الاجتماع بالأمير يوسف بن تاشفين [1] صاحب مراكش ، وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى فبينما هو كذلك بلغه نعي يوسف بن تاشفين المذكور ، فصرف عزمه عن تلك الناحية .

ثم عاد الى وطنه بطوس ، واشتغل بنفسه ، وصنف الكتب المفيدة في عدة فنون منها ماهو أشهرها : كتاب الوسيط ، والبسيط ، والوجيز ، والخلاصة في الفقه ومنها إحياء علوم الدين ، وهو من أنفس الكتب وأجملها ، وله في أصول الفقه المستصفى ، فرغ من تصنيفه في سادس المحرم سنة ثلاث وخمسمائة ، وله : المنخول ، والمنتحل ، في علم الجدل ، وله تهافت الفلاسفة ، ومحك النظر ، ومعيار العلم ، والمقاصد ، والمضنون به على غير أهله ، والمقصد الاسنى في شرح اسماءالله الحسنى ، ومشكاة الانوار ، والمنقذ من الضلال ، وحقيقة القولين ، وكتبه كثيرة وكلها نافعه .

ثم ألزم بالعود إلى نيسابور ، والتدريس بها بالمدرسة النظامية ، فأجاب إلى ذلك بعد تكرار المعاودات . ثم ترك ذلك وعاد الى بيته في وطنه ،واتخذ خانقاه للصوفية ومدرسة للمشتغلين بالعلم في جواره ، ووزع أوقاته على وظائف الخير ، من ختم القرآن ، ومجالسة أهل القلوب ، والقعود للتدريس ، إلى ان انتقل الى ربه.

---

(١) أبو يعقوب يوسف بن تاشفين امير المسلمين اختط مدينة مراكش بالمغرب وتوفي سنة ٥٠٠ ه

ويروى له شعر ، فمن ذلك مانسبه اليه الحافظ أبو سعد السمعاني [1] في الذيل وهو قوله :

حلت عقارب صدغه في خده قمراً فجل بها عن التشبيه
ولقد عهدناه يحل ببرجها فمن العجائب كيف حلت فيه

ورأيت هذين البيتين في موضع آخر لغيره ، والله أعلم .

ونسب اليه العماد الاصبهاني [2] هذين البيتين وهما :

هبني صبوت كما ترون بزعمكم وحظيت منه بلثم خد أزهر
إني اعتزلت فلا تلوموا أنه أضحى يقابلني بوجه أشعر

ونسب اليه البيتين اللذين قبلهما.

وكانت ولادته سنة خمسين واربعمائة وقيل سنة إحدى وخمسين ، وتوفي يوم الاثنين ، رابع عشر جمادى الآخرة ، سنة خمس وخمسمائة ، بالطابران ، رحمه الله تعالى .

ورثاه الأديب أبو المظفر محمد الابيوردي الشاعر المشهور ، وسيأتي ذكره ان شاء الله تعالى بأبيات فائقة من جملتها :

مضى وأعظم مفقود فجعت به من لانظير له في الناس يخلفه

وتمثل الامام إسماعيل الحاكمي بعد وفاته بقول أبي تمام من جملة قصيدة مشهورة:

عجبت لصبري بعده وهو ميت وكنت امرأ أبكي دماً وهو غائب

---

(١) أبو سعد أو ابو سعيد عبد الكريم بن ابي محمد التميمي السمعاني المرزوي له عدد من المؤلفات اهمها : تذييل تاريخ بغداد للحافظ أبي بكر الخطيب ، وكتاب الانساب توفي بمرو سنة ٥٦٢ .

(٢) ابو عبد الله محمد بن صفي الدين فقيه شافعي واديب ، من اهم مؤلفاته : البرق الشامي والجزيرة ، توفي سنة ٥٩٧

على أنها الايام قد صرن كلها عجائب حتى ليس فيها عجائب

دفن بظاهر الطابران ، وهي قصبة طوس ، وقد تقدم الكلام على الطوسي والغزالي ، في ترجمة أخيه أحمد الزاهد ، والواعظ ، المذكور في حرف الهمزة ، والطابران بفتح الطاء المهملة ، والباء الموحدة ، وراء مهملة ، وبعد الألف الثانية نون . وهي إحدى بلدتي طوس كما تقدم في ترجمة أحمد أيضاً .

★ ★ ★

ذكر كلام الذهبي (١)

٧٤٨ هـ

الشيخ ، الإمام البحر ، حجة الاسلام ، أعجوبة الزمان ، زين الدين ، أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن احمد الطوسي الشافعي الغزّال ، صاحب التصانيف ، والذكاء المفرط . تفقه ببلده أولاً ، ثم تحول الى نيسابور في مرافقة جماعة من الطلبة ، فلازم إمام الحرمين ، فبرع في الفقه في مدة قريبة ، ومهر في الكلام والجدل ، حتى صار عين الناظرين ، وأعاد للطلبة ، وشرع في التصنيف ، فما أعجب ذلك شيخه أبا المعالي ، ولكنه مظهر للتبجح به .

ثم سار أبو حامد الى المخيم السلطاني ، فأقبل عليه نظام الملك الوزير ، وسر بوجوده ، وناظر الكبار بحضرته ، فانبهر له ، وشاع أمره ، فولاه النظام تدريس نظامية بغداد ، فقدمها بعد الثمانين وأربعمائة ، وسنه نحو الثلاثين ، وأخذ في تأليف أصول الفقه ، والكلام ، والحكمة ، وأدخله سيلان ذهنه في مضايق الكلام ، ومزالّ الأقدام ، ولله سر في خلقه . وعظم جاه الرجل

---

(١) هو شمس الدين ابو عبد الله محمد بن احمد التركماني الدمشقي ولد سنة ٦٧٣ هـ وتوفي سنة ٧٤٨ بدمشق اشتهر بالحديث خاصة . وله تلاميذ كثر منهم السبكي صاحب الطبقات الشافعية . ومؤلفاته عديدة . والكلام مأخوذ من كتابه « سير اعلام النبلاء » مخطوط بدار الكتب المصرية . يحققه الآن الدكتور صلاح الدين المنجد وقد اخرج منه مجلدين حتى الآن.

وازدادت حشمته بحيث إنه في دست أمير وفي رتبة رئيس كبير . فأراه نظره في العلوم ، وممارسته لأفانين الزهديات ، الى رفض الرئاسة ، والإنابة الى دار الخلود ، والتأله والاخلاص وإصلاح النفس ، فحج من وقته ، وزار بيت المقدس ، وصحب معه الفقيه نصر بن أدهم ، بدمشق وأقام مدة ، وألف كتاب الاحياء ، وكتاب الاربعين ، وكتاب القسطاس ، وكتاب محك النظر ؛ وراض نفسه وجاهدها ، وطرد شيطان الرعونة ، ولبس زي الأتقياء .

ثم بعد سنوات سار الى وطنه ، لازماً لسننه ، حافظاً لمعرفته ، مكباً على العلم . ولما وزر فخر الملك أحضر أبا حامد ، والتمس منه أن لا تبقى أنفاسه عقيمة، وألح على الشيخ الى أن لان الى القدوم الى نيسابور ، فدرس بنظاميتها ، فذكر هذا وأضعافه عبد الغافر في السياق ، الى أن قال ولقد زرته مراراً . .

. . . . (١)

قلت : مانقمه عبد الغافر ، على أبي حامد في الكيمياء ، فله أمثاله في غضون تواليفه ، حتى قال ابن العربي[٢] : شيخنا أبو حامد بلع الفلاسفة ، وأراد أن يتقيأهم فما استطاع .

ومن معجم أبي علي الصيرفي ، تأليف القاضي عياض ، له قال : « والشيخ أبو حامد ، ذو الانباء الشنيعة ، والتصانيف العظيمة ، علا في طريقة التصوف ، وتجرد لنصرة مذهبهم ، وألف فيه تواليفه المشهورة ، أخذ عليه فيها مواضع ، وساءت به ظنون أمته ، والله أعلم بسره ، ونفذ أمر السلطان عندنا بالمغرب ، وفتوى الفقهاء باحراقها ، والبعد عنها ، فامتثل ذلك. مولده سنة خمسين وأربعمائة . »

---

(١) انظر كلام عبد الغافر الفارسي في اول الكتاب .

(٢) ابو بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي الاندلسي ، رحل الى المشرق في مستهل شهر ربيع الاول ٤٨٥ هـ . ودخل الشام ، والقي ابا الوليد الطرطوشي . ثم دخل بغداد وحج موسم سنة ٤٨٩ وعاد الى بغداد . ثم رجع الى الاندلس سنة ٤٩٣ وتوفي سنة ٥٤٣ هـ

قلت مازال العلماء يختلفون ، ويتكلم العالم في العالم باجتهاده ، وكل منهم معذور مأجور ، ومن عارض أو خرق الاجماع مأزور ، والى الله ترجع الأمور .

ولأبي المظفر يوسف سبط بن الجوزي ، في كتاب رياض الأفهام في مناقب أهل البيت ، قال : « ذكر أبو حامد في كتابه سر العالمين وكشف مافي الدارين ، فقال في حديث من كنت مولاه ، إن عمر قال لعلي بخ بخ أصبحت مولى كل مؤمن ومؤمنة ، قال أبو حامد وهذا تسليم ورضى ، ثم بعد هذا غلب عليه الهوى حباً للرئاسة ، وعقد البنود ، وأمر الخلافة ونهيها ، فحملهم على الخلاف ، فنبذوه وراء ظهورهم ، واشتروا به ثمناً قليلاً ، فبئس مايشترون . وسرد كثيراً من هذا الكلام الفسّيل ، الذي تزعمه الامامية [1] . وما أدري ماعذره في هذا ؛ والظاهر أنه رجع عنه وتبع الحق ، فان الرجل من بحور العلم والله أعلم . هذا إن لم يكن هذا وضع هذا ، وما ذاك يبعيد ، ففي هذا التأليف بلايا لاتطبيب ؛ وقال في أوله : أنه قرأه عليه محمد بن تومرت المغربي سراً بالنظامية قال وتوسمت فيه الملك »

قلت : قد ألف الرجل في ذم الفلاسفة ، كتاب التهافت ، وكشف عوارهم ، ووافقهم في مواضع ، ظناً منه أن ذلك حق أو موافق للملة ، ولم يكن له علم بالآثار ، ولا خبرة بالسنن النبوية العاصية على العقل ، وحبب إليه إدمان النظر في كتاب رسائل إخوان الصفا ، وهؤلاء عضال وجرب مرد وسم قتال ولولا أن أبا حامد من كبار الأذكياء ، وخيار المخلصين لتلف . فالحذار الحذار من هذه الكتب ، واهربوا بدينكم من شبه الأوائل ، وإلا وقعتم في الحيرة . فمن رام النجاة والفوز ، فليلزم العبودية ، وليدمن الاستغاثة بالله ،

---

(١) إحدى فرق الشيعة .

وليبتهل الى مولاه في الثبات على الاسلام ، وأن يتوفى على إيمان الصحـــابة ، وسادة التابعين ، والله الموفق ، فيحسن قصد العالم فيغفر له ، وينجو إن شاء الله.

وقال أبو عمرو بن الصلاح[1] : « فصل لبيان أشياء مهمة ، أنكرت على أبي حامد . في تواليفه أشياء لم يرتضها أهل مذهبه من الشذوذ، منها قوله في المنطق هو مقدمة العلوم كلها ، ومن لايحيط به لاثقة له بعلوم أصلاً ، فهذا مردود ، إذ كل صحيح الذهن منطقي بالطبع ، وكم من إمام رفع بالمنطق رأساً ، فأما كتاب المضنون به على غير أهله ، فمعاذ الله أن يكون له ؛ شاهدت على نسخة به ، بخــط القاضي كمال الدين محمد بن عبد الله الشهرزوري ، أنه موضوع على الغزالي ، وأنه مخترع من كتاب مقاصد الفلاسفة ، وقد نقضه الرجل بكتاب التهافت » .

وقال أحمد بن صالح الجيلي في تاريخه : « أبو حامد لقب بالغزالي ، برع في الفقه ، وكان له ذكاء وفطنة وتصرف ، وقدرة على انشاء الكلام ، وتأليف المعاني ، ودخل في علوم الأوايل ، الى أن قال ، وغلب عليه استعمال عباراتهم في كتبه ، واستدعي لتدريس النظامية ببغداد ، في سنة أربع وثمانين ، وبقي إلى أن غلبت عليه الخلوة ، وترك التدريس ، ولبس الثياب الخشنة ، وتقلل في مطعومه ، الى ان قال « وجاور بالقدس ، وشرع في الإحياء هناك ، أعني بدمشق ، وحج وزار ، ورجع الى بغداد » وسمع منه كتاب الاحياء ، وغيره فقد حدث بها إذاً ثم سرد تصانيفه .

ورأيت كتاب الكشف والانبا ، عن كتاب الإحيا ، للمازري[2]، أوله:

---

(١) المتوفى سنة ٦٤٣ هـ وله رأي في كتاب المضنون انه ليس للغزالي لأنه يحتوي على القول بقدم العالم والكتاب الذي بين ايدينا بهذا العنوان لايحتوي على شيء من هذا القبيل .

(٢) ابوعبد الله محمد علي المازري الفقيه المالكي المحدث ولد بـ « مـــازر » من صقلية توفي سنة ٥٣٦ هـ

« الحمد لله الذي أنار الحق وأداله ، وأبار الباطل وأزاله ، ثم أورد المازري أشياء مما نقده على أبي حامد ، يقول : « ولقد أعجب من قول مالكية ، يرون مالكاً الامام ، يهرب من التجديد ، ويجانب أن يرسم رسماً ، وإن كان فيه أثر ما أو قياس ، تورعاً وتحفظاً من الفتوى فيما يحمل الناس عليه ، ثم يستحسنون من رجل فتاوي مبناها على مالا حقيقة له ، وفيه كثير من الآثار عن النبي ﷺ لفق فيه الثابت بغير الثابت ؛ وكذا ما أورد عن السلف ، لايمكن ثبوته كله. وأورد من نزعات الأولياء ونفثات الاصفياء مايحل موقعه لكن مزج فيه النافع بالضار ، كإطلاقات يحكيها عن بعضهم ، لايجوز إطلاقها لشناعتها ، وإن أخذت معانيها على ظواهرها ، كانت كالرموز الى قدح الملحدين ، ولا تنصرف معانيها الى الحق ، إلا بتعسف على اللفظ ، مما لا يتكلف العلماء مثله ، إلا في كلام صاحب الشرع ، الذي اضطرت المعجزات الدالة على صدقه المانعة من جهله وكذبه ، الى طلب التأويل . كقوله : إن القلب بين اصبعين من أصابع الرحمن ؛ وأن السماوات على اصبع ؛ وكقوله : لأحرقت سبحات وجهه . وكقوله : يضحك الله . الى غير ذلك من الأحاديث الوارد ظاهرها بما أحاله العقل . الى أن قال : « فاذا كانت العصمة غير مقطوع بها في حق الولي ، فلا وجه لاضافة مالا يجوز إطلاقه إليه ، إلا أن يثبت ، وتدعو ضرورة الى نقله ، فيتأول » الى أن قال : « ألا ترى لو أن مصنفاً أخذ يحكي عن بعض الحشوية مذهبه ، في قدم الصوت والحرف وقدم الورق ، لما حسن به أن يقول قال بعض المحققين : إن القارىء اذا قرأ كتاب الله عاد القارىء في نفسه قديماً ، بعد أن كان محدثاً . أو قال بعض الحذاق : ان الله يحل للحوادث اذا أخذ في حكاية مذاهب الكرامية » .

وقال قاضي الجماعة أبو عبد الله محمد بن القرطبي : « إن بعض من يعظ ، ممن كان ينتحل رسم الفقه ، ثم تبرأ منه شغفاً بالشرعة الغزالية ، والنحلة الصوفية ، أنشأ كراسة تشتمل على معنى التعصب ،لكتاب أبي حامد : إمام بدعتهم ، فأين هو

(١) يقصد ما يقوله الحشوية من ان الصوت والحرف والورق كلها قديمة في القرآن .

من شنع منا كيره ، ومضاليل أساطيره ، المباينة للدين . وزعم أن هـذا من علم المعاملة ، المفضي الى علم المكاشفة ، الواقع بهم على سر الربوبية ، الذي لا يسفر عن قناعه ، ولا يفوز باطلاعه ، إلا من تخطى اليه ثبج ضلالته ، التي رفع لهم أعلامها ، وشرع أحكامها . قال ابو حامد وأدني النصيب من هذا العلم التصديق به ، وأقل عقوبته أن لا يرزق المنكر منه شيئاً ، فاعرض قوله على قوله (الغزالي) : « ولا تشتغل بقراءة قرآن ، ولا بكتب حديث ، لأن ذلك يقطعه عن الوصول الى إدخال رأسه في كم جبته ، والتدثر بكسائه ، فيسمع نداء الحق فهو يقول : ذروا ما كان السلف عليه ، وبادروا ما أمركم به» ثم إن هذا العاصي أقذع وسب و كفر، وأسرف . نعوذ بالله من الهوى .

وقال ابو حامد ، وصدور الاحرار قبور الأسرار ، ومن أفشى سر الربوبية كفر ، ورأى قتل مثل الحلاج[1] خيراً من أحياء عشرة ،لاطلاقه ألفاظا . ونقل عن بعضهم قال : للربوبية سر ، لو ظهر لبطلت النبوة ؛ وللنبوة سر ، لو كشف لبطل العلم ؛ وللعلم سر ، لو كشف لبطلت الأحكام .

قلت : سر العلم قد كُشف لصوفية أشقياء ، فحلوا النظام ، وبطل لديهم الحلال والحرام ، قال ابن حمدين ، ثم قال الغزالي : والقائل بهذا إن لم يرد إبطال النبوة في حق الضعفاء ، فما قال ليس بحق ، فان الصحيح لا يتناقض ، وان الكامل من لا يطفىء نور معرفته نور ورعه .

وقال الغزالي في العارف : فتتجلى له أنوار الحق ، وتنكشف له العلوم المرموزة المحجوبة عن الخلق . فيعرف معنى النبوة ، وجميع ماوردت به ألفاظ الشريعة ، التي نحن منها على ظاهر لا على حقيقة .

وقال عن بعضهم : اذا رأيته في البداية قلت صديقاً ، واذا رأيته في النهاية قلت زنديقاً . ثم فسره الغزالي فقال : اذاً اسم الزنديق لا يلصق إلا بمعطل الفرائض لا بمعطل النوافل .

---

(١) صاحب مذهب الحلول .

وقال : وذهبت الصوفية الى العلوم الالهامية دون التعليمية ، فتجلس فارغ القلب ، بمجموع الهم ، تقول الله الله على الدوام ، فليفرغ قلبه ، ولا يشتغل بتلاوة ، ولا كتب حديث ، قال فاذا بلغ هذا الحد ، التزم الخلوة في بيت مظلم ، وتدثر بكسائه ، فحينئذ يسمع نداء الحق : « يأأيها المدثر » ، و « يأأيها المزمل » .

قلت : سيد الخلق إنما يسمع « يأأيها المدثر » من جبريل عن الله ، وهذا الأحمق لم يسمع نداء الحق أبداً ، بل سمع شيطاناً أو سمع شيئاً لاحقيقة ، من طيش دماغه ، والتوفيق في الاعتصام بالسنة والاجماع .

قال ابو بكر الطرطوشي[1] شحن أبو حامد الإحياء بالكذب على رسول الله ﷺ ، فلا أعلم كتاباً على بسيط الارض أكثر كذباً منه ، ثم شبكه بمذاهب الفلاسفة ، ومعاني رسائل اخوان الصفاء وهم يرون النبوة مكتسبة ، وزعموا أن المعجزات حيل وتخاريق .

قال ابن عساكر : حج ابو حامد وأقام بالشام نحواً من عشر سنين ، وصنف ، وأخذ نفسه بالمجاهدة ، وكان مقامه بدمشق في المنارة القريبة من الجامع ، فسمع صحيح البخاري من أبي سهيل الحفصي ، وقدم دمشق في سنة تسع وثمانين .

وقال ابن خلكان : بعثه النظام على مدرسته ببغداد ، في سنة أربع وثمانين ، وتزهد وحج ، وأقام بدمشق مدة بالزاوية الغربية ، ثم انتقل الى بيت المقدس ، وتعبد . ثم قصد مصر وأقام مدة بالاسكندرية ، فقيل عزم على المضي الى يوسف ابن تاشفين ، سلطان مراكش ، فبلغه نعيه ثم عاد الى طوس ، وصنف البسيط ، والوسيط ، والوجيز والخلاصة ، والإحياء ، وألف المستصفى في أصول الفقه ، والمنتحل في الجدل ، وتهافت الفلاسفة ، ومحك النظر ، ومعيار العلم ، وشرح

---

(١) ابو بكر محمد بن الوليد الاندلسي الطرطوشي فقيه مالكي رحل الى الشرق عام ٤٧٦ ودرس على الشاشي وغيره . توفي سنة ٥٢٠ هـ

الأسماء الحسنى ، ومشكاة الانوار ، والمنقذ من الضلال ، وحقيقة القولين،وأشياء .

قال ابن النجار : ابو حامد امام الفقهاء على الاطلاق ورباني الأمة بالاتفاق ، ومجتهد زمانه ، وعين أوانه ، برع في المذهب ، والأصول ، والخلاف ، والجدل ، والمنطق ، وقرأ الحكمة والفلسفة ، وفهم كلامهم ، وتصدى للرد عليهم ، وكان شديد الذكاء ، قوي الادراك ، ذا فطنة ثاقبة ، وغوص في المعاني ، حتى قيل انه ألف المنخول ، فرآه أبو المعالي فقال دفنتني وأنا حي ، فهلا صبرت أي أن ، كتابك غطى على كتابي . » ثم روى ابن النجار بسنده ، أن والد أبي حامد كان يغزل الصوف ويبيعه في دكانه بطوس ، فأوصى بولديه محمد وأحمد الى صديق له صوفي صالح ، فعلمهما الخط ، وفني ماخلفه لهما ابوهما ، وتعذر عليهما القوت ، فقال لكما أن تلجآ الى المدرسة ، كأنكما طالبين للفقه ، عسى يحصل لكما قوت . ففعلا ذلك . قال أبو العباس أحمد الخطيبي ، كنت في حلقة الغزالي ، فقال مات أبي وخلف لي ولأخي مقداراً يسيراً ، ففني بحيث تعذر علينا القوت،فصرنا إلى مدرسة نطلب الفقه ، ليس المراد سوى تحصيل القوت ، فكان تعلمنا لذلك لا لله ، فأبى أن يكون إلا لله .

قال أسعد الميهني [١] : سمعت أبا حامد يقول : هاجرت إلى أبي نصر الاسماعيلي [٢] بجرجان ، فأقمت إلى أن أخذت عنه التعليقة .

قال عبد الله إبن علي الأثيري ، سمعت عبد المؤمن بن علي القسي ، سمعت أبا عبد الله بن تومرت ، يقول: أبو حامد الغزالي قرع الباب وفتح لنا .

---

(١) ابو الفتح اسعد بن ابي نصر . درس بالنظامية وتوفي سنة ٥٢٧ هـ .

(٢) محمد بن ابي بكر احمد . توفي سنة ٤٢٧ هـ . ذكره السبكي في طبقاته الكبرى بهذا الاسم ج ٣ ص ٣٧ . ولم يذكر غيره بهذا الاسم واللقب . ولعل الامر اختلط بينه وبين ابي القاسم الاسماعيلي المتوفي سنة ٤٧٧ هـ انظر السبكي ج ٣ ص ١١٩ .

قال ابن النجار : بلغني أن إمام الحرمين قال الغزالي بحر مغرق ، والكيا[1] أسد مطرق ، والخوافي نار تحرق .

قال أبو بحر العثماني وغيره سمعنا محمد بن يحيى العبدري المؤدب يقول : رأيت بالأسكندرية سنة خمسمائة ، وكأن الشمس قد طلعت من مغربها ، فعبره لي عابر ، ببدعة تحدث فيهم ، فبعد أيام وصل الخبر باحراق كتب الغزالي من المرية[2] .

وفي التوكل من الاحياء مانصه ، وكل ماقسمه الله بين عباده من رزق وأجل وإيمان وكفر ، فكله عدل محض ، ليس في الإمكان أصلا أحسن ، ولا أتم منه ، ولو كان ، وادخره تعالى مع القدرة ، ولم يفعله لكان بخلاً وظلماً . قال أبو بكر بن العربي في شرح الأسماء الحسنى : قال شيخنا أبو حامد قولاً عظيماً ، انتقده عليه العلماء قال : وليس في قدرة الله ، أبدع من هذا العالم ، في الاتقان والحكمة ، ولو كان في القدرة أبدع وأحكم منه ولم يفعله ، لكان ذلك منه قضاء للجود وذلك محال . ثم قال : والجواب أنه باعد في اعتقاد عموم القدرة ، ونفي النهاية ، عن تقدير المقدورات المتعلقة بها ، ولكن في تفاصيل هذا العالم المخلوق لا في سواه . وهذا رأي فلسفي ، قصدت به الفلاسفة قلب الحقائق ، ونسبت الإتقان إلى الحياة مثلاً ، والوجود إلى السمع والبصر ، حتى لا يبقى في القلوب سبيل الى الصواب ، وأجمعت الأمة على خلاف هذا الاعتقاد ، وقالت عن بكرة أبيها ، إن المقدورات لانهاية لها ، لكل مقدر الوجود ، لا لكل حاصل الوجود ، إذ القدرة صالحة ، ثم قال وهذه وهلة لا كفالها ومزلة لاتماسك فيها ؛ ونحن وان كنا نقطة من بحره ، فانا لانرد عليه إلا بقوله ، قلت كذا فليكن الرد بأدب وسكينة .

---

(١) هو الكيا الهراسي علي بن محمد درس بالنظامية ببغداد توفي سنة ٥٠٤ هـ . والكيا كلمة فارسية تفيد معنى الشيخ والرئيس .

(٢) المرية مدينة كبيرة من اعمال الاندلس . ياقوت معجم البلدان ج ٤ ص ١٢٩

ومما أخذ عليه أنه قال: إن للقدر سراً ، نهينا عن إفشائه . فأي سر للقدر؟ فان كان مدركاً بالنظر وصل إليه ولابد ، وان كان مدركاً بالخبر فأثبت فيه شيء، وان كان يدرك بالحال والعرفان فهذه دعوى محضة ، فلعله عنى بافشائه أن نعمق في القدر ونبحث فيه .

أخبرنا محمد بن عبد الكريم أن حطلباس قمرية الصوفي ، أن سعدبن أحمد الاسفرايني بقراتي ، أن أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن محمد الطوسي قال : اعلم أن الدين شطران : أحدهما ترك المناهي ، والآخر فعل الطاعات . وترك المناهي هو الاشد ، والطاعات يقدر عليها كل واحد ، وترك الشهوات لايقدر عليها إلا الصديقون . ولذلك قال ﷺ ، المهاجر من هجر السوء ، والمجاهد من جاهد هواه .

وقال أبو عامر العبدري سمعت أبا نصر أحمد بن محمد بن عبد القاهر الطوسي، يحلف بالله ، أنه أبصر في نومه ؛ كأنه ينظر في كتب الغزالي رحمه الله ، فاذا هي كلها تصاوير . قلت : الغزالي إمام كبير ، ومامن شرط العالم انه لايخطيء .

وقال محمدبن الوليد الطرطوشي ، في رسالة إلى ابن مظفر : فأما ماذكرت من أبي حامد ، فقد رأيته وكلمته فرأيته جليلاً ، من أهل العلم ، واجتمع فيه العقل والفهم ، ومارس العلوم طول عمره ، وفاق على ذلك معظم زمانه ، ثم بدا له العدول عن طريق العلماء ، ودخل في غمار العمال ، ثم تصوف ، وهجر العلوم وأهلها ، ودخل في علوم الخواطر ، وأرباب القلوب ، ووساوس الشيطان ، ثم شابها بآراء الفلاسفة ، ورموز الحلاج ، وجعل يطعن على الفقهاء والمتكلمين ، ولقد كاد أن ينسلخ من الدين ، فلما عمل الإحياء عمد يتكلم في علوم الأحوال ، ومرامز الصوفية ، وكان غير أنيس بها ، ولا خبير بمعرفتها ، فسقط على أم رأسه ، وشحن كتابه بالموضوعات .

قلت : أما الإحياء ففيه من الأحاديث الباطلة جملة ، وفيه خير كثير ، لولا مافيه من آداب ورسوم ، وزهد من طرائق الحكماء ، وتبحر في الصوفية ، نسأل الله علماً نافعاً ، تدري ماالعلم النافع ؟ هو مازل به القرآن وفسره الرسول ﷺ قولاً وفعلاً ، ولم يأت نهي عنه . قال عليه السلام ، من رغب عن سنتي فليس مني ، فعليك ياأخي بتدبر كتاب الله ، وبادمان النظر في الصحيحين ، سنن النسائي ، ورياض النووي ، وأذكاره ، تفلح وتنجح . وإياك وآراء عباد الفلاسفة ، ووظائف اهل الرياضات ، وجوع الرهبان ، وخطاب طيش رؤوس اصحاب الخلوات ، فكل الخير في متابعة الحنيفة السمحة ، فواغوثاه يالله ، اللهم اهدنا إلى صراطك المستقيم ، نعم .

وللامام محمد بن علي المازري الصقلي كلام على الاحياء يدل على إمامته ، يقول: وقد تكررت مكاتبتكم في استعلام مذهبنا في الكتاب المترجم باحياء علوم الدين ، وذكرتم أن آراء الناس منه قد اختلفت ، فطائفة انتصرت وتعصبت لاشهاره ، وطائفة حذرت منه ونفرت ، وطائفة لكتبه احرقت ، وكاتبني أهل المشرق أيضاً يسألوني ، ولم يتقدم لي قراءة هذا الكتاب سوى نبذ منه ، فإن نفس الله في العمر ، مددت فيه الانفاس ، وأزلت عن القلوب الالتباس . اعلموا أن هذا (يعني الغزالي) رأيت تلامذته ، فكل منهم حكى لي نوعاً من حاله ، قام مقام العيان ، فأنا أقتصر على ذكر حاله ، وحال كتابه ، وذكر جمل من مذاهب الموحدين والمتصوفة ، وأصحاب الاشارات والفلاسفة ، فان كتابه متردد بين هذه الطرائق ، ثم إن المازري أثنى على أبي حامد في الفقه ، وقال هو بالفقه أعرف منه بأصوله ، وأما علم الكلام الذي هو أصول الدين فإنه صنف فيه وليس بالمتبحر فيها . ولقد فطنت لعدم استبحاره فيها وذلك أنه قرأ علوم الفلسفة قبل استبحاره في فن الأصول ، فأكسبته الفلسفة جرأة على المعاني ، وتسهلاً للهجوم

على الحقائق ، لأن الفلاسفة مع خواطرها ، لايزعها شرع ، وعرفني صاحب له أنه كان له عكوف على رسائل إخوان الصفا[1] ، وهي إحدى وخمسون رسالة ، ألفها من خاض في علم الشرع والنقل ، وفي الحكمة ، فمزج بين العلمين . وقد كان رجل يعرف بابن سينا[2] ، ملأ الدنيا تصانيف ، أدته قوته في الفلسفة إلى أن حاول رد أصول العقائد إلى علم الفلسفة ، وتلطف جهده حتى تم له مالم يتم لغيره وقد رأيت جملاً من دواوينه ؛ ووجدت أبا حامد يعول عليه في أكثر مايشير اليه من علوم الفلسفة . وأما مذاهب الصوفية ، فلا ادري على من عول فيها ، لكني رأيت فيماعلق بعض أصحابه، أنه ذكر كتب ابن سينا ومافيها ، وذكر بعدذلك كتب أبي حيان التوحيدي[3] ، وعندي أنه عليه عول في مذهب التصوف . وأخبرت أن أبا حيان ألف ديواناً عظيماً في هذا الفن . وفي الإحياء من الواهيات كثير ، قال : وعادة المتورعين ، ان لا يقولوا قال مالك ، وقال الشافعي ، فيما لم يثبت عندهم ثم قال ويستحسن أشياء ، مبناها على مالا حقيقة له ؛ كقص الأظافر أن يبدأ بالسبابة ، لأن لها الفضل على باقي الأصابع ، لأنها المسبحة . ثم قص مايليها من الوسطى ، لأنها ناحية اليمين ، ويختم بإبهام اليمنى . وروى في ذلك أثراً ، قلت هو أثر موضوع . ثم قال : « وقال من مات بعد بلوغه ولم يعلم أن الباري قديم مات مسلماً إجماعاً » ، قال : فمن تساهل في حكاية الاجماع في مثل هذا الذي الأقرب أن يكون الاجماع في خلافه ، فحقيق أن لايوثق بما روى . ورأيت له في الجزء الأول يقول : إن في علومه مالا يسوغ أن يودع في كتاب ، فليت شعري أحق هو أو

(١) جماعة سياسية دينية ذات نزعات شيعية اسماعيلية ظهرت في النصف الثاني من القرن الرابع هجري

(٢) الفيلسوف المعروف المولود سنة ٣٧٠ والمتوفي سنة ٤٢٨ ﻫ .

(٣) علي بن محمد فقيه وفيلسوف ومتصوف يعده علماء عصره احد زنادقة الاسلام الثلاثة « الراوندي وابي العلاء والتوحيدي » ولد سنة ٤٠٠ ولم يذكر ياقوت ولا السبكي ولا دائرة المعارف الاسلامية تاريخاً لوفاته . قال ياقوت مات وله ٨٠ عاماً .

باطل ، فإن كان باطلاً فصدق ؛ وإن كان حقاً وهو مراده بلاشك ، فلم لا يودع في الكتب ؟ ألغموضه ودقته ؟ فإن كان هو فهمه فما المانع أن يفهمه غيره . وقال أبو الفرج بن الجوزي : صنف أبو حامد الاحياء وملأه بالأحاديث الباطلة ، ولم يعلم ببطلانها ، وتكلم على الكشف ، وخرج عن قانون الفقه ، وقال إن المراد بالكوكب والقمر والشمس اللواتي رآهن ابراهيم ، أنوار هي حجب الله عز وجل ، ولم يرد هذه المعروفات . وهذا من جنس كلام الباطنية (١) . وقد رد ابن الجوزي على أبي حامد في كتاب الإحياء ، وبين خطأه في مجلد سماه كتاب (إعلام الأحياء في الرد على كتاب الإحياء) .

قلت مازال الائمة يخالف بعضهم بعضا . وزد على هذا ولسنا ممن يذم العالم بالهوى والجهل . نعم وللامام كتاب كيميا السعادة ، و كتاب المعتقد ولعله المنقذ » ، وكتاب إلجام العوام ، وكتاب الرد على الباطنية ، وكتاب معتقد الأوايل ، و كتاب جواهر القرآن ، و كتاب الغاية القصوى ، وكتاب فضائح الاباحية ، ومسألة غور الدور ، وغير ذلك .

قال عبد الغافر الفارسي ، توفي يوم الاثنين رابع عشر جمادى الآخرة ، سنة خمس وخمسمائة ، وله خمس وخمسون سنة ، ودفن بمقبرة الطابران ، قصبة بلاد طوس ، وقولهم الغزالي والعطاري والخبازي ، نسبة إلى الصنايع بلسان العجم ، بجمع يا النسبة والصيغة .

وللغزالي أخ واعظ مشهور ، وهو أبو الفتوح أحمد (٢) ، له قبول عظيم في الوعظ ، يزن (٣) برقة الدين وبالاباحة ، بقي إلى حدود العشرين وخمسماية ، وقد ناب

(١) احدى الفرق التي استفحل أمرها في القرنين الخامس والسادس وقد قتلت عدداً من كبار المسلمين على رأسهم نظام الملك وولده فخر الملك انظر مقدمة الكتاب.

(٢) المتوفي سنة ٥٢٠ هـ (٣) هكذا وردت في المخطوط .

عن أخيه في تدريس النظامية ببغداد لما حج مدّيدة ، قرأت بخط النووي رحمه الله قال الشيخ تقي الدين بن الصلاح [1] وقد سئل لم سمى الغزالي بذلك فقال حدثني من أثق به عن أبي الحرم الماكسي الأديب . حدثنا أبو البنا محمود الفرضي ، قال ، حدثنا تاج الاسلام ابن خميس قال لي الغزالي : الناس يقولون لي الغزّالي ولست الغزّالي وإنما أنا الغزالي منسوب إلى قرية يقال لها غزالة [2] أو كما قال .

وفي أواخر المنخول للغزالي كلام فج من إمام لا أرى نقله هنا .

ومن عقيدة أبي حامد رحمه الله تعالى أولها: الحمد لله الذي تعرف إلى عباده بكتابه ، المنزل على لسان نبيه ، بأنه في ذاته واحد لاشريك له ، فرد لامثل له ، صمد لا ضد له ، لم يزل ولايزال ، منعوتاً بنعوت الجلالة ، ولاتحيط به الجهات ، ولا تكتنفه السموات ، وأنه مستو على العرش ، على الوجه الذي قاله ، وبالمعنى الذي أراده ، منزها عن المماسة والاستقرار ، والتمكن والحلول والانتقال ، وهو فوق كل شيء إلى التخوم ، وهو أقرب الينا من حبل الوريد ، لايماثل قربه قرب الأجسام ، كان قبل خلق المكان والزمان ، وهو الآن على ما كان عليه ؛ وأنه بائن بصفاته من خلقه ، مافي ذاته سواه ، ولافي سواه ذاته ، مقدس عن التغير والانتقال ، لاتحله الحوادث ، وأنه مرئي الذات بالابصار في دار القرار إتماماً للنعم بالنظر إلى وجهه الكريم . إلى أن قال : ويدرك حركة الذر في الهواء ، لا يخرج عن مشيئته لفتة ناظر ، ولا فلتة خاطر ، وإن القرآن مقروء بالألسنة ، محفوظ في القلوب ، مكتوب في المصاحف ، وأنه مع ذلك قائم بذات الله ، ولايقبل الانفصال بالانتقال إلى القلوب والصحف ، وأن موسى سمع كلام الله بغير صوت

---

(١) هو أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الكردي الشهزوري الملقب بابن الصلاح ، فقيه شافعي توفي سنة ٦٤٣ هـ .

(٢) لايوجد في معجم البلدان ذكر لهذه البلدة غير أنه يذكر ان لطوس حوالي ألف قرية لعلها إحداها.

ولا حرف ، كما ترى ذاته من غير شكل ولا لون . وأنه مفرق بالموت بين الأرواح والأجسام ، ثم يعيدها اليها عند الحشر فيبعث من في القبور . ميزان الأعمال معيار يعبر عنه بالميزان ، وإن كان لا يساوي ميزان الاعمال ، ميزان الجسم الثقيل ؛ كميزان الشمس ، وكالمسطرة التي هي ميزان السطور ، وكالعروض ميزان الشعر . قلت بل ميزان الأعمال له كفتان كما جاء في الصحيح ، وهذا المعتقد غالبه صحيح ؛ وفيه مالم أفهمه ، وبعضه فيه نزاع بين أهل المذاهب ، ويكفي المسلم في الايمان ، أن يؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، والقدر خيره وشره والبعث بعد الموت ، وأن الله ليس كمثله شيء أصلاً ، وأن ماورد من صفاته المقدسة حق يمر كما جاء ، وأن القرآن كلام الله وتنزيله ، وأنه غير مخلوق ، إلى أمثال ذلك مما أجمعت عليه الأمة ، ولا عبرة بمن شذ عنهم . فإن اختلفت الأمة في شيء من مشكل أصول دينهم ، لزمنا فيه الصمت ، وفوضناه إلى الله ، وقلنا الله ورسوله أعلم ، ووسعنا فيه السكوت ، فرحم الله الامام أبا حامد فأين مثله في علومه ، وفضائله . ولكن لا ندعي عصمة من الغلط والخطأ . ولا تقليد في الاصول .



ذكر كلام اليافعي اليماني (١)

٧٦٨ هـ

اخبار سنة ٤٨٨ هـ وفيها قدم الإمام أبو حامد الغزالي دمشق . زاهداً في الدنيا وما كان فيه من رياستها ، والإقبال والقبول من الخليفة وكبراء الدولة ، وصنف الإحياء ، وأسمعه بدمشق ، وأقام بها سنتين ، ثم حج ورجع إلى وطنه .

قلت : هكذا ذكر بعض المؤرخين ؛ أنه قدم في السنة المذكورة إلى دمشق وذكر بعضهم أن توجهه فيها ، كان إلى بيت المقدس ، لابساً الثياب الخشنة ،وناب عنه أخوه في التدريس . وذكر أنه توجه من القدس إلى دمشق ، فأقام بها مدة ، يذكر الدروس في زاوية الجامع ، في الجانب الغربي منه . ثم ذكر أنه انتقل منها إلى بيت المقدس ، واجتهد في العبادة ، وزيارة المشاهد ، والمواضع المعظمة ،وأشياء أخرى ، سيأتي ذكرها .

قلت : وأما قول الذهبي ، أنه صنف الإحياء ، وأسمعه بدمشق فمخالف لما ذكر الامام أبو حامد المذكور في كتابه (المنقذ من الضلال) أنه أقام في الشام قريباً من سنتين مختلياً بنفسه ، ولم يذكر إسماعه الإحياء، ولا تصنيفه إياه ،ولو كان لذكره كما ذكر علوماً أخرى ، صنف فيها قبل السفر أيضاً . فتصنيف الإحياء مع

(١) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن اسعد .. اليافعي اليماني المتوفي سنة ٧٦٨ هـ والكلام مأخوذ من كتابه « مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة العبر من حوادث الزمان » .

ما اشتمل عليه من العلوم الواسعة ، الحاكية للبحر الذي أمواجه متدافعة ، لا يمكن وضعه في سنتين ولا ثالثة ولا رابعة .

وأما ما ذكره ابن كثير[1] وغيرهم من كونه حج قبل سفره إلى الشام ، وأنه أقام في الشام عشر سنين ، وأنه دخل مصر والاسكندرية ، ورام الاجتماع بملك المغرب ، فكل ذلك مخالف لصريح ما نص عليه أبو حامد في كتابه المذكور ؛ فإنه ذكر فيه أنه توجه إلى الشام قبل توجهه إلى مكة ، ثم توجه إلى الحج بعد السنتين المذكورتين ، ثم كر راجعاً إلى وطنه وأولاده . وهذا يدل على بطلان القول المذكور وفساده . والعجب كل العجب من قوله أنه قصد سلطان المغرب بقضاء أرب ، وهو من ملاقاة السلاطين قد هرب ، وسيأتي ذكر ذلك في ترجمته.

اخبار سنة ٥٠٥ هـ وفيها توفي الامام ، حجة الاسلام ، زين الدين ، أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد ، الطوسي ، الغزالي . احد الأئمة الأعلام .

اشتغل في مبدأ أمره بطوس على أحمد الراذكاني ، ثم قدم نيسابور ، واختلف إلى دروس إمام الحرمين ، أبي المعالي الجويني ، وجد في الاشتغال حتى تخرج في مدة قريبة ، وصار من الأعيان المشاهير ، المشار إليهم في زمن اساتذتهم وصنف في ذلك الوقت ، وكان أستاذه يتبجح به ، ولم يزل ملازماً له ، إلى أن توفي في التاريخ المذكور في ترجمته .

فخرج من نيسابور إلى العسكر ، ولقي الوزير نظام الملك ، فأكرمه وعظمه وبالغ في الاقبال عليه . وكان بحضرة الوزير جماعة من الأفاضل ، فجرى بينهم الجدال والمناظرة في عدة مجالس ، وظهر عليهم ، واشتهر اسمه ، وسارت بذكره الركبان .

---

(١) اسماعيل بن عمر عماد الدين البصري مؤرخ عربي ولد عام ٧٠١ هـ وتوفي سنة ٧٧٤ هـ .

ثم فوض اليه الوزير تدريس مدرسته النظامية بمدينة بغداد. فجاءها ، وباشر إلقاء الدروس بها ، وذلك في جمادى الأولى سنة أربع وثمانين وأربعمائة ، فعجب به أهل العراق ، وارتفعت عندهم منزلته . ثم ترك جميع ما كان عليه وسلك طريق الزهد والانقطاع ، وقصد الحج .

وذكر في الشذور ، أنه خرج من بغداد في سنة ثمان وثمانين وأربعمائة ، متوجهاً إلى بيت المقدس ، متزهداً ، لابساً خشن الثياب ، وناب عنه أخوه في التدريس . ثم ذكره في سنة خمس وخمسمائة . فلما رجع توجه إلى الشام ، فأقام بمدينة دمشق مدة ، يذكر الدروس في زاوية الجامع الغربي منه ، وانتقل منها إلى بيت المقدس ، واجتهد في العبادة ، وزيارة المشاهد ، والمواضع المعظمة ، ثم قصد مصر وأقام بالاسكندرية مدة . ويقال إنه قصد الركوب في البحر الى بلاد المغرب ، على عزم الاجتماع بالأمير يوسف بن تاشفين ، صاحب مراكش ، وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى . فبينما هو كذلك بلغه نعي يوسف المذكور ، فصرف عنانه عن تلك الناحية ، ثم عاد إلى وطنه بطوس .

قلت : هذه الزيادة في ذكر دخوله مصر والاسكندرية ، وقصده الركوب إلى ملك بلاد المغرب غير صحيحة ، فلم يذكر أبو حامد في كتابه المنقذ من الضلال سوى إقامته ببيت المقدس ودمشق ، ثم حج ورجع الى بلاده والعجب كل العجب كيف يذكر أنه قصد الملك المذكور لأرب ، وهو من الملوك والمملكة هرب ، فقد كان له في بغداد الجاه الوسيع ، والمقام الرفيع ، فاحتال في الخروج عن ذلك وتعلل بأنه إلى الحج سالك لأداء ما عليه من فروض المناسك ، ثم عدل إلى الشام وأقام بها ما أقام . وكذا علماء التاريخ الحفاظ الأكابر ، ومنهم الإمام الجليل أبو القاسم ابن عساكر ، لم يذكر هذه الزيادة التي تنافي رفع همته عن المقاصد الدنيوية لإعراضه عن الدنيا والخلق بالكلية .

ولما عاد إلى الوطن اشتغل بنفسه وآثر الخلوة وصنف الكتب المفيدة في الفنون العديدة .

ومن مشهورات مصنفاته : (الوسيط) و (البسيط) و (والوجيز) و (الخلاصة في الفقه) ومنها (إحياء العلوم) وهو من أنفس الكتب وأجملها ، وله في أصول الفقه (المستصفى) و (المنخول) و (المنتحل في علم الجدل) و (تهافت الفلاسفة) و (محك النظر) و (معيار العلم) و (المضنون به على غير أهله) و (مشكاة الانوار) و (المنقذ من الضلال) و (حقيقة القولين) و (كتاب ياقوت التأويل في تفسير التنزيل) في أربعين مجلداً، و (كتاب اسرار علم الدين) و (كتاب منهاج العابدين) و (الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة) و (كتاب الأنيس في الوحدة) و (كتاب القربة الى الله عز وجل) و (كتاب اختلاف الأبرار والنجاة من الاشرار) و (كتاب بداية الهداية) و (كتاب جواهر القرآن) و (والأربعين في أصول الدين) و (كتاب المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى) و (كتاب ميزان العمل) و(كتاب القسطاس المستقيم) و (كتاب التفرقة بين الاسلام والزندقة) و (كتاب الذريعة إلى مكارم الشريعة) و (كتاب المناوي والغايات) و (كتاب كيمياء السعادة) و (كتاب نصيحة الملوك) و (كتاب الاقتصاد في الاعتقاد) و (كتاب شفاء العليل في مسائل التعليل) و (كتاب أساس القياس) و (كتاب المقاصد) و (كتاب إلجام العوام عن علم الكلام) و (كتاب الانتصار) و (كتاب الرسالة اللدنية) و (كتاب الرسالة المقدسية) و (كتاب بيان النظر) و (كتاب المأخذ) و (كتاب القول الجميل في الرد على من غير الإنجيل) و (كتاب المستظهري) و (كتاب الأمالي) و (كتاب في علم إعداد الوقف وحدوده)و (كتاب مفصل الخلاف) و (جزء في الرد على المنكرين في بعض ألفاظ إحياء علوم الدين) .

وقال يمدحه تلميذه الشيخ الامام أبو العباس الاقلشي المحدث الصوفي صاحب كتاب النجم والكواكب وغيره :

أبا حامد أنت المخصص بالحمد وأنت الذي علمتنا سنن الرشد
وضعت لنا الإحياء يحيي نفوسنا وينقذنا من طاعة المارد المردي
فربع عبادات وعاداتها التي تعاقبها كالدر نظم في العقد
وثالثها في المهلكات وإنه لمنج من الهلك المبرح بالبعد
ورابعها في المنجيات وإنه ليسرح بالأرواح في جنة الخلد
وفيها ابتهاج للجوارح ظاهر ومنها صلاح للقلوب من البعد

وكتبه كثيرة وكلها نافعة .

ثم ألزم بالعودة إلى نيسابور ، والتدريس بها بالمدرسة النظامية ، فأجاب إلى ذلك بعد تكرار المعاودات ، ثم ترك ذلك وعاد الى بيته في وطنه ، واتخذ خانقاها للصوفية ، ومدرسة للمشتغلين بالعلم في جواره ، ووزع أوقاته على وظائف الخير في ختم القرآن ، ومجالسة أهل القلوب ، والقعود للتدريس ، إلى أن انتقل إلى ربه.

هذا ما ذكره بعض علماء التاريخ.

قلت : وكان رضي الله تعالى عنه ، رفيع المقام ، شهد له بالصديقية الأولياء الكرام ، وهو الحبر الذي باهى به المصطفى سيد الأنام ، موسى وعيسى عليه وعليهما أفضل الصلاة والسلام ، في المنام الذي رويناه بإسنادنا العالي عن الشيخ الإمام القطب أبي حسن الشاذلي والذي انتشر فضله في الآفاق ، وتميز بكثرة التصانيف وحسنها على العلماء ، وبرع في الذكاء ، وحسن العبارة وسهولتها ، وأيد حتى صار إفحام الفرق عنده أسهل من شرب الماء .

وقال الشيخ الامام الحافظ ، ذو المناقب والمفاخر ، السيدالجليل أبو الحسن عبد الغافر الفارسي ؛ محمدابن محمد ابن محمد أبوحامدالغزالي، حجة الاسلام والمسلمين.

. . . . (١)

وأقام في تلك الديار قريباً من عشر سنين يطوف ويزور المشاهد المعظمة .

قلت هكذا ذكر بعض المؤرخين وقد قدمت في فساد ذلك من البيان،مايدل فيه على البطلان . والمعروف الذي نص عليه أبو حامد في بعض كتبه ، أنه أقام في الشام سنتين ؛ نعم ذكروا أنه أقام بعد رجوعه في العزلة والخلوات ، وترك الاشتغال والمخالطات ، قريباً من عشر سنين .

قال الشيخ عبد الغافر : وأخذ في التصانيف المشهورة التي لم يسبق اليها .

. . . . (٢)

وقلت مشيراً الى شيء من ذكر ارتفاع مناقبه وأشرت الى الانتفاع ، ببحر علوم كتبه في بعض القصيدات بقولي في هذه الأبيات[٣] :

وإحيا علوم الدين طالعه تنتفع ... ببحر علوم المستنير المحصل
أبي حامد الغزال غزل مدقق ... من الغزل لم يغزل كذاك بمغزل
دُعي حجة الاسلام لاشك أنه ... لذلك كفء كامل للتأهل
له في منامي قلت انك حجة ... لاسلامنا لي قال ماشئت لي قل

وقلت في أخرى

بنا كم وجيز من بناء قواعد ... وجمع معان واختصار مطول
وكم من بسيط في جلاء نفائس ... وإيضاح إيجاز وحل لمشكل
وكم ذي اقتصار مودع رب قاطع ... لإفحام خصم مثل ماض به اعتل

---

(١) كلام منقول عن عبد الغافر ص ٤١ - ٤٣

(٢) كلام منقول عن عبد الغافر ص٤٣ - ٤٨

(٣) في الأبيات ذكر لعدد من مؤلفات الغزالي

بكف همام ذب عن منهج الهدى — بحرب نضــال لايرى غير أول
كمثل الفتى الحبر المباهي بفضله — فعن بغزّال العــلى وتغزّل
به المصطفى باهى لعيسى بن مريم — جليل العطــايا والكليم المفضل
أعتد كما حـبر كهذا فقيل لا — وناهيك في هــذا الفخار المؤثل
رآه الولي الشاذلي في منامه — وزويه عنــه من طريق مسلسل
تصانيفه فاقت بنفــع وكثرة — وحلة حسن كم بها لعزيز قل [1]
وكم حجــة الاسلام حاز فضيلة — وكم حلة حسناتها فضله جــلى
بهــا جاهل مع حاسد طاعن فذا — تعامى وعنها ذك أعمى قد ابتلى
وماضر سلمي ذم عالي جمالهــا — ومنظرها الباهي ومنطقها الجـلى
لئن ذمهــا جاراتهــا ونضائر — وعين جمالا في حلاها وفي الحُلى
فما سلمت حسناء عن ذم حاسد — وصاحب حق من عــداوة مبطل

ولم يعقب الا البنات وكان يعرض عليه الأموال فما يقبلها ويعرض عنها، ويكتفي بالقدر الذي يصون له دينه ، ولا يحتاج معه الى التعرض لسؤال .

قال الامام الحافظ أبو القاسم بن عساكر رحمة الله عليه : سمعت الامام الفقيه أبا القاسم سعد بن علي بن أبي القاسم بن أبي هريرة الاسفرائيني الصوفي الشافعي بدمشق ؛ . . . . [2]

و (الغزّالي) بفتح الغين المعجمة ، وتشديد الزاي ، وبعد الألف لام ، قال ابن خلكان : هذه النسبة الى الغزّال ، على عادة أهل خوارزم وجرجان فانهم ينسبون الى القصّار القصّارى ، والى العطّار العطّارى ، وقيل أن الزاي مخففة نسبة الى غزالة ، وهي قرية من قرى طوس ، قال : وهو خلاف المشهور ولكن هكذا قال السمعاني في كتاب الأنساب ، والله أعلم بالصواب .

---

(١) هكذا في الاصل .
(٢) منقول من كلام ابن عساكر ص ٤٩ - ٥٨ مختصر بعض الشيء

قلت وفضائل الإمام حجة الاسلام ابي حامد الغزالي رضي الله تعالى عنه أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تشهر .

وقد روينا عن الشيخ الفقيه الامام العارف بالله رفيع المقام ، الذي اشتهرت كرامته العظيمة وترادفت ، وقال للشمس يوماً قفي فوقفت ، حتى بلغ المنزل الذي يريد من مكان بعيد ، أبي الذبيح اسمعيل ابن الشيخ الفقيه الامام ذي المناقب والكرامات والمعارف ، محمد بن اسميل الحضرمي ، قدس الله أرواح الجميع ، أنه سأله بعض الطاعنين في الامام أبي حامد الغزالي المذكور رضي الله عنه في فتيا ارسل بها اليه ، هل يجوز قراءة كتب الغزالي ؟ فقال رضي الله عنه في الجواب : إنا لله وإنا اليه راجعون ؛ محمد بن عبد الله ﷺ سيد الأنبياء ، ومحمد بن ادريس سيد الأئمة ، ومحمد بن محمد بن محمد الغزالي سيد المصنفين . هذا جوابه رحمة الله عليه.

وقد ذكرت في كتاب الارشاد ، أنه سماه سيد المصنفين لأنه تميز عن المصنفين بكثرة المصنفات البديعات وغاص في بحر العلوم ، واستخرج عنها الجواهر النفيسات وسحر العقول بحسن العبارة ، وملاحة الأمثلة ، وبداعة الترتيب والتقسيمات ، والبراعة في الصناعة العجيبة ، مع جزالة الألفاظ ، وبلاغة المعاني الغريبات ، والجمع بين علوم الشريعة والحقيقة ، والفروع والأصول ، والمعقول والمنقول ، والتدقيق والتحقيق ، والعلم ، وبيان معالم العبادات ، والعادات والمهلكات ، والمنجيات ، وابراز أسرار المعارف المحجبات العاليات ، والانتفاع بكلامه علماً وعملاً ، لاسيما أرباب الديانات ، والدعاة الى الله سبحانه ، برفض الدنيا والخلق ؛ ومحاربة الشيطان والنفس بالمجاهدة والرياضات والخام الفرق ، أيسر عنده من شرب الماء ، بالبراهين القاطعة ، وتوبيخ علماء السوء ، الراكنين الى الظلمة ، والمائلين الى الدنيا الدنية ، أو الى الهمم الدنيات ، وغير ذلك مما لا يحصى مما جمع في تصانيفه من المحاسن الجميلات ، والفضائل الجليلات ، مما لم يجمعه مصنف فيما

علمنا ، ولا يجمعه فيما نظن مادامت الارض والسموات ، فهو سيد المصنفين ، عند المنصفين ، وحجة الاسلام عند أصل الاستسلام لقبول الحق من المحققين في جميع الاقطار والجهات ، وليس يعني أن تصانيفه أصح فصحيحا البخاري ومسلم أصح الكتب المصنفات .

وقد صنف الشيخ الفقيه ، الامام المحدث شيخ الاسلام عمدة المسندين ، ومفتي المسلمين جامع الفضائل ، قطب الدين محمد ابن الشيخ الامام العارف أبي العباس القسطلاني ، رضي الله تعالى عنهما كتاباً أنكر فيه على بعض الناس ، وأثنى على الامام أبي حامد الغزالي ، ثناء حسناً ، وذم انساناً ذمه وقال في أثناء كلامه : ومن نظر في كتب الغزالي ، وكثرة مصنفاته ، وتحقيق مقالاته ، عرف مقداره ، واستحسن آثاره ، واستصغر ماعظم من سواه ، وعظم قدره فيما أمده الله به من قوله ، ولا مبالاة بحاسد قد تعاطى ذمه ، أو معاند أبعده الله عن ادراك معاني كلامه بهمه فهو كما قيل :

قل لمن عن فضائله تعامى   تعام لن تعدم الحسناء ذاما

هذا بعض كلامه بحروفه .

وقال بعض العلماء المالكية ، والمشايخ العارفين الصوفية : الناس من فُضْلة علوم الغزالي . معناه أنهم يستمدون من علومه ومدده ، ويستعينون بها على ما هم بصدده زاده الله تعالى فضلاً ومجدا ، على رغم الحساد والعدى .

قلت وقد اقتصرت على هذا القدر اليسير ، من محاسنه وفضله الشهير ، محتوياً بذكر شيء مما له من الفضل الباهر ، والجاه والنصيب الوافر ، وشرف المجد والمفاخر ، مما روينا بالأسانيد العالية عن السادة الأكابر ، أعني أمر صلى الله عليه وآله وسلم بتعزير من أنكر عليه ؛ حتى أن المنكر مامات إلا وأثر السوط على جسمه ظاهر ، بنصر الله عز وجل ونعم الناصر .



ذكر كلام السبكي (١)

٧٧١ هـ

حجة الإسلام ، ومحجة الدين التي يتوصل بها إلى دار السلام ، جامعُ أشتات العلوم ، والمبرّز في المنقول منها والمفهوم ، جرت الأئمة قبله شأواً ولم تقع منه بالغاية ، ولا وقف عند مطلب وراءه مُطالب لأصحاب النهاية والبداية

حلفتُ فلم أترك لنفسك ريبةً   وليس وراء الله للمرء مذهب

حتى أخمل من القرناء كلّ خصم بلغ مبلغ السها ، وأخمد من نيران البدع كل ما لاتستطيع أيدي المجالدين مسها .

كان رضي الله عنه ضرغاماً إلا أنّ الأسود تتضاءل بين يديه وتتوارى ، وبدراً تماماً إلا أنّ هداه يشرق نهاراً ، وبشراً من الخلق ولكنه الطود العظيم ، وبعضّ الخلق ولكن مثل ما بعض الحجر الدر النظيم ، جاء والناس إلى رد فرية الفلاسفة أحوج من الظلماء لمصابيح السماء ، وأفقر من الجدباء إلى قطرات الماء ، فلم يزل يناضل عن الدين الحنيفي بجلاوة مقاله ، ويحمي حوزة الدين ولا يلطخ بدم المعتدين حد نصاله ، حتى أصبح الدين وثيق العرى ،

---

(١) تاج الدين ابو نصر عبد الوهاب ابن تقي الدين السبكي المتوفي سنة ٧٧٠ هـ.له مؤلفات عدة اشهرها طبقات الشافعية الكبرى والوسطى والصغرى والكلام هنا من الطبقات الكبرى .

وانكشفت غياهب الشبهات وما كانت إلا حديثاً مفترى . هـــذا مع ورع طَوَى عليه ضميرَه ، وخلْوَة لم يتخذ فيها غير الطاعة سميره . وتجريدٍ تراه به وقد توّحد في بحر التوحيد وباهَى

ألقى الصحيفة كي يخفف رحله والزاد حتى نعله ألقاهـــا

ترك الدنيا وراء ظهره ، وأقبل على الله يعامله في سره وجهره .

ولد بطوس سنة خمسين وأربعمائة ، وكان والده يغزل الصوف ويبيعه في دكانه بطوس ، فلما حضرته الوفاة وصى به وبأخيه أحمد إلى صـــديق له متصوف من أهل الخير ، وقال له : إنّ لي لتأسفاً عظيماً على تعلم الخط ، وأشتهي استدراك ما فاتني في ولديّ هذين ، فعلمْهما ولا عليك أن تنفد في ذلك جميع ما أخلفه لهما . فلما مات أقبل الصوفي على تعليمها إلى أن فني ذلك النذر اليسير الذي كان خلفه لهما أبوهما ، وتعذر على الصوفي القيام بقوتهما ، فقال لهما : « اعلما أني قد أنفقت عليكما ما كان لكما ، وأنا رجل من الفقر والتجريد بحيث لا مال لي فأواسيكما به ، وأصْلَحُ ما أرى لكما أن تلجآ إلى مدرسة ، فإنكما من طلبة العلم ، فيحصل لكما قوت يعينكما على وقتكما » . ففعلا ذلك ؛ وكان هو السببَ في سعـادتهما وعلو درجتهما . وكان الغزالي يحكي هـــذا ، ويقول : « طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون إلا لله » .

ويُحكى أنّ أباه كان فقيراً صالحاً ، لا يأكل إلا من كسب يده في عمل غزل الصوف ، ويطوف على المتفقهة ، ويجالسهم ، ويتوفر على خدمتهم ، ويجدّ في الإحسان إليهم ، والنفقة بما يمكنه عليهم ، وأنه كان إذا سمع كلامهم بكي، وتضرع ، ويسأل الله أن يرزقه ابناً ، ويجعله فقيهاً ، ويحضر مجالس الوعظ . فإذا طاب وقته بكي وســأل الله أن يرزقه ابناً واعظاً ، فاستجاب الله دعوتيه ، أما أبو حامد فكان أفْقَهَ أقرانه ، وإمام أهل زمانه ، وفارس

ميدانه ، كلمته شهد بها الموافق والمخالف ، وأقر بحقها المعادي والمخالف ، وأما أحمد فكان واعظاً تلين الصم الصخور عند سماع تحذيره ، وترعد فرائص الحاضرين في مجالس تذكيره .

مبدأ طلب حجة الاسلام العلم : قرأ في صباه طرفاً من الفقه ببلده على أحمد بن محمد الراذكاني ، ثم سافر إلى جرجان إلى الإمام أبي نصر الإسماعيلي ، وعلّق عنه التعليقة ، ثم رجع إلى طوس .

قال الإمام أسعد الميهني: فسمعته يقول : قطعت علينا الطريق وأخذ العيارون جميع ما معي ومضوا ، فتبعتهم ، فالتفت إلي مقدمهم وقال ارجع ويحك وإلا هلكت ، فقلت له أسألك بالذي ترجو السلامة منه أن ترد علي تعليقتي فقط فما هي بشيء تنتفعون به ، فقال لي وما هي تعليقتك ، فقلت : كتب في تلك المخلاة هاجرت لسماعها وكتابتها ومعرفة علمها ، فضحك وقال : كيف تدعي أنك عرفتَ علمها وقد أخذناها منك فتجردتْ من معرفتها وبقيت بلا علم ، ثم أمر بعضَ أصحابه فسلم إليَّ المخلاة . قال الغزالي : هذا مستنطق أنطقه الله ليرشدني به في أمري .

فلما وافيت طوس أقبلت على الاشتغال ثلاث سنين حتى حفظت جميع ما علقته، وصرت بحيث لو قُطع علي الطريق لم أتجرد من علمي . وقد روى هذه الحكاية عن الغزالي أيضاً الوزير نظام الملك ، كما هو مذكور في ترجمة نظام الملك من ذيل ابن السمعاني .

ثم إنّ الغزالي قدم نيسابور ولازم إمام الحرمين ، وجدّ واجتهد حتى برع في المذهب ، والخلاف ، والجدل ، والأصلين ، والمنطق ، وقرأ الحكمة والفلسفة ، وأحكم كلّ ذلك وفَهِم كلامَ أرباب هذه العلوم ، وتصدى للرد عليهم وإبطال دعاويهم ، وصنّف في كل فن من هذه العلوم كتباً أحْسَنَ تأليفَها ، وأجاد في وصفها وترصيفها ، كذا نَقَلَ النقلةُ . وأنا لم أر له

مصنفاً في أصول الدين بعد شدة الفحص إلا أن يكون قواعد العقائد وعقائد صغرى ، وأما كتاب مستقل على قاعدة المتكلمين فلم أره ، وسأعقد فصلاً لأسماء ما وقفت عليه من تصانيفه .

وكان رضي الله عنه شديد الذكاء ، سديدَ النظر ، عجيبَ الفطرة ، مفرط الإدراك ، قوي الحافظة ، بعيدَ الغور ، غواصاً على المعاني الدقيقة ، جبَلَ علمٍ مناظراً محجاجاً . وكان إمامُ الحرمين يصف تلامذته فيقول : الغزالي بحر مغدق ، والكيا أسد مخرق ، والخوافي نار تحرق ، ويقال إن الإمام كان بالآخرة يمتعض منه في الباطن ، وإنْ كان يُظْهر التبجح به في الظاهر .

ثم لما مات إمام الحرمين خرج الغزالي إلى « العسكر » قاصداً الوزير نظام الملك إذ كان في مجلسه مجمع أهل العلم وملاذهم ، فناظر الأئمة العلماء في مجلسه ، وقهر الخصوم ، وظهر كلامه عليهم ، واعترفوا بفضله ، وتلقاه الصاحب بالتعظيم والتبجيل ، وولاه تدريس مدرسته ببغداد وأمره بالتوجه اليها .

فقدم بغداد في سنة أربع وثمانين وأربعمائة ودرّس بالنظامية ، وأعجب الخلقَ حسنُ كلامه ، وكمالُ فضله وفصاحةُ لسانه ، ونكتُه الدقيقة وإشاراته اللطيفة ، وأحبوه . وأقام على تدريس العلم ونشره بالتعليم والفتيا والتصنيف مدة ، عظيم الجاه زائد الحشمة ، عالي الرتبة مسموع الكلمة ، مشهور الاسم تضرب به الأمثال ، وتشد إليه الرحال ، الى أن شرفت نفْسُه عن رذائل الدنيا فرفض مافيها من التقدم والجاه ، وترك كلّ ذلك وراء ظهره ، وقصد بيت الله الحرام .

فخرج إلى الحج في ذي الحجة سنة ثمان وثمانين وأربعمائة ، واستناب أخاه في التدريس ، ودخل دمشق في سنة تسع وثمانين ، فلبث فيها يويمات يسيرة على قدم الفقراء ، ثم توجه إلى بيت المقدس فجاور به مدة ، ثم عاد إلى دمشق

واعتكف بالمنارة الغربية من الجامع ، وبها كانت إقامته ، على ما ذكر الحافظ ابن عساكر فيما نقله عنه الذهبي ولم أجده في كلامه .

وكان الغزالي يُكثر الجلوس في زاوية الشيخ نصر المقدسي[1] بالجامع الأموي ، المعروفة اليوم بالغزالية نسبة اليه وكانت تعرف قبله بالشيخ نصر المقدسي . قال الحافظ ابن عساكر : أقام الغزالي بالشام نحواً من عشر سنين كذا نقل شيخنا الذهبي ولم أجد ذلك في كلام ابن عساكر لا في تاريخ الشام ، ولا في التبيين[2] .

ويحكى عنه حكايات منها :

أنه قصد الاجتماع بالشيخ نصر ، وأنه لم يدخل إلى دمشق إلا يوم وفاته ، فصادف أنه دخل إلى الجامع وهو لابس زي الفقراء فاتفق جلوسه في الزاوية المشار اليها ، فبعد هنيهة أتى جماعة من طلبة العلم وشاركوه في العلوم ، بعد أن تأملوه ونظروا اليه ملياً ، فوجدوه بحراً لا ينزف فقال لهم : ما فعل الشيخ نصر المقدسي قالوا توفي ، وهذا مجيئنا من مدفنه ؛ وكان لما حضرته الوفاة سألناه من يخلفك في حلقتك فقال : إذا فرغتم من دفني فعودوا إلى الزاوية تجدون شخصاً أعجمياً ، ووصفكَ لنا ؛ أقروه مني السلام وهو خليفتي . وهذه الحكاية لم تَثبُت عندي ؛ ووفاة الشيخ نصر سنة تسعين وأربعمائة . وإن صحت فلعل ذلك عند عوده الى دمشق من القدس ، وإلا فقد كان اجتماعه به ممكناً لما دخل دمشق سنة تسع وثمانين قبل وفاة نصر بسنة . وصرح شيخنا الذهبي بأن الغزالي جالس نصراً . قلتُ : والذي أوصى به نصر المقدسي أن يخلفه بعده ، هو نصر الله المصيصي تلميذه .

---

(١) نصر بن ابراهيم بن نصر ، دخل دمشق وأقام بها تسع سنين على سلوك الزهد وتوفي فيها سنة ٤٩٠ هـ .

(٢) ذكر هذا الذهبي عن ابن عساكر وعبد الغافر .

ومنها أنه لما دخلها على زي الفقراء ، جلس على باب الخانقاه السُّمَيْساطية ، إلى أن أذن له فقير مجهول لا يعرف ، وابتدأ بكنس الميضات التي للخانقاه وخدمتها ؛ واتفق أن جلس يوماً في صحن الجامع الأموي وجماعة من المفتين يتمشون في الصحن ، وإذا بقروي أتاهم مستفتياً ولم يردوا عليه جواباً والغزالي يتأمل ؛ فلما رأى الغزالي أنه لا أحد عنده جوابه ويعز عليه عدم إرشاده دعاه وأجابه ؛ فأخذ القروي يهزأ به ، ويقول : إن كان المفتون ما أجابوني ، وهذا فقير عامي كيف يجيبني ؟ وأولئك المفتون ينظرونه ؛ فلما فرغ من كلامه معه دعوا القروي ، وسألوه : ما الذي حدثك به هذا العامي ؟ فشرح لهم الحال . فجاؤوا إليه ، وتعرفوا به ، واحتاطوا به ، وسألوه أن يعقد لهم مجلساً ، فوعدهم إلى ثاني يوم ؛ وسافر من ليلته رضي الله عنه .

ومنها أنه صادف دخوله يوماً المدرسة الأمينية[1] ، فوجد المدرس يقول : « قال الغزالي » وهو يدرس من كلامه ، فخشي الغزالي على نفسه العُجْب ، ففارق دمشق ، وأخذ يجول في البلاد ، فدخل منها إلى مصر وتوجه منها إلى الاسكندرية ، فأقام بها مدة . وقيل إنه عزم على المضي إلى السلطان يوسف بن تاشفين سلطان المغرب لما بلغه من عدله فبلغه موته . واستمر يجول في البلدان، ويزور المشاهد ، ويطوف على التُّرَب والمساجد ، ويأوي القفار ، ويروض نفسه ويجاهدها جهاد الأبرار ، ويكلفها مشاق العبادات ويبلوها بأنواع القرب والطاعات ، إلى أن صار قطبَ الوجود ، والبركة العامة لكل موجود ، والطريقَ الموصل إلى رضا الرحمن ، والسبيلَ المنصوب الى مركز الايمان . ثم رجع إلى بغداد وعقد بها مجلس الوعظ ، وتكلم على لسان أهل الحقيقة، وحدَّث بكتاب الإحياء .

قال ابن النجار ولم يكن له استاذ ، ولا طلب شيئاً من الحديث ، لم أر له إلا

(١) توجد حالياً مدرسة في سوق الحرير بدمشق قرب الجامع الأموي بهذا الاسم .

حديثاً واحداً سيأتي ذكره في هذا الكتاب ـ يعني تاريخه ـ قلتُ : ولم أره ذكر هذا الحديث بعد ذلك .

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ بحديث من حديثه سنذكره ، وذكر الحافظ ابن عساكر أنه سمع صحيح البخاري من أبي سهل محمد بن عبيد الله الحفصي .

وذكر عبد الغافر : ثم عاد الغزالي إلى خراسان ودرّس بالمدرسة النظامية بنيسابور مدة يسيرة ، وكل قلبه معلق بما فُتِح عليه من الطريق ثم رجع إلى مدينة طوس ، واتخذ إلى جانب داره مدرسة للفقهاء ، وخانقاه للصوفية ، ووزع أوقاته على وظائف من ختم القرآن ، ومجالسة أرباب القلوب ، والتدريس لطلبة العلم ، وإدامة الصلاة والصيام وسائر العبادات ، إلى أن انتقل إلى رحمة الله تعالى ورضوانه ، طيب الثناء ، أعلى منزلة من نجم السماء ، لا يكرهه إلا حاسد أو زنديق ، ولا يسومه بسوء إلا جائر عن سواء الطريق ، ينشده لسان حاله :

وإن ينلني من شرهم غسق ... فالدر أحسن إشراقاً من الظلم
وإن رأوا لحسن فضلي حق قيمته ... فالدر درٌ وإن لم يُشْرَ بالقيم

وكانت وفاته قدس الله روحه بطوس في يوم الاثنين رابع عشر جمادى الآخرة سنة خمس وخمسمائة . ومشهده بها يُزار بمقبرة الطابران . قال أبو الفرج بن الجوزي في كتاب الثبات عند الممات . قال أحمد أخو الإمام الغزالي لما كان يوم الاثنين وقت الصبح ، توضأ أخي أبو حامد وصلى ، وقال عليَّ بالكفن ، فأخذه وقبّله ووضعه على عينيه ، وقال : سمعاً وطاعة للدخول على الملك . ثم مد رجليه ، واستقبل القبلة ، ومات قبل الإسفار ؛ قدس الله روحه .

فهذه ترجمة مختصرة يقنع بها طالب الاختصار ؛ وإذا أبيت إلا البسط في شرح حال هذا النجم الذي تشرف الأوراق بذكراه ، ويعبق الوجود برياه ، فنقول :

ومن كلام أهل عصره فيه ، قد قدمنا كلام شيخه إمام الحرمين وقوله : « الغزالي بحر مغدق »

وقال الحافظ أبو طاهر السلفي : « سمعت الفقهاء يقولون : كان الجويني -امام الحرمين - يقول في تلامذته اذا تناظروا : التحقيق للخوافي، والحدسيات للغزالي ، والبيان للكيا .

وقال تلميذه الإمام محمد بن يحيى : الغزالي لا يعرف فضله الا من بلغ أو كاد يبلغ الكمال في عقله . قلتُ : يُعْجبني هذا الكلام ، فانّ الذي يجب أن يطلع على من هو أعلى منه في العلم ، يحتاج الى العقل والفهم ، فبالعقل يميز وبالفهم يقضي . ولما كان علم الغزالي في الغاية القصوى ، احتاج من يريد الاطلاع على مقداره أن يكون هو تام العقل . وأقول : لا بد مع تمام العقل من مداناة مرتبته في العلم لمرتبة الآخر ، وحينئذ لا يعرف أحد ممن جاء بعد الغزالي قدر الغزالي ولا مقدار علم الغزالي ، إذ لم يجيء بعده مثله . ثم المداني له انما يعرف قَدْرَه بقدر ما عنده لا بقدر الغزالي في نفسه . سمعت الشيخ الامام يقول لا يعرف قدر الشخص في العلم الا من ساواه في رتبته وخالطه مع ذلك . قال : وانما يعرف قدره بمقدار ما أوتيه هو . وكان يقول لنا : لا أحد من الأصحاب يعرف قدر الشافعي كما يعرفه المزني [1] ، قال وإنما يعرف المزني من قدر الشافعي بمقدار قوى المزني والزائد عليها من قوى الشافعي لم يدر به المزني ؛ وكان يقول لنا أيضاً لا يقدر أحد النبي ﷺ حق قدره الا الله تعالى ، وانما يعرف كل واحد من مقداره بقدر ما عنده هو . قال فأعرف الأمة بقدره ﷺ أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، لأنه أفضل الأمة ؛ قال وانما يعرف أبو بكر من مقدار المصطفى ﷺ ما تصل اليه قوى أبو بكر وثم أمور يقصر عنها قواه لم يحط بها علمه ومحيط بها علم الله .

ذكر كلام عبد الغافر الفارسي : وأنا أرى أن أسوقه بكماله على نصه حرفاً حرفاً ، فإنّ عبد الغافر ثقةٌ معاصرٌ ؛ وقد تحزب الحاكمون

---

(١) أبو ابراهيم اسماعيل بن يحيى المزني صاحب الامام الشافعي . له مؤلفات عدة .

لكلامه حزبين : فمن ناقلٍ لبعض المادح ، وحاكٍ لجميع ما أورده مما عيب على حجة الاسلام ، وذلك صنيع من يتعصب على حجة الاسلام وهو شيخنا الذهبي، فإنه ذكر بعض المادح نقلاً يعجز في اللفظ محكياً بالمعنى غير مطابق في الأكثر، ولما انتهى الى ما ذكره عبد الغافر مما عيب عليه استوفاه ثم زاد ووشح وبسط ورشح ، ومن ناقل نقل المادح ساكتاً عن ذكر ما عيب به وهو الحافظ أبو القاسم ابن عساكر ، وسأبحث عن سبب فعله ذلك، وأما أنا فأورده جميعه ثم أتكلم عليه وأسأل الله التوفيق والحماية من الميل . . . . .

. . . . (١)

انتهى كلام عبد الغافر ، وقد ساقه ابن عساكر من أوله الى قوله : « ومما كان يعترض به عليه » وترك الباقي . فعل ذلك في تاريخ الشام ، وفي كتاب التبيين .

فإن قلتَ : هل ذلك من الحافظ تعصب له ، كما أن ما فعله الذهبي تعصب عليه ؟

قلت : يحتمل أن يكون الأمر كذلك ، ويحتمل أن يكون لكونه لم ير اشاعة ذلك عن مثل هذا الامام ، مع القطع بأنه غير قادح فيه ، وأن الذهبي فاته ذكر ذلك وضم اليه وسأقفك عليه وسأتكلم على ما عيب به هذا الامام ، بعد نجاز الغرض من ذكر ما أنا بصدده . ومن كلام المترجمين لحجة الاسلام - رحمه الله - وأكثرهم اجتزأ بكلام عبد الغافر .

قال الحافظ أبو القاسم ابن عساكر : كان اماماً في علم الفقه مذهباً وخلافاً، وفي أصول الديانات ، وسمع صحيح البخاري من أبي سهل محمد بن عبد الله الحفصي ، وولي التدريس بالمدرسة النظامية ببغداد ، ثم خرج الى الشام زائراً

---

(١) انظر كلام عبد الغافر ص ٤١-٤٨

بيت المقدس ، فقدم دمشق في سنة تسع وثمانين واربعمائة ، وأقام بها مدة وبلغني أنه صنف بها بعض مصنفاته ثم رجع الى بغداد ومضى الى خراسان ، ودرس مدة بطوس ، ثم ترك التدريس والمناظرة ، واشتغل بالعبادة .

وقال الحافظ أبو سعد ابن السمعاني فيه : من لم تر العيون مثله ، لساناً ، وبياناً ، ونطقاً ، وخاطراً ، وذكاء ، وطبعاً ، ثم اندفع في نحو ما ذكره عبد الغافر من المدائح ، ولم يتعرض لذكر شيء من الفصل الأخير ، وذكر أنه استدعى بأبي الفتيان ، عمر بن أبي الحسن الرواسي ، الحافظ الطوسي واكرمه وسمع عليه صحيحي البخاري ومسلم . قال : وما أظن أنه حدث بشيء وان حدث فيسير لأن رواية الحديث ما انتشرت عنه . انتهى .

وقد أوجب لي عدم ذكره بشيء من الفصل الأخير الذي ذكره عبدالغافر ، وكذلك عدم ذكر ابن عساكر له مع ترك ابن عساكر دائماً حيث أمكنه عن الغرض ، ونقله أبداً ماله وما عليه ومع تعرضه لما ذكره عبد الغافر في الفصل الأخير لسماع الغزالي ماسمعه ، واقتصاره على أنـــه استدعى الرواسي لسماع الصحيحين ، مع كون هذا الفصل لم يذكره عبدالغافر ، الا بعد نجاز الترجمة وذكر الوفاة ، وليس ذلك بمعتاد ، والمعتاد ختم التراجم بالوفاة ، وموضع هذا الفصل أثناء الترجمة ، كل ذلك أظن أنه اختلق على عبد الغافر ، ودس في كتابه . فالله أعلم بذلك . على أنه ليس فيه كبير أمر كما سنبحث عنه .

وقال ابن النجار : إمام الفقهاء على الإطلاق ، ورباني الأمة بالاتفاق ، ومجتهد زمانه ، وعين وقته وأوانه ، ومن شاع ذكره في البلاد ، واشتهر فضله بين العباد ، واتفقت الطوائف على تبجيله وتعظيمه ، وتوقيره وتكريمه ، وخافه المخالفون ، وانقهر بحججه وأدلته المنـــاظرون ، وظهرت بتنقيحاته فضائح المبتدعة والمخالفين ، وقام بنصر السنة وإظهار الدين ، وسارت مصنفاته

في الدنيا ، مسير الشمس في البهجة والجمال ، وشهد له المخالف والموافق بالتقدم والكمال . انتهى .

وفي كلام المترجمين كثرة فلا نطيل. ففيما ذكرنا مقنع وبلاغ.

ذكر بقايا من ترجمته رضي الله عنه :

قال ابن السمعاني : قرأت في كتاب كتبه الغزالي ، الى أبي حامد بن أحمد بن سلامة بالموصل ، فقال في خلال فصوله : أما الوعظ ، فلست أرى نفسي أهلاً له ، لأن الوعظ زكاة ، نصابه الاتعاظ ، فمن لا نصاب له ، كيف يخرج الزكاة ؟ وفاقد الثوب كيف يستر به غيره ؟ ومتى يستقيم الظل ، والعود أعوج ؟ وقد أوحى الله الى عيسى عليه السلام : عظ نفسك ، فإن اتعظت فعظ الناس ، وإلا فاستحي مني .

وقال أيضاً : سمعت أبا سعيد محمد بن أسعد بن محمد الخليل النوقاني بمرو مذاكرة في دارنا ، يقول حضرت درس الإمام أبي حامد الغزالي لكتاب إحياء علوم الدين فأنشد :

وحبب أوطان الرجال إليهم ... مآرب قضاها الفؤاد هنالك
إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم ... عهود الصبا فيها فحنوا لذلك

قال فبكى وأبكى الحاضرين .

وقال أيضاً سمعت أبا نصر الفضل بن الحسن بن علي المقري مذاكرة بمرو يقول دخلت على الإمام الغزالي مودعاً ، فقال لي احمل هذا الكتاب الى المعين الثابت أبي القاسم البيهقي ، ثم قال لي وفيه شكاية على العزيز المتولي للأوقاف بطوس ، وكان ابن أخي المعين ، فقلت له كنت بهراة عند عمه المعين ، وكان العماد الطوسي ، جاء بمحضر فيه الثناء على العزيز ، وعليه خطك ، وكان عمه قد

طرده وهجره ، فلما رأى شكرك وثناءك عليه قربه ورضيه ، فقال الإمام الغزالي سلم الكتاب الى المعين واقرأ عليه هذا البيت وأنشد :

ولم أر ظلماً مثل ظلم ينالنا يساء إلينا ثم نومىء بالشكر

وقال أبو عبد الله ، محمد بن يحيى بن عبد المنعم العبدري ، المؤذن : رأيت بالإسكندرية في سنة خمسمائة ، في أحد شهري المحرم أو صفر ، فيما يرى النائم ، كأن الشمس طلعت من مغربها ، فعبر ذلك بعض المعبرين ببدعة تحدث فيهم ، فبعد أيام وصلت المراكب ، بإحراق كتب الإمام أبي حامد الغزالي بالمرية .

وعن الإمام ، فخر الدين ، أبي بكر الشاشي[1] ، لما ولى نظام الملك أبا حامد درس النظامية ببغداد ، وقدم اليها في سنة أربع وثمانين وأربعمائة ، اجتمع عليه الفقهاء ، وقالوا له : قد علم سيدنا أن العادة أن من درس بهذه البقعة عمل دعوة للفقهاء ، ويحضرهم سماعاً ، ونريد أن تكون دعوتك برتبتك في العلم ، فقال الغزالي : سمعاً وطاعة ، لكن على أحد أمرين ، إما أن يكون التقدير اليكم والتعيين لي ، أو بالعكس . فقالوا : بل التقدير اليك والتعيين لنا ، فنريد الدعوة اليوم ، فقال لهم فالتقدير حينئذ مني على حسب ما يمكنني ، وهو خبز وخل وبقل . فقالوا : لا والله بل التعيين لك والتقدير لنا ، ونريد أن يكون في هذه الدعوة من الدجاج كذا ، ومن الحلو كذا ، فقال سمعاً وطاعة والتعيين بعد سنتين ؛ فقالوا قد عجزنا ، وسلمنا الكل اليك ، لعلمنا أننا إن جرينا معك على قاعدة النظر ، حلت بيننا وبين الظفر من هذه الدعوة بقضاء الوطر .

وكان في زماننا شخص يكره الغزالي ، يذمه ويستغيبه في الديار المصرية ،

---

(١) محمد بن احمد بن الحسين بن عمر الشاشي ولد سنة ٩٩ ؛ وتوفي سنة ٥٠٧ هـ .

فرأى النبي ﷺ في المنام ، وأبا بكر وعمر رضي الله عنهما بجانبه ، والغزالي جالس بين يديه ، وهو يقول : يا رسول الله هـــذا يتكلم فيّ ، وأن النبي ﷺ قال : هاتوا السياط ، وأمر به فضرب لأجل الغزالي . وقام هذا الرجل من النوم ، وأثر السياط على ظهره ولم يزل ، وكان يبكي ويحكيه للناس .

وسنحكي منام أبي الحسن بن حرزهم المغربي ، المتعلق بكتاب الإحياء ، وهو نظير هذا .

وحكى لي بعض الفقهاء أهل الخير بالديار المصرية ، أن شخصاً تكلم في الغزالي في درس الشافعية ، وسبه ، فحمل هذا الحاكي من ذلك هماً مُفرطاً . وبات تلك الليلة ، فرأى الغزالي في النوم ، فذكر له ما وجد من ذلك ، فقال لا تحمل هماً ، غداً يموت . فلما أصبح توجه الى درس الشافعية ، فوجد ذلك الفقيه قد حضر طيباً ، في عافية ثم خرج من الدرس ، فلم يصل الى بيته ، إلا وقد وقع من على الدابة ، ودخل بيتـــه في حال التلف ، وتوفي آخر ذلك النهار .

ومما يعد من كرامات الغزالي أيضاً ، أن السلطان علي بن يوسف بن تاشفين صاحب المغرب ، الملقب بأمير المسلمين ، وكان أميراً عادلاً ، زهاً فاضلا ، عارفاً بمذهب مالك ، حمل اليه لما دخلت مصنفات الغزالي الى المغرب ، أنها مشتملة على الفلسفة المحضة ، وكان المذكور يكره هذه العلوم . فأمر بإحراق كتب الغزالي ، وتوعد بالقتل من وُجِد عنده شيء منها ؛ فاختلت حاله ، وظهرت في بلاده مناكير كثيرة ، وقويت عليه الجند ، وعلم من نفسه العجز ، بحيث كان يدعو الله بأن يقيض للمسلمين سلطاناً يقوى على أمرهم ، وقوي عليه عبد المؤمن بن علي ، ولم يزل من حين فعله بكتب الغزالي ما فعل ، في عكس ونكد الى أن توفي .

ومن الرواية عن حجة الاسلام سقى الله عهده :

قرأت على أبي عبد الله محمد ، بن أحمد الحافظ ، في سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة ، أخبرنا الحافظ ابو محمد الدمياطي ، عن الحافظ عبد العظيم المنذري ، أنبأنا الشيخ أبو منصور فتح بن خلف السعدي . أخبرنا الامام شهاب الدين أبو الفتح محمد بن محمود الطوسي ، أخبرنا محي الدين محمد بن يحيى الفقيه ، أخبرنا حجة الاسلام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي . حدثنا الشيخ محمد بن يحيى بن محمد الشجاعي الزوزني بزوزن في داره قراءة عليه . حدثنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب المقبري . حدثنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن حفيد العباس بن حمزة . حدثنا أبو القاسم أحمد بن عبد الله بن عامر الطائي بالبصرة . حدثنا أبي ، في سنة ستين ومائتين . حدثني علي بن موسى الرضا ، في سنة أربع وتسعين ومائة . حدثني أبي موسى بن جعفر . حدثني أبي جعفر بن محمد . حدثني أبي محمد بن علي . حدثني أبي علي ،بن الحسين . حدثني أبي الحسين ، بن علي . حدثني أبي علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : يظهر قوم لا خلاق لهم في الدين ، شابهم فاسق ، وشيخهم مارق ، وصبيهم غار . الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر فيما بينهم مستضعف ، والفاسق والمنافق فيما بينهم مُشرَّف ، إن كنت غنياً وقروك ، وان كنت فقيراً حقروك ، همازون لمازون ، يمشون بالنميمة ، ويدسون بالخديعة ، أولئك فراش نار . وذباب طماع ، وعند ذلك يوليهم الله امراء ظلمة ، ووزراء خونة ، ورفقاء غشمة ، وتوقع عند ذلك جراداً شاملاً ، وغلاء متلفاً ، ورخصاً مجحفاً ، ويتتابع البلاء كما يتتابع الخرز من الخيط اذا انقطع ، هذا حديث ضعيف .

أخبرنا الحافظ أبو العباس الأشعري ، إذناً خاصاً عن أبي الفضل احمد بن هبة الله بن عساكر ، عن أبي المظفر عبد الرحيم ، قال : أخبرنا والدي الحافظ أبو

سعد عبد الرحيم بن محمد بن منصور . أنشدنا أبو سعد محمد بن أبي العباس الخليلي ، إملاء بنوقان في الجامع ، أنشدنا الامام أبو حامد الغزالي :

أأن ينـال امرؤ يمسي على ثقـة　　أن الذي خلق الارزاق يرزقـه
فالعرض منـه مصون لايدنسه　　والوجه منه جديد ليس يخلقـه
إن القنـاعة من يحلل بساحتها　　لم يلق في دهره شيئاً يؤرقـه

كتب إلي أحمد بن أبي طالب المسند عن الحافظ أبي عبد الله محمد بن محمود عن أبي عبد الله محمد بن أحمد بن سليمان الزاهدي ، قال : أنشدني أبو محمد عبد الله الملك بن مويه العبدري ، قال أنشدني أبو بكر العربي ، قال أنشدني أبو حامد الغزالي لنفسه :

سقمي في الحب عافيتي　　ووجودي في الهوى عـدمي
وعـذاب يرتضون بـه　　في فمي أحـلى من النعم
مـا لضر في محبتكم　　عنـدنا والله من ألم

وبالسند إلى الحافظ أبي عبد الله قال : قرأت على أبي القاسم بن الأسعد البزار عن يوسف بن أحمد الحافظ ، قال : أنشدنا محمد بن أبي عبد الله الجوهري قال : أنشدنا لأبي حامد :

فقهـاؤنا كذبالة النبراس　　هي في الحريق وضوؤهـا للناس
ضر ذميم تحت رائق منظر　　كالفضة البيضاء فوق نحـاس

أخبرنا علي بن الفضل الحافظ: أنشدني أبو محمد عبد الله بن يوسف الآمدي ، أنشدني أمين بن أبي الصلت . أنشدني أبو محمد التكريتي . أنشدني أبو حامد الغزالي لنفسه :

حلت عقـارب صدغه من خده　　قمراً فجـل بهـا عن التشبيه
ولقـد عهدناه يحل ببرجهـا　　ومن العجائب كيف حلت فيه

ومما أنشد فيه أبو جعفر عمر بن عبد العزيز بن يوسف الطرابلسي لنفسه :

هذب المذهب حبر ... أحسن الله خلاصه

بسيط ووسيط ... ووجيز وخلاصه

وقال أبو المظفر الأبيوردي يرثيه :

بكى على حجة الاسلام حين ثوى ... من كل حي عظيم القدر أشرفـــه

. . . . (١)

وقال القاضي عبد الملك بن أحمد بن محمد العافي :

بكيت بعيني راحم القـــلب واله ... فتى لم يوالِ الحـــق من لم يواله

وسيبت دمعاً طـــالمـا قد حبسته ... وقلت لجفـــني واله ثم واله

أبا حامد محي العـــلوم ومن بقي ... لشد عرى الإسلام وفق مقاله

ذكر عدد مصنفاته :

له في المذهب: الوسيط ، والبسيط ، والوجيز ، والخلاصة .

وفي سائر العلوم ، كتاب إحيـــاء علوم الدين ، وكتاب الأربعين ، وكتاب الأسماء الحسنى، والمستصفى في أصول الفقه ، والمنخول في أصول الفقه ألفه في حياة أستاذه إمام الحرمين ، وبداية الهداية ، والمآخذ في الخلافيات ، وتحقيق المآخذ وكيمياء السعادة بالفارسية ، والمنقذ من الضلال ، ولباب المنتحل في الجـــدل ، وشفاء الغليل في بيان مسائل التعليل ، والاقتصاد في الاعتقاد ، ومعيار النظر ، ومحك النظر ، وبيان القولين للشافعي ، ومشكاة الأنوار ، والمستظهري في الرد على الباطنية ، وتهافت الفلاسفة ، والمقاصد في بيان اعتقادالأوائل وهو مقاصدالفلاسفة وإلجام العوام في علم الكلام ، والغاية القصوى ، وجواهر القرآن ، وبيان فضائح

---

(١) انظر الكتاب ص ٦٤

الامامية ، وغور الدور في المسألة السريجية ، والمختصر الأخير فيها ـ رجع فيه عن مصنفه الأول فيها المسمى بغاية الغور في دراية الدور ، وكشف علوم الآخرة ، والرسالة القدسية ، والفتاوى ، وميزان العمل ، ومواهم البـاطنية ـ وهو غير المستظهري في الرد عليهم ـ . وحقيقة الروح ، وكتاب أسرار معاملات الدين ، وعقيدة المصباح ، والمنهج الأعلى ، وأخلاق الأنوار ، والمعراج ، وحجة الحق ، وتنبيه الغافلين ، والمكنون في الأصول ، ورسالة الأقطاب ، ومسلم السلاطين ، والقانون الكلي ، والقربة إلى الله ، ومعتاد العـلم ، ومفصل الخلاف في أصول القياس ، وأسرار اتباع السنة ، وتلبيس إبليس ، المبادىء والغايات ، الأجوبة ، وكتاب عجائب صنع الله ، ورسالة الرد على من طغى .

ذكر المنام الذي أبصره الامام عامر الساوي بمكة :

قال الحافظ أبو القاسم بن عساكر في كتاب التبيين :

. . . .(١)

فنسأل الله تعالى كمال التعيين والثبات في الدين لنا ولكافة المسلمين إنه ارحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

ذكر كلام الطاعنين على هذا الامام ورده ونقض عرى باطله وهده

قال الامام أبو عبد المازري ، المالكي (٢) مجيباً لمن سأله عن حال كتاب إحياء علوم الدين : ومصنفه هذا الرجل يعني الغزالي . وإن لم أكن قرأت كتابه ، فقد رأيت تلامذته وأصحابه فكل منهم يحكي لي نوعاً من حاله وطريقته ، فأتلوح بها من مذهبه وسيرته ، ماقام لي مقام العيان . فأنا أقتصر على ذكر حال الرجل ،

---

(١) منقول عن ابن عساكر ص ٤٩-٥٨

(٢) ذكر هذا الكلام الذهبي ص ٧٣ وقد اثبته هنا لأن السبكي سيرد عليه .

وحال كتابه ، وذكر جمل من مذاهب الموحدين ، والفلاسفة ، والمتصوفة ، وأصحاب الاشارات ، فان كتابه متردد بين هذه الطرائق لايعدوها . ثم أتبع ذلك بذكر حيل أهل مذهب ، على أهل مذهب آخر . ثم أبين عن طرق الغرور ، وأكشف عما دفن من حبال الباطل ، ليحذر من الوقوع في حباله صائده ، ثم أثنى على الغزالي في الكشف ؛ وقال هو أعرف بالفقه منه بأصوله ؛ وأما علم الكلام الذي هو أصول الدين ، فانه صنف فيه أيضاً ، وليس بالمستبحر فيها ؛ ولقد فطنت لسبب عدم استبحاره ؛ وذلك أنه قرأ علم الفلسفة قبل استبحاره في فن أصول الدين ، فأكسبته قراءة الفلسفة جراءة على المعاني ، وتسهيلاً للهجوم على الحقائق ، لأن الفلاسفة تمر مع خواطرها ، وليس لها حكم شرعي ترعاه ، ولا تخاف من مخالفة أئمة تتبعها . وعرفني بعض أصحابه ، أنه كان له عكوف على رسائل إخوان الصفا ، وهي إحدى وخمسون رسالة ، ومصنفها فيلسوف قد خاض في علم الشرع والعقل ، فمزج مابين العلمين . وذكر الفلسفة وحسنها في قلوب أهل الشرع ، بأبيات يتلوها عندها وأحاديث يذكرها . ثم كان في هذا الزمان المتأخر رجل من الفلاسفة ، يعرف بابن سينا ، ملأ الدنيا تآليف في علم الفلسفة ، وهو فيها إمام كبير ، وقد أدته قوته في الفلسفة الى أن حاول رد أصول العقائد الى علم الفلسفة ، وتلطف جهده ، حتى تم له مالم يتم لغيره ، وقد رأيت جملاً من دواوينه ، ورأيت هذا الغزالي يعول عليه في أكثر ما يشير إليه من الفلسفة ، ثم قال وأما مذاهب الصوفية فلست أدري على من عول فيها ، ثم أشار الى أنه عول على أبي حيان التوحيدي ، ثم ذكر توهية أكثر مافي الإحياء من الأحاديث ، وقال : عادة المتورعين أن لايقولوا قال مالك قال الشافعي فيما لم يثبت عندهم . ثم أشار الي أنه يستحسن أشياء مبناها على مالا حقيقة له مثل قوله في قص الاظفار، أن تبدأ بالسبابة ، لأن لها الفضل على بقية الأصابع ، لكونها المسبحة ، الى آخر

ماذكر من الكيفية . وذكر فيه أثراً . وقال : من مات بعد بلوغه ولم يعلم أن الباري قديم ، مات مسلماً إجماعا . قال ومن تساهل في حكاية هذا الاجماع ، الذي الأقرب أن يكون فيه الإجماع بعكس ماقال ، فحقيق أن لايوثق بما نقل . وقد رأيت له أنه ذكر أن في علومه هـــذه ، مالا يسوغ أن يودع في كتاب ؛ فليت شعري أحق هو أم باطل ؟ فان كان باطلاً فصدق ، وان كان حقاً ، وهو مراده بلا شك فلم لايودع في الكتب ؟ ألغموضه ودقته ؟ . قال فان كان هو فهمه فما المانع أن يفهمه غيره ؟ هذا ملخص كلام المازري .

وسبقه الى قريب منه من المالكية أبو الوليد الطرطوشي فذكر في رسالته الى ابن مظفر ، فأما ماذكرت من أمر الغزالي ، فرأيت الرجل ، وكلمته ، فرأيته رجلاً من أهل العلم ، قد نهضت به فضائله ، واجتمع فيه العقل والفهم ، وممارسة العلوم طول زمانه ، ثم بدا له الانصراف عن طريق العلماء ودخل في غمار العمال . ثم تصوف ، فهجر العلوم وأهلها . ودخل في علوم الخواطر ، وأرباب القلوب ، ووساوس الشيطان ، ثم شابها بآراء الفلاسفة ، ورموز الحلاج ؛ وجعل يطعن على الفقهاء والمتكلمين ؛ ولقد كاد ينسلخ من الدين . فلما عمل الإحياء ، عمد يتكلم في علوم الأحوال ، ومرامز الصوفية ، وكان غير أنيس بها ، ولا خبير بمعرفتها سقط على أم رأسه ، وشحن كتابه بالموضوعات .انتهى

وأنا أتكلم على كلامهما ، ثم أذكر كلام غيرهما ، وأتعقبه أيضاً ، وأجتهد أن لا أتعدى طور الإنصاف ، وأن لايلحقني عرق الحمية والاعتساف ، وأسأل الله الإمداد لذلك والإسعاف . فما أحد منهم معاصراً لنا ولا قريباً ، ولا بيننا إلا وصلة العلم ، ودعوة الخلق الى جناب الحق . فأقول :

أما المازري فقبل الخوض معه بالكلام، أقدم لك مقدمة . وهي أن هذا الرجل كان من أذكى المغاربة قريحة ، وأحدهم ذهناً ، بحيث اجترأ على شرح البرهان لإمام الحرمين ، وهو لغز الأمة الذي لا يحوم نحو حماه ، ولا يدندن حول مغزاه ، إلا غواص على المعاني ، ثاقب الذهن ، مبرز في العلم . وكان مصمماً على مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري[1] رضي الله عنه ، جليلها وحقيرها ، كبيرها وصغيرها ، لا يتعداها ، ويبدع من خالفه ، ولو في النزر اليسير ، والشيء الحقير ثم هو مع ذلك مالكي المذهب ، شديد الميل الى مذهبه ، كثير المناضلة عنه وهذان الامامان ـ اعني ـ إمام الحرمين وتلميذه الغزالي ، وصلا من التحقيق ، وسعة الدائرة في العلم ، الى المبلغ الذي يعرف كل مصنف ، بأنه ما انتهى اليه أحد بعدهما ، وربما خالفا أبا الحسن في مسائل من علم الكلام . والقوم ، ـ أعني الأشاعرة لاسيما المغاربة منهم ـ يستصعبون هذا الصنع ، ولا يرون مخالفة أبي الحسن في نقير ولا قطمير ، وكأنما عناه الغزالي بقوله : وربما ضعفا مذهب مالك في كثير من المسائل ، كما فعلا في مسألة المصالح المرسلة ، وعند ذكر الترجيح بين المذاهب . فهذان أمران نفر المازري منها . وينضم الى ذلك أن الطرق شتى مختلفة ، ما رأيت سالك طريق ، إلا ويستقبح الطريق التي لم يسلكها ، ولم يفتح عليه من قبلها ، ويضع عند ذلك غيره ، لا ينجو من ذلك إلا القليل من أهل المعرفة والتمكين . ولقد وجدت هذا واعتبرته حتى في مشايخ الطريقة . ولا يخفى أن طريقة الغزالي ، التصوف والتعمق في الحقائق ، ومحبة اشارات القوم . وطريقة المازري ، الجمود على العبارات الظاهرة ، والوقوف معها ، والكل حسن ولله الحمد ، إلا أن اختلاف الطريقتين يوجب تباين المزاجين ، وبعد ما بين القلبين ، لاسيما وقد انضم اليه

---

(١) أبو الحسن علي المتكلم المشهور . ينسب اليه الأشاعرة ولد سنة ٢٦٠ هـ وتوفي سنة ٣٢٤ هـ .

ماذكرناه من المخالفة في المذهب ، وتوهم المازري أنه يضع من مذهبه ، وأنه يخالف شيخ السنة ، أبا الحسن الأشعري ، حتى رأيته ـ أعني المازري ـ قال في شرح البرهان ، في مسألة خالف فيها إمام الحرمين ، أبا الحسن الأشعري ، وليست من القواعد المعتبرة ولا المسائل المهمة : من خطأ شيخ السنة أبا الحسن الأشعري ، فهو المخطىء . وأطال في هذا ، وقال ، في الكلام على ماهية العقل في أوائل البرهان : وقد حكى عن الأشعري أنه يقول العقل هو العلم ، وأن الإمام رضي الله عنه ، قال مقالة الحارث المحاسبي أنه غريزة بعد، أن كان في الشامل ينكرها ، وأنه إنما رضيها ، لكونه في آخر عمره قرع باب قوم آخرين ، يشير الى الفلاسفة . فليت شعري ما في هذه المقالة مما يدل على ذلك ، وأعجب من هذا أنه ـ أعني المازري ـ في آخر كلامه اعترف بأن الإمام لاينحو نحوهم ، وأخذ يحل من قدره ، وله من هذا الجنس كثير . فهذه أمور توجب التنافر بينهم ، ويحمل المنصف على أن لايسمع كلام المازري فيها إلا بعد حجة ظاهرة ، ولا تحسب أننا نفعل ذلك إزراء بالمازري ، وحطاً من قدره ، لا والله بل بيّنا بطريق الوهم عليه ، وهو في الحقيقة معذور ، فإن المرء إذا ظن بشخص سوءً ، قلما أمعن بعد ذلك النظر في كلامه ، بل يصير بأدنى لمحة أدلت يحمل أمره على السوء ، ويكون مخطئاً في ذلك ، إلا من وفق الله تعالى ، ممن برىء عن الأغراض ، ولم يظن إلا الخير ، وتوقف عند سماع كل كلمة ، وذلك مقام لم يصل اليه إلا الآحاد من الخلق ، وليس المازري بالنسبة الى هذين الإمامين من هذا القبيل .

وقد رأيت ما فعله في حق إمام الحرمين ، في مسألة الاسترسال ، التي حكيناها في ترجمة الإمام(١) ، في الطبقة الرابعة ، وكيف وهم على الإمام ، وفهم عنه ما لايفهمه عنه العوام ، وفوق نحوه سهام الملام .

(١) أي الامام الجويني .

إذا عرفت هذه المقدمة فأقول : إن ما ادعاه من أنه عرف مذهبه ، بحيث قام له مقام العيان ، هو كلام عجيب فإنا لانستجيز أن نحكم على عقيدة أحد بهذا الحكم ، فإن ذلك لا يطلع عليه إلا الله ، ولن تنتهى اليه القوانين والأخبار أبداً . وقد وقفنا نحن على غالب كلام الغزالي ، وتأملنا كتب أصحابه ، الذين شاهدوه وتناقلوا أخباره ، وهم به أعرف من المازري ، ثم لم تنته إلي أكثر من غلبة الظن ، بأنه رجل أشعري المعتقد ، خاض في كلام الصوفية . أما قوله : وذكر جملاً من مذاهب الموحدين ، والفلاسفة ، والمتصوفة ، وأصحاب الاشارات ؛ فأقول : إن عني بالموحدين الذين يوحدون الله ،فالمسلمون أول داخل فيهم ؛ ثم عَطْفُ الصوفية عليهم ، يوهم أنهم ليسوا مسلمين ، وحاشا لله . وإن عني به أهل التوكل على الله ، فهم من خير فرق الصوفية ، الذين هم من خير المسلمين ، فما وجه عطف الصوفية عليهم بعد ذلك ؟ وإن أراد أهل الوحدة المطلقة ، المنسوب كثير منهم الى الاتحاد والحلول[1] ، فمعاذ الله ليس الرجل في هذا الصوب ؛ وهو مصرح بتكفير هذه الفئة ، وليس في كتابه شيء من معتقداتهم .

وأما قوله : الغزالي ليس بالمتبحر في علم الكلام ، فأنا أوافقه على ذلك . ولكني أقول : أن قدمه فيه راسخ ، ولكن لا بالنسبة الى قدمه في بقية علومه ، هذا ظني . وأما قوله : أنه اشتغل في الفلسفة قبل استبحاره في فن الأصول ، فليس الأمر كذلك ؛ بل لم ينظر في الفلسفة إلا بعد ما استبحر في فن الأصول . وقد أشار هو — أعني الغزالي — الى ذلك في كتابه ،

(١) مذهبا الوحدة والحلول، من الاتجاهات التي نزعت إليها الصوفية بتأثير الفلسفة الهندية واليونانية وغيرها ويعتبر الحلاج من مشاهير الذين قالوا بالحلول وأما مذهب وحدة الوجود فقد اكتمل على يد محي الدين عربي .

« المنقذ من الضلال » وصرح ، بأنه توغل في علم الكلام قبل الفلسفة . ثم قول المازري : قرأ علم الفلسفة قبل استبحاره في علم الأصول ، بعد قوله إنه لم يكن بالمستبحر في الأصول ، كلام يناقض أوله آخره .

وأما دعواه ، أنه تجرأ على المعاني ، فليست له جرأة إلا حيث دله الشرع ، ويدعي خلاف ذلك من لا يعرف الغزالي ، ولا يدري مع من يتحدث.

ومن الجهل بحاله دعوى أنه اعتمد على كتب أبي حيان التوحيدي ، والأمر بخلاف ذلك ولم يكن عمدته في الاحياء ، بعد معارفه ، وعلومه ، وتحقيقاته، التي جمع بها شمل الكتاب ، ونظم بهـا محاسنه ، إلا على كتاب « قوت القلوب » لأبي طالب المكي[1] ، وكتاب « الرسالة» للأستاذ أبي القاسم القشيري[2]، المجمع على جلالتها وجلالة مصنفيهما . وأما ابن سينا ، فالغزالي يكفره ، فكيف يقال أنه يقتدي به ؟ ولقد صرح في كتاب « المنقذ من الضلال » أنه لا شيخ له في الفلسفة ، وسنحكي كلامه في ذلك إن شاء الله تعالى .

وقوله : لا أدري على من عول في التصوف ؟ قلت : عول على كتاب القوت ، والرسالة ، مع ما ضم اليهما من كلام مشايخه ، أبي علي الملائي ، وأمثاله، ومع ما زاده من قِبَل نفسه ، بفكره ، ونظره ، وما فتح به عليه ، وهو عندي أغلب ما في الكتاب .

---

(١) ابو طالب محمد بن علي بن عطية الحارثي الواعظ المكي صاحب كتاب قوت القلوب يقول عنه ابن خلكان « كان رجلاً صالحاً مجتهداً في العبادة .. »وذكر عنه أنه حين قدم بغداد وعظ فيها وخلط في كلامه فبدعه الناس وهجروه . توفي سنة ٣٨٦ هـ .

(٢) ابو القاسم عبد الكريم بن هوازن الفقيه الشافعي صاحب الرسالة المشهورة في التصوف يقول عنه ابن خلكان « كان علامة في الفقه والتفسير والحديث والأصول والادب والاصول والشعر والكتابة وعلم التصوف ، يعرف الاصول على مذهب الاشعري والفروع على مذهب الشافعي توفي سنة ٤٦٥ هـ بنيسابور».

وليس في الكتاب للفلاسفة مدخل ، ولم يصنفه إلا بعدما ازدرى علومهم ، ونهى عن النظر في كتبهم ، وقد أشار الى ذلك في غير موضع من الاحياء ، ثم في كتاب المنقذ من الضلال ما نصه : « ثم إني لما ابتدأت بعد الفراغ من علم الكلام ، بعلم الفلسفة ، وعلمت يقيناً أنه لا يقف على فساد نوع من العلوم ، من لا يقف على منتهى ذلك العلم ، حتى يساوي أعلمهم في أصل العلم ، ثم يزيد عليه ، ويجاوز درجته ، فيطلع على ما لم يطلع عليه صاحب العلم ، من غور وغائلة ، فإنه بذاك يمكن أن يكون ما يدعيه من فساده حقاً . ولم أر أحداً من علماء الاسلام وجه عنايته الى ذلك ، ولم يكن في كتب المسلمين من كلامهم ، حيث اشتغلوا بالرد عليهم ، إلا كلمات معقدة ، مبددة ظاهرة التناقض والفساد ، ولا يظن الاعتراف بها عاقل عامي ، فضلاً عمن يدعي دقائق العلوم . فعلمت أن رد هذا المذهب قبل فهمه والاطلاع على كنهه رمي في عماية ، فشمرت عن ساق الجد في تحصيل ذلك العلم من الكتب ، بمجرد المطالعة ، من غير استعابه بإسناد وتعلم فأقبلت على ذلك في أوقات فراغي من التدريس والتصنيف في العلوم الشرعية ، وأنا مهتم بالتدريس والافادة لبل" غلة نفر من الطلبة ببغداد ، فأطلعني الله تعالى بمجرد المطالعة في هذه الأوقات ، على منتهى علومهم ، في أقل من سنتين ، ثم لم أزل أواظب على التفكر فيه بعد فهمه ، قريباً من سنة ، أعاوده وأراوده ، واتفقد غوائله ، وأغواره ، حتى اطلعت على مافيه من خداع وتلبيس ، وتحقيق وتخيل ، اطلاعاً لم أشك فيـه . فاسمع الآن حكايتي ، وحكاية حاصل علومهم . فإني رأيت علومهم أقساماً ، وهم على كثرة أصنافهم ، تلزمهم وجهة الكفر والالحاد ، وإن كان بين القدماء منهم ، والأقدمين ، والأواخر منهم ، والأوائل ، تفاوت عظيم ، في البعد عن الحق ، والقرب منه . » انتهى .

وقال بعده فصل في بيان أصنافهم ، وشمول سمة الفكر كافتهم واندفع في ذلك فهذا رجل ينادي على كافة الفلاسفة بالكفر ، وله في الرد عليهم الكتب الفائقة ،

وفي الذب عن حريم الاسلام الكلمات الرائقة ، ثم يقال إنه بنى كتابه على مقالتهم بالله ويا للمسلمين .!! نعوذ بالله من تعصب يحمل على الوقيعة في أئمة الدين .

وأما ماعاب به الإحياء ، من توهية بعض الأحاديث ، فالغزالي معروف بأنه لم تكن له في الحديث يد باسطة ، وعامة مافي الإحياء من الأخبار والآثار ، مبدد في كتب من سبقه من الصوفية والفقهاء ، ولم يسند الرجل لحديث واحد ، وقد اعتنى بتخريج أحاديث «الإحياء» بعضُ أصحابنا ؛ فلم يشذ عنه إلا اليسير ، وسأذكر جملة من أحاديثه الشاذة ستفادة .

وأما ماذكروه في قص الأظفار ، فالأمر المشار اليه ، يروى عن علي ، كرم الله وجهه ، غير أنه لم يثبت ، وليس في ذلك كبير أمر ، ولا مخالفة شرع وقد سمعت جماعة من الفقراء ، يذكرون أنهم جربوه فوجدوه لايخطىء ، مَن داومه أَمِن وَجَعَ العين . ويروون من شعر علي كرم الله وجهه هذا :

ابدأ بيمناك وبالخنصر	في قص أظفارك واستبصر
واختم بسبابتها هكذا	لا تغفل في الرجل ولاتمتر
وابدأ بيسراك بابهامها	والاصبع الوسطى وبالخنصر
وتتبع الخنصر سبابة	بنصرها خاتمة الأيسر
هذا أمان لك قد حزته	من رمد العين كما قد قري

وأما قول المازري : عادة المتورعين أن لا يقولوا قال مالك الى آخره .. فليس ماقال الغزالي : قال رسول الله ﷺ على سبيل الجزم ، وإنما يقول عزوٌ بتقدير الجزم . فلو لم يغلب على ظنه ، لم يقله ، وغايته أنه ليس الأمر على ماظن . وسنعقد فصلاً للأحاديث المنكرة في كتاب الإحياء .

وأما مسألة : من مات ولم يعلم قدم الباري .. ففرق بين عدم اعتقاد بالقدم ،

واعتقاد أن لاقدم . والثاني هو الذي أجمعوا على تكفير من اعتقده ،فمن استحضر بذهنه صفة القدم ، ونفاها عن الباري ، وأوجبها منفية أو شكّ في انتفائها كان كافراً . وأما الساذج من مسأله القدم ، الخالي الخلوّ المؤمن بالله على الجملة ، فهو الذي ادعى الغزالي الإجماع على أنه مؤمن على الجملة ، ناج من حيث مطلق الإيمان الجميلي . ومن البلية العظمى ، والمصيبة الكبرى ، أن يقال عن مثل الغزالي أنه غير موثوق بنقله ؛ فما أدري ما أقول ولا بأي وجه يلقى الله من يعتقد ذلك في هذا الامام .

وأما تقسيم المازري في العلم الذى أشار حجة الاسلام أنه لايودع في كتاب ، فوددت لو لم يذكره ، فإنه شبُه عليه ، وهذا المازري كان رجلاً ، ركناً ، ذكياً ، وما كنت أحسبه يقع في مثل هذا ، أوَ خفي عليه ، أن للعلوم دقائق ، نهى العلماء عن الافصاح بها ، خشية على ضعفاء الخلق ، وأموراً أخر ، لا تحيط بها العبارات ، ولا يعرفها إلا أهل الذوق ، وأموراً أخر ، لم يأذن الله في إظهارها لحِكم تكثر عن الاحصاء . وماذا يقول المازري ، فما خرجه البخاري في صحيحه ، من حديث أبي الطفيل ، سمعت علياً رضي الله عنه يقول : «حدثوا الناس بمايعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله ». وكم مسألة نص العلماء على عدم الإفصاح بها ، خشية على أفهام من لايفهمها . وهذا امامنا الشافعي ، رضي الله عنه . يقول : « أن الأجير المشترك لايضمن » . قال الربيع : وكان لايبوح به خوفاً من أجير السوء . قال الربيع أيضاً : وكان الشافعي ، رضي الله عنه ، يذهب الى أن القاضي يقضي بعلمه ، وكان لايبوح به مخافة قضاة السوء فقد لاحلك بهذا،أنه ربما وقع السكوت عن بعض العلم ، خشية من الوقوع في محذور . ومثل ذلك كثير .

وأما كلام الطرطوشي : فمن الدعاوى العارية عن الدلالة ،وما أدري كيف استجاز في دينه ، أن ينسب الى هذا الحبر ، أنه دخل في وسواس الشيطان . ولا من أين أطلع على ذلك .

وأما قوله : شابها بآراء الفلاسفة ، ورموز الحلاج ، فلا أدري أي رموز في هذا الكتاب غير إشارات القوم التي لا ينكرها عارف ، وليس للحلاج رموز يعرف بها .

وأما قوله كاد ينسلخ من الدين ، فيالها كلمة وقانا الله شرها .

وأما دعواه أنه غير أنيس بعلوم الصوفية ، فمن الكلام البارد ؛ فانه لا يرتاب ذو النظر بأن الغزالي ، كان ذا قدم راسخ في التصوف . وليت شعري إن لم يكن الغزالي يدري التصوف فمن يدريه .

وأما دعواه أنه سقط على أم رأسه ،فوقيعة بالعلماء بغير دلالة ، فإنه لم يذكر لنا بماذا سقط ، كفاه الله وإيانا غائلة التعصب .

وأما الموضوعات في كتابه ، فليت شعري أهو واضعها حتى ينكر عليه ؟ إن هذا إلا تعصب بارد ، وتشنيع بما لا يرتضيه ناقد .

ولقد هجر هذا في الإحياء الذي لا ينبغي لعالم أن ينكر مكانته ، في الحسن والافادة . ولقد قال بعض المحققين : لو لم يكن للناس في الكتب التي صنفها الفقهاء الجامعون في تصانيفهم بين النقل والنظر والفكر والأثر ، غيره لكفى . وهو من الكتب التي ينبغي للمسلمين الاعتناء بها ، وإشاعتها ، ليهتدي بها كثير من الخلق ؛ وقلما ينظر فيه ناظر ، إلا وتيقظ به في الحال . رزقنا الله بصيرة ترينا وجه الصواب ووقانا شر ما هو بيننا وبينه حجاب .

وللشيخ تقي الدين ابن الصلاح ، في حق الغزالي ، كلام لا نرتضيه ، ذكره علماء المنطق ، تكلمنا عليه في أوائل شرحنا لمختصر ابن الحاجب .

وكتب إلي مرة الحافظ عفيف الدين المطري ، المقيم بمدينة سيدنا رسول الله ﷺ ، كتاباً سألني أن أسأل الشيخ الامام رأيه ، فذكرت له ذلك ،

فكتب إلي الجواب بما نصه : الحمد لله ، ولدي عبد الوهاب بارك الله فيه، وقفت على ما ذكرت ، مما سأل عنه الشيخ الامام ، العالم القدوة ، عفيف الدين المطري ، نفع الله به في ترجمة الغزالي ، وأبي حيان التوحيدي ، وذكرته أنت في الطبقات في ترجمة التوحيدي ، وماعندي فيه أكثر من ذلك فتكتبه له . وكذلك الغزالي ، ماعندي فيه زيادة على ماذكره ابن عساكر ، وغيره ، ممن ترجمه . وماذا يقول الانسان فيه ، وفضله واسمه قد طبق الأرض ، ومن خبر كلامه ، عرف أنه فوق اسمه ؛ وأما ما ذكره الشيخ تقي الدين ابن الصلاح ، عن نفسه ، ومن كلام يوسف الدمشقي والمازري ، فما أشبّه هؤلاء الجماعة ، رحمهم الله ، إلا بقوم متعبدين ، سليمة قلوبهم ، قد ركنوا الى الهوينا ، فرأوا فارساً عظيماً من المسلمين ، قد رأى عدواً عظيماً لأهل الاسلام ، فحمل عليهم ، وانغمس في صفوفهم ، ومازال في غمرتهم ، حتى فل شوكتهم ، وكسرهم ، وفرق جموعهم ، شذر مذر ، وفلق هام كثير منهم ، فأصابه يسير من دمائهم . وعاد سالماً فرأوه وهو يغسل الدم عنه. ثم دخل معهم في صلاتهم ، وعباداتهم ، فتوهموا أيضاً أثر الدم عليه ، فأنكروا عليه . هذا حال الغزالي وحالهم ، والكل إن شاء الله مجتمعون في مقعد صدق عند مليك مقتدر .

وأما المازري ، لأنه مغربي ، وكانت المغاربة لما وقع لهم كتاب الإحياء لم يفهموه فحرقوه ، فمن تلك الحالة تكلم المازري . ثم إن المغاربة بعد ذلك أقبلوا عليه ومدحوه بقصائد منها قصيدة [1] :

أبا حامد أنت المخصص بالحمد ... وأنت الذي علمتنا سنن الرشد
وضعت لنا الإحياء يحيي نفوسنا ... وينقذنا من ربقة المارد المردي

---

(١) لابي العباس الاقلشي ، كما ذكر ذلك اليافعي اليماني . انظر الكتاب ص ٨٨

وهي طويلة ، وان كنت لا أرتضي قوله أنت المخصص بالحمد ، ويتأول لقائليه ، أنه من بين أقرانه ، أو من بين من يتكلم ، وأين نحن ومن فوقنا وفوقهم من فهْم كلام الغزالي ، أو الوقوف على مرتبته ، في العلم والدين والتأله ؛ ولا ينكر فضل الشيخ تقي الدين وفقهه ، وحديثه ، ودينه ، وقصده الخير ، ولكن لكل عمل رجال . ولا ينكر علو مرتبة المازري ، ولكن كل حال لايعرفه من لم يذقه ، أو يشرف عليه ، وكل أحد إنما يتكيف بما نشأ عليه ، ووصل إليه .

وأما من ذكر أبا بكر وعمر رضي الله عنهما في هذا المقام ، فالله يوفقنا وإياه لفهم مقامهما على قدرنا ؛ وأما على قدرهما فمستحيل ، بل وسائر الصحابة لا يصل أحد ممن بعدهم الى مرتبتهم ، لأن أكثر العلوم التي نحن نبحث وندأب فيها الليل والنهار حاصلة عندهم ، بأصل الخلقة ، من اللغة والنحو والتصريف وأصول الفقه . وما عندهم من العقول الراجحة ، وما أفاض الله عليهم من نور النبوة ، العاصم من الخطأ في الفكر ، يغني عن المنطق وغيره من العلوم الفعليـــة . وما ألف الله بين قلوبهم ، حتى صاروا بنعمته إخوانا ، يُغْني عن الاستعداد للمناظرة والمجادلة ، فلم يكونوا يحتاجون في علومهم إلا الى ما يسمعونه من النبي ﷺ ، من الكتاب والسنة ، فيفهمونه أحسن فهم ، ويحملونه على أحسن محمل ، وينزلونه منزلته . وليس بينهم من يماري فيه أو يجادل ، ولا بدعة ولا ضلالة ، ثم التابعون ، على منازلهم ومنوالهم قريباً منهم ، ثم أتباعهم ، وهم القرون الثلاثة ، التي شهد النبي ﷺ لها ، بأنها خير القرون بعده . ثم نشأ بعدهم ـ وكان قليلاً في أثناء الثـــاني والثالث ـ أصحاب بدع ، وضلالات ، فاحتاجت العلماء من أهـــل السنة الى مقاومتهم ، ومجادلتهم ، ومناظرتهم ، حتى لا يلبسوا على الضعفاء أمر دينهم ، ولا يدخلوا في الدين ماليس منه ، ودخل في كلام أهل البدع من كلام المنطقيـين ، وغيرهم من أهل الالحاد شيء كثير ، أوردوا علينا شبهاً كثيرة ، فان تركناهم وما يصنعون ، استولوا على كثير من الضعفاء ، وعوام المسلمين ، والقاصرين من

فقهائهم وعلمائهم ، فأضلوهم ، وغيروا ماعندهم من الاعتقادات الصحيحة ،وانتشرت البدع ، والحوادث ، ولم يمكن كل واحد أن يقاومهم ، وقد لايفهم كلامهم ، لعدم اشتغاله به ، وإنما يرد الكلام من يفهمه . ومتى لم يُرَدّ عليه ، تعلو كلمته ، ويعتقد الجهلاء والأمراء والملوك والمستولون على الرعية صحة كلام ذلك المبتدع ، كما اتفق في كثير من الاعصار ، وقصرت همم الناس عما كان عليه المتقدمون ، فكان الواجب أن يكون في الناس من يحفظ الله به عقائد عباده الصالحين ، ويدفع به شبه الملحدين ، وأجره أعظم من أجر المجاهد بكثير ؛ ويحفظ أمر بقية الناس عبادات المتعبدين ، واشتغال الفقهاء والمحدثين والمقرئين والمفسرين وانقطاع الزاهدين .

لايعرف الشوق إلا من يكابده   ولا الصبابة إلا من يعانيها

واللائق بابن الصلاح وأمثاله ، أن يشكر الله على ما أنعم به من الخير ، وما قيض الله له من الغزالي وأمثاله ، الذين تقدموه ، حتى حفظوا له مايتعبد به ، وما يشتغل به ، وما يحتمل هذا الموضع بسط القول في ذلك .

وإذا كان في الاحياء أشياء يسيرة تنتقد ، لاتدفع محاسن أكثره ، التي لاتوجد في كتاب غيره ، وكم من منة للغزالي ، وسواء عُرِف من أخذ عنه التصوف أم لا ، فالاعتقادات هي من هبة الله تعالى ، ليست رواية . انتهى .

وما أشرت إليه من كلام ابن الصلاح في الغزالي ، هو ماذكره في الطبقات، من إنكاره عليه المنطق ، وقوله في أول المستصفى : هذه مقدمة للعلوم كلها ، ومن لا يحيط بها ، فلا ثقة بعلومه أصلاً . ثم حكايته كلام المازري ، وقد أوردناه . وذكر ابن الصلاح أن كتاب المضنون المنسوب إليه معاذ الله أن يكون له ، وبين سبب كونه مختلقاً موضوعاً عليه ، والأمر كما قال ، وقد اشتمل المضنون على التصريح بقدم العالم ، ونفي العلم القديم بالجزئيات ، ونفي الصفات ، وكل واحدة من هذه يكفّر الغزالي قائلها هو وأهل السنة أجمعون ، وكيف يتصور أنه يقولها.

وما حكي واشتهر عن الشيخ العارف أبي الحسن الشاذلي ، وكان سيد عصره وبركة زمانه ، أنه رأى النبي ﷺ في النوم ، وقد باهى عليه الصلاة والسلام موسى وعيسى عليهما السلام بالامام الغزالي ، وقال أفي أمتيكما حبر كهذا ؟ قالا لا.

وسئل السيد الكبير العارف بالله ، سيد وقته ، أيضاً أبو العباس المرسي ، تلميذ الشيخ أبي الحسن ، عن الغزالي ، فقال : أنا أشهد له بالصدّيقية العظمى .

وعن الشيخ الكبير ، الجليل ، العارف بالله ، أوحد الأولياء ، أبي العباس أحمد ، ابن أبي الخير اليمني المعروف بالصياد ، أنه رأى في بعض الأيام وهو قاعد ، أبواب السماء مفتحة ، وإذا بعصبة من الملائكة ، قد نزلوا إلى الأرض ، ومعهم خلع خضر ، ودابة من الدواب ، فوقفوا على رأس قبر من القبور ، وأخرجوا شخصاً من قبره ، وألبسوه الخلع ، وأركبوه على الدابة ، وصعدوا به إلى السماء ، ثم لم يزالوا يصعدون به من سماء إلى سماء ، حتى جاز السبع السموات كلها ، وخرق بعدها سبعين حجاباً ، قال فتعجبت من ذلك ، وأردت معرفة ذلك الراكب ، فقيل لي هو الغزالي ، ولا علم لي بأنه بلغ الشهادة . قلت: فإذا كان هذا كلام أهل الله، ومرائيهم في هذا الحبر ، وقد قدمنا كلام أهل العلم ، من معاصريه فمن بعدهم فيه ، وذكرنا اليسير من سيرته ، فكيف يسوغ أن يقال ، أنه كاد ينسلخ من الدين .

ولقد وقعت في بلاد المغرب بسبب الإحياء فتن كثيرة ، وتعصب ، أدى إلى أنهم كادوا يحرقونه ، وربما وقع احراق يسير . وقد قدمنا من ذلك شيئاً .

ذكر منام أبي الحسن المعروف بابن حرزهم: وهو الشيخ أبو الحسن ، بن حرزهم بكسر الحاء المهملة ، وسكون الراء وبعدها زاي ، وربما ابن حرازم ، لما وقف على الإحياء وتأمله ، قال : هذا بدعة مخالف للسنة ، وكان شيخاً مطاعاً في بلاد المغرب . فأمر بإحضار كل مافيها من نسخ الإحياء ، وطلب من السلطان أن يلزم الناس بذلك ، فكتب إلى النواحي ، وشدد في ذلك ، وتوعد من أخفى شيئاً

منه ، فأحضر الناس ماعندهم ، واجتمع الفقهاء ، ونظروا فيه ، ثم أجمعوا على إحراقه يوم الجمعة ، وكان ذلك يوم الخميس ، فلما كان ليلة الجمعة ، رأى أبو الحسن المذكور في المنام كأنه دخل من باب الجامع الذي عادته أن يدخل منه فرأى في ركن المسجد نوراً ، وإذا بالنبي ﷺ ، وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما جلوس ، والإمام أبو حامد قائم ، وبيده الاحياء ، فقال يارسول الله هذا خصمي ؛ ثم جثا على ركبته ، وزحف عليها ، إلى أن وصل إلى النبي ﷺ ، فناوله كتاب الاحياء ، وقال يارسول الله انظر فيه ، فإن كان بدعة ، مخالفاً لسنتك كما زعم ، تبت الى الله تعالى ، وإن كان شيئاً تستحسنه ، حصل لي من بركتك ، فانصفني من خصمي ، فنظر فيه رسول الله ﷺ ورقة ورقة ، إلى آخره ثم قال والله إن هذا شيء حسن ، ثم ناوله أبا بكر ، فنظر فيه كذلك ، ثم قال ، نعم ، والذي بعثك بالحق يارسول الله انه حسن ، ثم ناوله عمر ، فنظر فيه كذلك ، ثم قال كما قال أبو بكر فأمر النبي ﷺ بتجريد أبي الحسن من ثيابه ، وضربه حد المفتري ، فجرد ، وضرب ، ثم شفع فيه أبو بكر بعد خمسة أسواط ، وقال يارسول الله إنما حصل ذلك منه ، اجتهاداً في سنتك ، وتعظيماً ، فعفا عنه أبو حامد عند ذلك . فلما استيقظ من منامه وأصبح أعلم أصحابه بما جرى ومكث قريباً من الشهر متألماً من الضرب ثم سكن عنه الألم ؛ ومكث إلى أن مات وأثر السياط على ظهره ، وصار ينظر كتاب الاحياء ، ويعظمه ، ويبجله ، أصلاً أصلاً ، وهذه حكاية صحيحة ، حكاها الشاذلي ، عن شيخنا الكبير ولي الله تعالى أبي العباس المرسي ، عن شيخه الشيخ الكبير ولي الله أبي الحسن الشاذلي .

رسالة الامام حجة الاسلام

كتبها إلى بعض أهل عصره ، ونصها :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان

إلا على الظالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين ، أما بعد فقد انتسج بيني وبين الشيخ الأجل ، معتمد الملك ، أمين الدولة حرس الله تأييده ، بواسطة القاضي الجليل ، الامام مروان زاده الله توفيقاً ، من الوداد وحسن الاعتقاد، مايجري مجرى القرابة ، ويقتضي دوام المكاتبة ،والمواصلة، وإني لأصله بصلة ، هي أفضل نصيحة توصله الى الله ، وتقربه لربه زلفى ، وتحله الفردوس الأعلى ، فالنصيحة هي هدية العلماء ، وإنه لن يهدي إلي تحفة أكرم من قبوله لها ، وإصغائه بقلب فارغ عن ظلمات الدنيا إليها ، وإني أحذره اذا ميزت عند أرباب القلوب احرار الناس، أن يكون إلا في زمرة الكرام الأكياس، فقد قيل لرسول الله ﷺ ، من أكرم الناس ؟ فقال : أتقاهم . فقيل من ألين الناس ؟ فقال : أكثرهم للموت ذكراً ، وأشدهم له استعداداً . وقال ﷺ : الكيس : من دان نفسه ، وعمل لما بعد الموت ، والأحمق من أتبع نفسه هواها ، وتمنى على الله المغفرة ، وأشد الناس غباوة وجهلا ، من تهمه أمور دنياه التي يخلفها ، عند الموت ، ولايهمه أن يعرف أنه من أهل الجنة أو النار ، وقد عرفه الله ذلك حيث قال : « إنَّ الأبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وإنَّ الفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ » وقال «فأمَّا مَنْ طَغَى وآثَرَ الحياة الدنيا » الآية ..وقال: «مَنْ كانَ يُريد الحياةَ الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها » إلى قوله « وبَاطِلٌ ما كانوا يَعْمَلون » وإني أوصيه أن يصرف الى هذا المهم همته ، وأن يحاسب نفسه قبل أن يحاسب ، ويراقب سريرته وعلانيته، وقصده وهمته ، وأفعاله وأقواله ، وإصداره وإيراده ، أهي مقصورة على ما يقربه من الله، ويوصله الى سعادة الأبد ، أو هي مصروفة الى ما يعمر به دنياه ، ويصلحها له ، إصلاحاً منغصاً، مشوباً بالكدورات ، مشحوناً بالهموم والغموم ، ثم يختمها بالشقاوة، والعياذ بالله ، فليفتح عين بصيرته ، لتنظر نفس ما قدمت لغد وليعلم أنه لاناظر لنفسه ولايشفعه سواه ، وليتدبر ماهو بصدده ، فإن كان مشغولاً بعمارة ضيعة ، فلينظر كم من قرية أهلكها الله وهي ظالمة خاوية على عروشها بعد عمارتها ؟ وإن

كان مقبلاً على استخراج ماء ، وعمارة نهر ، فليفكر كم من بئر معطلة ، وقصر مشيد بعد عمارتها ؛ وإن كان مهتما بتأسيس بناء ، فليتأمل كم من قصور مشيدة البنيان محكمة القواعد والاركان ، أظلمت بعد سكانها ؛ وإن كان معتنياً بعمارة الحدائق والبساتين ، فليعتبر «كم تركوا من جنّات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة »الآية. وليقرأ قوله « أفرأيت إن متّعناهم سنين ، ثم جاءهم ما كانوا يُوعدون ما أغنى عنهم وما كانوا يمتعون» وإن كان مشغوفاً والعياذ بالله بخدمة سلطان ، فليذكر ماورد في الخبر أنه ينادي مناد يوم القيامة ، أين الظلمة وأعوانهم ؛ فلا يبقى أحد منهم ، مدّ لهم دواة ، أو برى لهم قلما فما فوق ذلك ، الا حضر . فيجمعون في تابوت من نار ، فيلقون في جهنم . وعلى الجملة، فالناس كلهم الا من عصم الله ، نسوا الله فنسيهم ؛ وأعرضوا عن التزود للآخرة ، وأقبلوا على طلب أمرين ، الجاه والمال ،فإن كانوا في طلب جاه ورياسة . فليتذكروا ماورد به الخبر : أن الأمراء والرؤساء يحشرون يوم القيامة في صور الذر تحت أقدام الناس يطؤونهم بأقدامهم ، وليقرأ ماقاله تعالى في كل متكبر جبار . وقد قال رسول الله ﷺ « يكتب الرجل جباراً ومايملك إلا أهل بيته » أي إذا طلب الرياسة بينهم وتكبر عليهم . وقد قال عيسى عليه السلام : يامعشر الحواريين ، العين مسرة في الدنيا ، مضرة في الآخرة ، بحق أقول : لايدخل الأغنياء ملكوت السماء ، وقد قال نبينا ﷺ: « يحشر الأغنياء يوم القيامة أربع فرق ، رجل جمع مالاً من حرام وأنفقه في حرام ، فيقال اذهبوا به الى النار ؛ ورجل جمع مالاً من حرام وانفقه في حلال فيقال اذهبوا به الى النار ؛ ورجل جمع مالاً من حلال وأنفقه في حرام فيقال اذهبوا به الى النار ؛ ورجل جمع مالاً من حلال وانفقه في حلال فيقال قفوا هذا واسألوه لعله بسبب غناه تهاون فيما فرضناه عليه ، أو قصر في صلاته ، أوفي وضوئها أو ركوعها ، أو سجودها أو خشوعها أو ضيع شيئا من الزكاة ، والحج ؟ فيقول

الرجل جمعت المال من الحلال ، وأنفقته في حلال ، وماضيعت شيئا من حدود الفرائض بل أتيتها بتمامها ، فيقول : لعلك باهيت ، أو اختلت في شيء من ثيابك ؟ فيقول يارب ما باهيت بمالي ولا اختلت في ثيابي ، فيقال لعلك فرطت فيما أمرناك من صلة الرحم ، وجبر الجيران والمساكين ، وقصرت في في التقديم والتأخير . والتفضيل والتعديل ، ويحيط هؤلاء به ويقولون ربنا أغنيته بين أظهرنا ، وأحوجتنا اليه ، فقصر في حقنا ، فإن ظهر تقصير ذهب به الى النار ؟ وإلا قيل له : قف هات الآن شكر كل نعمة ، وكل شربة ، وكل أكلة ، وكل لذة ، فلا يزال يسأل ويسأل .. فهذه حال الأغنياء الصالحين ، القائمين بحقوق الله تعالى ، أن يطول وقوفهم في العرصات فكيف حال المفرطين المنهمكين في الحرام والشبهات ، المكاثرين بين المتنعمين بشهواتهم ، الذين قيل فيهم « ألهاكُمُ التَّكاثُرُ حتى زُرْتُم المقابر » فهذه المطالب الفاسدة ، هي التي استولت على قلوب الخلق ، فسخرها الشيطان ، وجعلها ضحكة عليه ، فعليه . وعلى كل مشمر في عداوة نفسه ، أن يتعلم علاج هذا المرض الذي حل بالقلوب ، فعلاج مرض القلب ، اهم من علاج مرض الابدان ، ولاينجو الا من اتى الله بقلب سليم .

وله دواءان أحدهما :

ملازمته ذكر الموت ، وطول التأمل ، مع الاعتبار بخاتمة الملوك ، وأرباب الدنيا ، وأنهم كيف جمعوا كثيراً ، وبنوا وفرحوا بالدنيا بطراً وغروراً ، فصارت قصورهم قبوراً ، وأصبح جمعهم قصورا ، هباءً منثوراً ، وكان أمر الله قدراً مقدوراً ، أوَ لَمْ يَهدِ لَهُمْ كَمْ أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم إنَّ في ذلك لآياتٍ أفلا يسمعون ، قصورهم ، وأملاكهم ومساكنهم ، صوامت ناطقة ، تشهد بلسان حالها ، على غرور عمالها ، فانظر الآن في جميعهم « هَلْ تُحسُّ منْهُمْ منْ أحدٍ أو تَسمعُ لَهُمْ ذِكرا » ؟

الدواء الثاني :

تذكر كتاب الله تعالى ، ففيه شفاء ورحمة للعالمين ، وقد أوصى رسول الله ﷺ ، بملازمة هذين الواعظين ، فقال تركت فيكم واعظين صامتاً ،وناطقاً ؛ الصامت الموت ، والناطق القرآن ، وقد أصبح أكثر الناس أمواتاً عن كتاب الله تعالى ، وإن كانوا أحياء في معايشهم ، بكماً عن كتاب الله تعالى ، وإن كانوا يتلونه بأنفسهم ؛ وصماً عن سماعه ، وإن كانوا يسمعونه بآذانهم ، وعمياً عن عجائبه وإن كانوا ينظرون اليه في صحائفهم ، نائمين عن أسراره ، وإن كانوا يشرحونه في تفاسيرهم ، واحذر أن تكون منهم وتدبر امرك ، وأمر من لم يتدبر ، كيف خاب عند الموت وخسر . واتعظ بآية واحدة من كتاب الله ، ففيه مقنع وبلاغ لكل ذي بصيرة . قال الله تعالى : «يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون » إلى آخرها .

وإياك ثم إياك أن تشتغل بجمع المال ، فإن فرحك به ، ينسيك أمر الآخرة وينزع حلاوة الايمان من قلبك ؛ قال عيسى عليه صلوات الله وسلامه : لا تنظروا الى أموال أهل الدنيا ، فإن تروا أموالهم يذهب بحلاوة إيمانكم . وهذه ثمرة حجر النظر ، فكيف عاقبة الجمع والطغيان والنظر .

وأما القاضي الجليل ، الامام مروان ، أكثر الله في أهل العلم أمثاله ، فهو قرة العين ، وقد جمع بين الفضلين ، العلم والتقوى ، ولكن الاستتمام بالتمام ، ولا يتم الدوام إلا بمساعدة من جهته ، ومعاونته له عليه فيما يزيد في رغبته ، ومن أنعم الله عليه بمثل هذا الوالد النجيب ، فينبغي أن يتخذه ذخراً للآخرة ، ووسيلة عند الله تعالى ، وأن يسعى في فراغ قلبه ، لعبادة الله تعالى ، ولا ينقطع عليه الطريق إلى الله تعالى وأول الطريق الى الله طلب الحلال ، والقناعة بقدر القوت من المال ، وسلوك سبيل التواضع والخمول والتزوع عن رغبات الدنيا التي هي مصائد الشيطان ، هذا مع الهرب عن مخالطة

الأمراء والسلاطين ، ففي الخبر أن الفقهاء أمناء الله ، مالم يدخلوا في الدنيا ، فإذا دخلوا فيها فاتهموهم على دينكم ، وهذه أمور قد هداه الله اليها ، ويسرهـا عليه فينبغي أن يمده بالدعاء ، فدعاء الوالد أعظم ذخراً وعـــدة في الآخرة والأولى ، وينبغي أن تقتدي به فيما يؤثره من النزوع عن الدنيا، والولد وإن كان فرعاً فربما صار بمزيد العلم أصلاً ولذلك قال ابراهيم عليه السلام : « يا أبتِ إني قد جاءني من العِلم ما لم يأتك فاتبعْني أهدِكَ صراطاً سوياً » وليجتهد ان يحتاز لقصده في القيامة بتوقيره ولده ، الذي هو فلذة كبده ، فأعظم حسرة أهل النار فقدهم في القيامة حميماً يشفع لهم ، قال تعالى « فليس لهُ اليَومَ هاهنا حميمٌ » أسأل الله ان يصغر في عينيه الدنيا ، التي هي صغيرة عند الله ، وأن يعظم في عينيه الذي هو عظيم عند الله ، وأن يوفقنا وإياه لمرضاته ، ويحله الفردوس الأعلى من جناته ، بمنـــه وكرمه إن شاء الله تعالى .

ومن الفتاوى عن حجة الاسلام ـ غير ما تضمنته فتاويه المجموعة ـ :

جوابه على من يقول بسقوط التكاليف :

كتب له بعض الزائغين ، ماقوله متع الله المسلمين ببقائه، ومتع الطالبين بمشاهدته ولقائه ، ومنحه افضل مامنح به خاصته من أصفيائه وأوليائه ، في قلب خصه الحق بأنواع من الطرف والهدايا ، ومنحه أصنافا من الانوار والعطايا ، يستمر له ذلك في جميع الاوقات والاحوال ، متزايدة مع عدم العوائق والآفات ، مع كون ظاهره معموراً بأحكام الشرع وأدابه ، منزهاً عن مآثمه ومخالفاته ، ويجد في الباطن مكاشفات وأنواراً عجيبـة ، ثم إنه انكشف له نوع يعرفه ، أن المقصود من التكاليف الشرعية ، والرياضات التأديبية ، هو الفطام عما سوى الحق كما قيل لموسى ﷺ أخل قلبك أريد أن أنزل فيه ، فاذا تم الفطـام ، وحصل المقصود بالوصول الى القربة ، ودوام الترقي من غير فترة ، حتى أنه لو اشتغل بوظـائف الشرع وظواهره ، انقطع عن حفظ الباطن ، وتشوش عليه بالالتفـات عن أنواع

الواردات الباطنة ، إلى مراعاة أمر الظاهر ، وهذاالرجل لاينزع يده من التكليف الظاهر ، ولايقصر في احكام الشريعة ، لكن الاعتقـــاد الذي كان له في الظواهر والتكاليف ، تناقص وتقاصر عما كان في الابتداء من التعظيم لوقعها عنده ، ولكنه يباشرها ويواظب عليهـــا عادة لا لأجل الخلق ، وحفظ نظرهم ، ومراقبة الله ،بل صارت إلفاً له وإن نقص اعتقاده فيها ، فهو يعظمها ماحكمها . ثم إن عرضت لهذا شبهة « أن المقصود من الداعي والدعوة حصول المعرفة والقربة وإذا حصل هذا استغنى عن الدواعي والواسطة » كيف معالجته؟ فإن قلنا : المعرفة لاتتناهى أبداً ، بل تقبل الزيادة أبـــداً ، فلا يستغنى عن الداعي أبداً لا محالة ، فربما قال : الداعي قد بين ماالحتيج إلى بيانه ، وشرح معالم الطريق ، وذهب فلو احتاج السالك إلى مراجعته في زوائد وارادات ، لم تمكن المراجعة في هذه الحالة ، فيقول : ماهو طبيب علتي في هذه الحالة ، لأنه غاب عن إمكان المراجعة ؟ فما علاجه ، نعم . فالجواب مسوق حسب ماعود من شافي بيانه .

الجواب وبالله التوفيق . ينبغي أن يتحقق المريد هنا ، أن من ظن أن المقصود من التكاليف ، والتعبد بالفرائض ، الفطام عما سوى الله ، والتجرد له،فهومصيب في ظنه أن ذلك مقصود ، ومخطىء في ظنه أنه كل المقصود ، ولا مقصود سواه ، بل لله تعالى في الفرائض التي استعبد بها الخلق أسرارسوى الفطام ، تقصر بضاعة العقل عن دركها ، ومثل هذا الرجل المنخدع بهذ االظن ، مثل رجل بنى له أبوه قصراً على رأس جبل ، ووضع فيه شجرةمن حشيش طيب الرائحة ، وأكد الوصية على ولده مرة بعد اخرى ، ان لايخلي هذا القصر عن هذا الحشيش طول عمره وقال : اياك ان تسكن هذا القصر ساعة من ليل أو نهار ، الا وهذا الحشيش فيه، فزرع الولد حول القصر أنواعاً من الرياحين ، وطلب من البر والبحر أوتاداً من

العود والعنبر والمسك ، وجمع في قصره جميع ذلك من شجرات كثيرة من الرياحين الطيبة الرائحة ، فانغمرت رائحة الحشيش لما فاحت هذه الروائح ، فقال لا أشك أن والدي ما أوصاني بحفظ هذا الحشيش إلا لطيب رائحته ، والآن قد استغنينا بهذه الرياحين عن رائحته ، فلا فائدة فيه الآن إلا أن يضيق على المكان فرماه من القصر ، فلما خلا القصر من الحشيش ظهر من بعض ثقب القصر حية هائلة ، وضربته ضربة أشرف بها على الهلاك ، فتنبه حيث لم ينفعه التنبه ، أن الحشيش كان من خاصيته دفع هذه الحية المهلكة ، وكان لأبيه في الوصية بالحشيش غرضان : أحدهما انتفاع الولد برائحته ، وذلك قد ادركه الولد بعقله ؛ والثاني اندفاع الحيات المهلكات برائحته ، وذلك مما قصر عن دركه بصيرة الولد ، فاغتر الولد بما عنده من العلم ، وظن أنه لاسر وراء معلومه ومعقوله ، كما قال تعالى: «ذلكَ مبلغُهم من العلم» وقال «فلما جاءتهم رسلهمْ بالبينات فرِحوا بما عندَهم من العلم» والمغرور من اغتر بعقله، فظن أن ماهو منتفٍ عن علمه ، فهو منتفٍ في نفسه ، ولقد عرف أهل الكمال أن قالب الآدمي كذلك القصر ، وأنه معشش حيات وعقارب مهلكات ، وإنما رُقيتُها وقيدها بطريق خاصة ، المكتوبات المشروعات ، بقوله سبحانه «إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً» وقوله تعالى «كُتب عليكمُ الصيامُ» فكما أن الكلمات الملفوظة والمكتوبة في الرقية تؤثر بالخاصة في استخراج الحيات ، بل في استسخار الجن والشياطين ؛ وبعض الأدعية المنظومة ، المأثورة تؤثر في استمالة الملائكة الى السعي في اجابة الداعي ، ويقصر العقل عن ادراك كيفيته وخاصيته . وإنما يدرك ذلك بقوة النبوة إذا كوشف السر بها من اللوح المحفوظ ؛ فكذلك صورة الصلاة المشتملة على ركوع واحد ، وسجودين ، وعدد مخصوص ، وألفاظ معينة من القرآن متلوة مختلفة المقادير ، عندطلوع الشمس ، وعند الزوال والغروب تؤثر بالخاصية في تسكين التّنين المستكنّ في قالب الآدمي ، الذي يتشعب منه حيات كبيرة الرؤوس ، بعدد أخلاق الآدمي ، يلدغه ، وينهشه في القبر ، متمكنا من

جوهر الروح وذاته ، أشد إيلاما من لدغ ِ مَكنَ القالب أولا ، ثم يسري أثره إلى الروح ؛ واليه الاشارة بقوله ﷺ « يسلط على الكافر في قبره تنين ، تسعة وتسعون رأساً ، صفته كذا وكذا .. الحديث » ويكثر مثل هذا التنين في خلقة الآدمي ولا يقمعه إلا الفرائض المكتوبة ، فهي المنجية من المهلكات ، وهي انواع كثيرة ، بعدد الاخلاق المذمومة ، وما يعلم جنود ربك الا هو . فإذن في التكليف غرضان : أدرك هذا المغرور احدهما ، وغفل عن الآخر ، وقد وقع لأبي حنيفة مثل هذا الظن في الفقهيات ، فقال : أوجب الله في اربعين شاة ، شاة ، وقصد به ازالة الفقر ، والشاة آلة في الإزالة ، فإذا حصل بمال آخر فقد حصل تمام المقصود فقال الشافعي رضي الله عنه : صدقت في قولك إن هذا مقصود ، وركبت متن الخطر في حكمك بأنه لامقصود سواه ، فبم تأمره ، اذ يقال له يوم القيامة ، كان لنا سر في اشراك الفير ، الفقير ، مع نفسه ، في جنس ماله . كما كان من يرمي سبعة أحجار في الحج ، يؤدي بدله خمس لآلٍ ، أوخمس أكبر إذ لم يقبله ، وإذ جاز أن يتمحض التقييد في الحج ، وأن يتمحض المعنى المعقول في معاملات الخلق ، فلم يستحل أن يجمع المعقول والتقييد جميعاً في الزكاة ، فتكون ازالة الفقر معقولة ، والسر الآخر غير معقول.

وزاد أبو حنيفة على هذا فقال : المقصود من كلمة التكبير الثناء على الله بالكبرياء ، فلا فرق بينه وبين ترجمته بكل لسان ، وبين قوله الله أعظم ، فقال الشافعي : وبم علمت أنه لا فرق في صفات الله بين العظمة والكبرياء ؟ مع أنه تعالى يقول : العظمة إزاري ، والكبرياء ردائي ، والرداء أشرف من الازار وهلا استنبطت مقصود الخضوع من الركوع ، وأقمت مقامه السجود ، لانه أبلغ منه في الاستكانة . فإن قلت لعل لله سراً في الركوع خاصة سوى ما فهمناه ، فلم يستحيل أن يكون له سر في كلمة السلام فلا يقوم مقامه الحديث ، وكل خطاب للآدمي . وأن يكون له سر في القرآن المعجز ، ولا يقوم مقامه غيره ، وقد أقام الترجمة مقامه ، وان يكون له سر في الفاتحة ، وقد أقام مقامها سائر القرآن ،

فإن كان يقول المقصود معاني القرآن ، تأثر القلب لاحروفه وأصواته ، فإنها آلات ؛ فهلا قال : والمقصود من حركة اللسان تأثر القلب ، فليكف عن القراءة للجلوس مع الله تعالى على هيئة الاجلال والذكر ، والسؤال بصورة الصلاة .

وجميع ماذكر أبو حنيفة بطلانه ، مظنون غير مقطوع . أما إقامة القراءة بالقلب مع ترك حركة اللسان ، وملازمة الذكر مع ترك الركوع والسجود وصورة الصلاة ، فمقطوع ببطلانها بالاجماع ؛ وهذا انجر به ذلك الخيال الضعيف ، الى خرق الإجماع ، ومخالفة الشرع القاطع . فإذا كان المبتدىء بالمعرفة مجرد المعاني عن الصور ، ويطرح الصور ، فيطفىء نور معرفته نور ورعه ، فيثور عليه التنين في قبره ، فيتعجب منه ويبدو له من الله مالم يكن يحتسب ، فإذا أصابته ضربة التنين ، قال : ماهذا؟ فقال : إنما كان هذا التنين صور الفرائض المكتوبة. واليه الاشارة بما يروى « أن الميت يوضع في قبره ، فتأتيه ملائكة العذاب من جهة رأسه فيدفعه القرآن ، فتأتيه من قبل رجليه فيدفعه الحج ، الحديث » ، فإن أصر هذا المغرور على جهالاته ، وقال من بلغ رتبة الكمال ، كما بلغتُ ، أمِن هذا التنين؟ وطهر باطنه عنه ، فيقال له : إنك مغرور في أمنك ، فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ، فبم تأمن ، أن يكون التنين مستكناً في صميم الفؤاد ، استكنان الجمر تحت الرماد ، أو استكنان النار في الرماد ، وإن مات فيعود حياً فإن منبته ومنبعه هذا القالب الذي هو مظنة الشهوات والصفات البشرية ، وقلع الحشيش لا يؤمن عوده مرة أخرى أن يتجدد نباته ، مهما كانت الأرض معرضة لانصباب الماء اليها من منابعها ، فكذلك القالب مادام مَصبًّا لواردات المحسوسات والشهوات، لم يؤمن فيها عود النبات بعد الانقطاع والانبتات . وننبه على هذه المعرفة ، بالتأمل في ثلاثة أمور : الأول ، بداية حال إبليس ، وأنه كيف وصف بأنه كان معلم الملائكة ، ثم سقط عن درجة الكمال بمخالفة أمر واحد ، اعتزازاً بما عنده من العلم ، وغفلة عن أسرار الله في الاستعباد ، ولم يسقط عن درجته إلا بكياسته ،

وفطنة ، وتمسكه بمعقوله ، في كونه خيراً من آدم عليه السلام ؛ فنبه الخلق بهذا الرمز ، على أن البلاهة أدنى إلى الخلاص ، من فطانة بتراء وكياسة ناقصة . الثاني حال آدم عليه السلام ، وأنه لم يخرج من الجنة إلا بركوبه نهياً واحداً ، ليعلم أن في ركوب النهي إبطال الكمال لخالقه . الأمر الثالث ، حال رسول الله ﷺ ، فان هذا المغرور ، لعله لم تسلم له رتبة الكمال . ثم إنه ﷺ لم يزل يلازم الحدود ، ويواظب على المكتوبات ، الى آخر أنفاسه ، بل زيد في فرائضه ، وأوجب عليه التهجد ، ولم يوجب على غيره ، وقيل له : « يا أيُّهـا المُزَّمِّلُ قُمِ اللَّيْلَ إلاَّ قليلا ، نِصْفَهُ أو انْقُصْ منهُ قليلا » وإنما أوجبت عليه هذه الزيادة ، لأن الخزانة كلما ازداد جوهرها نفاسة وشرفاً ، ينبغي أن يزداد حصنها إحكاماً وعلواً ؛ فلذلك قيل له في تعليل إيجاب التهجد : « إنَّا سنُلقي عليكَ قولاً ثقيلاً إنْ ناشئةَ الليلِ هي أشدُّ وطأً وأقوَمُ قيلا » فتبين له ، أن هذه الصلوات هي حصن الكمال ، فلا يبقى إلا به .

ولعل هذا المغرور المعتوه ، يقول : إنه إنما كان يواظب عليه إشفاقاً على الخلق لأجل الاقتداء ، لا لحاجته اليه في حفظ الكمال ، فيقال له : فلم زاد عليه في التهجد وجوباً ، هلاَّ قال إن مبلغ درجة النبوة يستغني عما يحتاج اليه غيره ، ولو قال لقبل منه ، كما قبل منه أنه أحل له تسعة من النساء ، بل ما شاء ، فإنه بقوة النبوة يقوى على العدل مع كثرة النساء ، كما قبل من المدرس ، أن يأمر تلامذته بالتكرار ، والتسهد ليلاً ، وهو ينام ؛ ويقول إني بلغت درجة استغنيت عن ذلك ، وليس يترك أحد تكراره بهذه الشبهة . ولعل هذا اذا اختار ضحك الشيطان وسخر منه ، وقال له أنت أكمل من النبي ، والصديق ، وكل من واظب على الفرائض ، وعند هذا يقطع الطمع من صلاته . فهو ممن قال فيهم : « وإنْ تدعُهم إلى الهدى فلنْ يهتدوا إذاً أبداً » .

مسألة : أما ما ذكره ، من أنه لو اشتغل بالتكاليف لشغله ذلك عن

القربة التي نالها ، والكمال الذي بلغه ، فهو كذب صريح، ومحال فاحش قبيح، لأن التكاليف قسمان : أمر ونهي .

فأما المنهيات : مثل الزنا ،والسرقة، والقتل،والضرب ، والغيبة ، والكذب، والقذف ، فترك ذلك كيف يشغل عن الكمال ، وكيف يحجب عن القربة؛ والكمال كيف يكون موقوفاً على ركوب هذه القاذورات .

وأما المأمورات : فكالزكاة ، والصوم ، والصلاة ، فكيف تحجبه الزكاة ولو أنفق جميع ماله ، فقد دفع السوء عن نفسه ؛ ولو صام جميع دهره، فهل يفوته بذلك إلا سلطنة الشهوة ؛ فما الذي يفوت من الكمال بترك الأكل ضحوة النهار ، في شهر واحد هو رمضان . وأما الصلاة : فتنقسم الى أفعال ، وأذكار ، وأفعاله : قيام ، وركوع ، وسجود ؛ ولا شك في أنه لا يخرج من القربة بالأفعال المعتادة ، فإنه إن لم يصل ،فيكون إما قائماً ، أو قاعداً ، أو مضطجعاً ، وغير المعتاد هو السجود ، والركوع ، وكيف يحجب عن القربة ما هو سبب القربة . قال الله لنبيه ﷺ : « واسجُد واقترب » ومن عشق ملكاً ذا جمال ، فإذا وُضع على التراب بين يديه ، استكانة له ، وجد في قلبه مزيد روح ، وراحة ، وقرب . ولذلك قال ﷺ: « وجُعلت قرة عيني في الصلاة » ، فاستدامة حال القُرْبة واستزادتها في السجود ، وأيسر منه في الاضطجاع والقعود ؛ ومهما ألقى قلبه ، أن السجود سبب حرمانه عن القرب ، كان ذلك أنموذجاً من حال إبليس ، حيث ألقى في نفسه ، أن السجود بحكم الأمر ، سبب زوال قربته ، وكماله ، فكل ولي سقط من درجة القرابة ،الى درجة اللعنة ،فسببه ترك السجود،ومقتداه وإمامه إبليس؛وكل ولي أسعد بالترقي الى درجات القرب،قيل له «اسجد واقترب»،ومقتداه،وإمامه،الرسول ﷺ..

ولا ينبغي أن يتوهم الولي الخالص عن خداع إبليس ما دام في هذه الحياة ، بل لا ينجو عنه الأنبياء ؛ حتى أجري على لسانه ﷺ

« تلكَ الغرانيق العُلا وإنَّ شفاعتهن لترتجى » لكن النبي لا يقرر على الخطأ كما قال تعالى : « وما أرسلنا من رسولٍ ولا نبيٍّ إلاَّ إذا تمنّى ألقى الشيطانُ في أمنيته فينسخُ اللهُ ما يُلقي الشيطانُ ثمَّ يُحكِمُ اللهُ آياته ... الآية » ؛ وأما أركان الصلاة ، فتكبير ، وفاتحة ، وتشهد ؛ لا فريضة إلا هذا ، فما وجه الضرورة في قوله ، الله أكبر، وفي الحمد لله ، والالتجاء اليه ، واستعانته ، وطلب الهداية ، إلى الصراط المستقيم ، وهذا مضمون الفاتحة ، وكل ذلك مناجاة ، مع الله تعالى . وإن صح ما يقوله مثلاً وفي كل يوم آلاف نَفَس ، فليصرف هذه الأنفاس المعدودة ، الى الذكر والسجود، ولينقص هذه اللحظات من درجات كماله ، ليأمن بهذه المكتوبات ، عن ضر التنين ، الذي لا يعتد بشر سواه ، ويتخلص من خطر الخطأ في هذا الاعتقاد ، ولا شك في أن الخطأ ممكن فيه ، إن لم يكن مقطوعاً به . وإن قال إنّ عزوف القلب ، الى حفظ ترتيب الأفعال ، والأذكار ، هو الذي يشغلني عن درجة القرب، فهو دعوى محال . لأن الهدى لا يحتاج الى تكلف الحفظ ، بل المشتهر غيره ، إذا حفظ شيئاً مرة يناسب حاله ، لم يعتبر اليقين به ، مع حفظ طريقه وإلحاحه ، بل يجد من نفسه في ذلك هزة ونشاطاً ، فكيف لا تكون قرة عين العبد في مناجاة محبوبه ، وخدمته التي رسمها وارتضاها له .

مسألة معنى ارتفاع التكليف عن الولي :

بل معنى ارتفاع التكليف عن الولي أن العبادة تصير قرة عينه ، وغذاء روحه ، بحيث لا يصبر عنه ، فلا يكون عليه كلفة فيه ، وهو كالصبي يكلف حضور المكتب ، ويحمل على ذلك قهراً ، فإذا ألبن بالعلم صار ذلك ألذ الأشياء عنده ، ولم يصبر عنه فلم يكن فيه كلفة . وتكليف الجائع ليتناول الطعام اللذيذ محال ، لأنه يأكله بشهوته ويلتذ به ، فأي معنى لتكليفه . فإذاً تكليف الولي محال ، والتكليف مرتفع عن الولي بهذا المعنى ، لابمعنى أنه لايصوم ،

ولا يصلي ، ويشرب ، ويزني . وكما يستحيل تكليف العاشق النظر الى معشوقه ، وتقبيل قدميه ، والتواضع له ، لأن ذلك منتهى لذته وشهوته . فكذلك غذاء روح الولي في ملازمة ذِكْره ، وامتثال أمره ، والتواضع له بقلبه ، لا يمكنه اشراك القالب مع القلب في الخضوع إلا بصورة السجود ، فيكون ذلك كمالاً للذة الخضوع والتعظيم ، حتى يشترك في الالتذاذ قلبه وقالبه . كما قيل :

ألا فاسقني خمراً وقل لي هي الخمر

أي ليدرك سمعي لذة اسمه ، كما أدركَ ذوقي طعمه ، بل تنتهي لذة الولي من القيام لربه قانتاً مناجياً ، الى أن لا يدرك الورم في القدم ، فيقال له ألم يغفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، فيقول أفلا أكون عبداً شكوراً .

مسألة : هل يسقط وقع العبادة من القلب بتكلف المواظبة عليها:

أما قولك أنه إذا تكلف المواظبة على العبادات المشروعة ، وقد تغير اعتقاده فيها ، وسقط وقعها من قلبه ، فهل ينفعه ذلك ؟ فاعلم أنه لو لم يعتقد أنه لا فرق بين وجودها وعدمها ، في حفظ درجة الكمال والقرب ، أو دفع مهلكات الباطل ، وجوز أن يكون لله تعالى سر فيها ، ليس يطلع عليه هو، فعبادته صحيحة ، وإن اعتقد أنه لا فرق بين وجودها وعدمها ، وأنه لا يتصور أن يكون تحت خاصيته سر هو لا يطلع عليه ، فعبادته باطلة ، بل إيمانه بالإلهية والنبوة تخيل باطل ، فإنه إذا لم يجوز في كمال قدرة الله تعالى سراً بعينه من الأسرار ، وخاصيته من الخواص في الأعمال والأفكار ، فليس مؤمناً بكمال القدرة ، ويرى القدرة قاصرة على قدرة عقله ، وهو كفر صريح .

وإن جوز ذلك،وإن يكن اعتقد أنه لم يكلف به ؛فهو كافر بالنبوة،جاهل بما علم بالضرورة من الشريعة ، فانه ﷺ ، بلّغَ قوله تعالى : « إنّ الصلاةَ كانتْ على المؤمنينَ كتاباً مَوْقوتاً » وفهم الصحابة ، وأهل الاجماع ،

وجوب الصلاة على العموم من غير استثناء ، فان شك في إيجاب الرسول،فليتأمل القرآن والأخبار ، وإن شك في قدرة الله تعالى على نفسه في الأعمال والأذكار، تكون الفريضة لأجله كالحصن له وجه الكمال ،وكالحراسة على المهلكات الباطنة، فليرجع الى نفسه ، وليطالبها أنها إن عرفت استحالة ذلك بضرورة العقل ، أو نظره ، فكيف يعتقد ذلك ويرى في عجائب صنع الله تعالى ما هو فرع منه ، حتى أن هذا الشكل (١) المشتمل كل ضلع منه على خمسة عشر عدداً من حساب الجمل ، إذا أثبت رقومه على خزف ، لم يصبه ألم بشرط مخصوص ، ولو أعطى المرأة التي تعذرت عليها الولادة عند الطلق سهلت عليها الولادة ، وعرف ذلك بالتجربة ، وأنه يؤثر بخاصية تقصر عقول الأولين والآخرين عن إدراك وجه مناسبته ، ويكثر مثل هذا في عجائب الخواص ؛ فمن أين يستحيل أن يكون لنظم الكلمات الإلهية في الفاتحة ـ مع الجمع بين أعمال جميع الملائكة ، من القيام ، والركوع ، والسجود ، والقعود ؛ فان كل واحد عمل صنف من الملائكة ـ خاصة في النجاة الأخروية ، أو في حفظ درجة الكمال والقرب ، أو دفع المهلكات الباطنة ، التي تلدغ في القلب ، لدغاً أشد من لدغ الحيات ، والعقارب ؛ أو مؤثراً في سعادة الآدمي بوجه آخر من الوجوه ، يقصر العقل عن إدراكه ، فمن لم يؤمن بامكان هذا فهو عديم الايمان والعقل جميعاً .

د	ط	ب
ج	ه	ز
ح	ا	و

مسألة هل يستغني المرء عن وسيلة الوصول اذا وصل :

أما قوله : المقصود المعرفة ، والاستواء على طريق السير الى الله تعالى ، فقد استوى هذا السالك على الطريق ، وعرف الله ، وكان التكليف ، وسيلة الوصول إلى هذا المقصود ، وقد وصل واستغنى عن الوسيلة والمرشد ،

(١) اثبتنا الشكل كما جاء في الاصل وقد أورد الغزالي مثله في كتب أخرى .

وتعذر مراجعته . فهذا أيضاً يفهم جوابه مما سبق ، لأن جميع ذلك ، صادر عن ظن أن ما ليس حاصلاً في علمه ، فليس حاصلاً في نفسه ؛ وهو كعجوز ، ظنت أن ما تخلو عنه حجرتها ، تخلو عنه خزانة الملك ومملكته ، أو كمسلمة ، ظنت أنه ليس في العالم سماء إلا سقف بيتها ، ولا أرض إلا عرصة بيتها ، وهذا جهل عظيم . فان جميع ما وصل اليه الأولياء ، بالاضافة الى مقدورات الله تعالى ، أقل من قطرة في بحر . وإن سُلّم له وصولُه درجة الكمال، فيجوز أن تكون صورة الصلوات الخمس ، بطريق الخاصية ، سبباً للترقي الى درجات الكمال التي نالها ، أو يكون سبباً لبقـــاء الكمال أو دوامه ، أو يكون لرسوخه ، حتى لا يتزلزل في سكرات الموت ؛ فان لم يواظب عليها ، فعساه يودعه الكمال عند الموت ، ويقال له إنه إنما كان يثبت هذا ، إذا عصفت رياح الموت بالمسامير الخمس، التي هي المكتوبات ، وكان يستحكم بها ، فلما خلا من المسامير ، تزعزع وانقطع، فقد خِبْتَ وخسِرْتَ إذا فرحت بما عندك من العلم ، وسيقال لكم يوم القيامة: معاشر أهل الاباحة ، ما سلككم في سقر ؟ فسيقولون « لَمْ نكُ من المُصلّين» فعلاج هذا المغرور ، الضعيف العقل ، المريض القلب ، أن يتأمل هذه الأمور ، ويجوز الخطأ على نفسه ، والسلام .

ومن غرائب المسائل عن حجة الاسلام [1] :

إذا قال : من رد عبدي فله درهم قبله ، بطل ؛ كما إذا قال : إذا جاء رأس الشهر فلفلان علي درهم ، لا يصح ؛ لأن التعليق ، إنما يكون للاستحقاق بعمل مقصود ، هو عوض الدرهم ، والموّجب لا يتقدم على الموجب ، والمتقدم على العمل زمان ، والزمان لا يصلح لأن يعلق به استحقاق المال . قاله الغزالي في كتاب علم الغور في دراية الدور .

---

(١) أكثرها مسائل فقهية .

إذا قالت المطلقة انقضت عدتي ، وقبلنا قولها ، ثم أتت بولد ، لزمان يحتمل أن يكون العلوق به في النكاح ، لحق النسب ؛ إلا اذا تزوجت،واحتمل أن يكون من الثاني . فلو قالت نكحت زوجاً آخر ، ولم يظهر لنا ، قال الغزالي في كتاب التحقيق [1] فلا نص فيه ، وفيه احتمال ، ونظر مذهبي . انتهى .

إذا قال الزوج لامرأته ، أحللت أختك لي ، ونوى الطلاق فهل يقع ويكون هذا اللفظ كناية عن طلاقها ، لأن حل أختها ، يتضمن تحريمها المؤذن بطلاقها ؟ قال الغزالي في التحقيق في مسألة : « أنا منك طالق » هذه المسألة غير منصوصة ، وإنما ولدها الحاضر ؛ ثم ذكر ما حاصله التردد ، في أنها هل تلحق بقوله اعتدي لأن العدة حل شرعي ، وكذلك حل الأخت ، أو يفرق بينها بأن دلالة العدة على الطلاق ، أظهر من حل الأخت ، لغلبته وحضوره في الذهن.

ويلزم المسافر أن يشتري الماء للطهارة بثمن المثل ، وقيل ثمن المثل هو مواجرة نقله الى موضع الشراء ، أخذاً من أن الماء ، لا يملك بعد الحوز في الاناء وهو بعيد جداً لا يعرف إلا في النهاية ، والغزالي ذهب اليه في كتبه ، وادعى أنه جاوز ؛ وإن قلنا الماء مملوك ، أبعد وزاد في البعد ؛ وقال الرافعي : ولم أر من رجحه غيره .

صلاة في جماعة بلا خشوع وفي انفراد بخشوع : سئل الغزالي ، عمن يتحقق من نفسه ، أنه يخشع في صلاته إذا كان منفرداً ، وإن صلى في جماعة تشتتت همته ، ولم يكن الخشوع، ما الأولى ؟ فأجاب رحمه الله بانفراد حينئذ أولى وأصح ، لحديث « يصلي العبد ولا يكتب له في الصلاة عشرها » قال : وفضل رسول الله ﷺ صلاة الجماعة في لحظة ، إذا كان كما لو خضع في الانفراد في

(١) هو تحقيق المآخذ أو تحصين المآخذ وهو مفقود ويذكره ابن العماد باسم تحصيل المآخذ

سبع وعشرين لحظة ، فان كانت نسبة خضوعه في الجماعة الى خضوعه منفرداً ، أقل من نسبة واحدة الى سبعة وعشرين ، فالانفراد أولى ، وإن كان أكثر من ذلك ، فالجماعة أولى . انتهى ملخصاً .

وسلك الشيخ عز الدين بن عبد السلام[1] هذا المسلك ، فأفتى فيمن حضر الجماعة مرائياً ، أن الانفراد له أولى .

وهذان الإمامان ، إذا عرض عليهما حديث ابن مسعود « ولقد رأينا في عهد رسول الله ﷺ ، وما يتخلف عنها — يعني الجماعة — إلا منافق معلوم النفاق ، ولقد كان يؤتى بالرجل يهادى بين اثنين ، حتى يقام في الصف .. » الحديث . أوشك أن يقولا: أنه لم يكن في السلف من يذهب للجماعة حضوره ، وخشوعه ، وخضوعه ، بخلاف السؤال عنه في المسألة ، المسؤول عنها بواقعة في السلف ؛ وأنا أقول مع ذلك: الذي يظهر أن حضور الجماعة أفضل مطلقاً ، وتركها يربو على ذهاب الخشوع الذي حصل للسائل ، والزمان الذي ذكره الغزالي لاعتبار الموازنة ، أبعد عن الحضور من زمان الجماعة ، فالجماعة خير له من أن يشتغل باعتبار هذه الموازنة ، ومجرد تردده ، في أنه هل يحصل له من الخشوع في الجماعة ما يحصل في الانفراد ، نوع من الخشوع ، والجماعة بكل سبيل أولى . ثم هذا الذي قاله الغزالي مع كونه غير مسلم ، في حق واحد من الآحاد ، يتفق له ذلك في بعض الأحايين ، أما جمع كثير يتفقون على ذلك ، أو واحد ترك الجماعة دائماً معتلاً بهذه العلة ، فلا يسمع منهم ، ولا منه ، ولا نترك سنة رسول الله ﷺ ، التي افترضها قوم ، وشرطها آخرون لصحة الصلاة ، لمثل هذه الخيالات ، ولا يفتح لابليس هذا الباب ، بل البركة كل البركة في الاتباع ،

---

(١) عبد العزيز بن عبد السلام شيخ الاسلام ، له واقعة مشهورة مع المماليك في القاهرة توفي سنة ٦٦٠ هـ .

ومجاهدة النفس على الخشوع ؛ فإن يأتي فيها ونعمت ، ولا تترك . لخشوعٌ لمتابعة السنة خشوعٌ خيرٌ من الخشوع الحاصل مع الانفراد ؛ فتأمل ذلك ، فهو حس دقيق ، وحاصله أن السنة وإن وقعت ناقصة ، وهي الجماعة بلا خشوع ، خير من لا سنة بالكلية ، وإن وقع فيها سنة أخرى وهي الخشوع . وقد ادعى بعض محبي الخلوة ، ترك الجماعة لمثل ذلك ، وذلك عندنا أمر منكر ، بل خروجه الى الجماعة ، وإن كانت سنة ساعة ، خير له من ألف ساعة مع ترك السنة ، وان دقق مدقق وقال : لا نسلم ثبوت السنة ؛ فهو محجوج بالظواهر الدالة على طلب الجماعة على الاطلاق ، من غير فرق بين خاشع ومشتت .

السنة بعد صلاة الجمعة قال ابن الصلاح: من مفردات الغزالي أنه ذكر في «بداية الهداية» في سنة الجمعة بعدها، أن له أن يصليها ركعتين ، وأربعاً ، وستاً. فابعد في ست وشذ ؛ قال النووي: روى الشافعي بإسناده ، في كتاب علي، وابن مسعود ، عن علي رضي الله عنه ، أنه قال : من كان منكم مصلياً بعد الجمعة ؛ فليصل بعدها ست ركعات . قلت : وهذا المروي عن علي كرم الله وجهه ، محكي عن أبي موسى الأشعري ، وعطاء ، ومجاهد ، وحميد بن عبد الرحمن ، وسفيان الثوري ، ورواية عن أحمد ، وأغرب صاحب الكافي ، فقال فيه : الأفضل أن يصلي بعدها ستاً أخذاً بالأكثر ، فركعتين ، ثم أربعاً بسلام واحد . انتهى لفظ الخوارزمي في الكافي .

ذكر كلام ابن الملقن (١)

٧٩٠ هـ

محمد ، بن محمد ، بن محمد ، زين الدين ، حجة الاسلام ، أحمد الأئمة ، ولد بطوس ، سنة خمسين وأربعمائة ، سنة مات المازري ، وأبو الطيب الطبري (٢) وكان والده يغزل الصوف ويبيعه في دكانه بطوس، وكان اشتغاله أولاً بطلب القوت، لما نفد ماخلفه أبوه، قال الغزالي: طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون إلا لله ، ويحكى أن أباه كان يجالس المتفقهة ، و ...ل الله أن يرزقه ابناً فقيهاً ؛ ويجالس الوعاظ ، ويسأل الله أن يرزقه ابناً واعظاً ، فاستجيب له في محمد ، واحمد .

اشتغل على الامام (٣) وغيره ، وكان الامام يتحصر من تصانيفه « وأنه لما صنف المنخول عرضه عليه فقال دفنتني وأنا حي ، فهلا صبرت حتى أموت ، لأن كتابك غطى على كتابي . وولي تدريس النظامية ، ثم خرج عما هو فيه إلى طريق التصوف ، واستوطن دمشق عشر سنين (٤) ، وصنف الإحياء واجتمع

---

(١) هو سراج الدين ابو مصطفى عمر بن العلامة ابي الحسن علي النحوي . المتوفى سنة ٧٩٠ هـ . والــكلام هنا من « طبقات الشافعية » مخطوط بدار الكتب المصرية .

(٢) ولد ابو الطيب بآمد سنة ٣٤٨ وتوفي سنة ٤٥٠ هـ وكان فقيهاً مناظراً .

(٣) يعني الجويني .

(٤) وردت في الاصل « عشرين سنين » وهو خطأ في النقل ظاهر .

بالشيخ نصر المقدسي ، ثم انتقل إلى القدس ، ثم إلى مصر والاسكندرية ، ثم عاد إلى طوس .

وكان جامعاً للفنون ، وصنف فيها ، إلا النحو فإنه لم يكن بذاك ، وإلا الحديث فإنه كان يقول أنا مزجى البضاعة منه. ثم طلب إلى تدريس نظامية نيسابور فأجاب محتسباً فيه الخير ، والافادة ، ونشر العلم ، فأقام مدة على ذلك ثم تركه، وأقبل على لزوم داره ، وابتنى خانقاه إلى جواره ، ولزم تلاوة القرآن والاشتغال بالحديث ، فسمع البخاري ، وبعض سنن داود ، ولو طالت مدته لبرز فيه ، لكن عاجلته المنية ، فمات سنة خمس وخمسماية ، عن خمس وخمسين سنة ، ودفن بمقبرة الطابران .

ومن مصنفاته المشهورة : البسيط والوسيط ، والوجيز ، والخلاصة ، والإحياء ، وغاية القور في دراية الدور، والمستصفى ، والمنخول ، واللباب ، وبداية الهداية ، ومنهاج العابدين ، وكيمياء السعادة ، وتحصين المآخذ وغيرها.

وقد تكلم في الإحياء جماعة ، منهم : أبو بكر بن العربي ، والمازرى ، والطرطوشي أبو بكر محمد بن الوليد ، وقد أوضحت ترجمته في كتاب «تذكرة الأخيار بما في الوسيط من الأخبار » فسارع إليه ترشد وبالله التوفيق .

ومن شعره ما أنشده السمعاني في ذيله :

حلت عقارب صدغه في خده . . . . . . ، . . .

. . . . (١)

وله أيضاً : انشده الأصبهاني في الخريدة :

هبني صبوت كما ترون بزعمكم . . . .

. . . . (٢)

---

(١) (٢) انظر الكتاب ص ٦٧

ذكر كلام العيني (١)

٨٥٥ ﻫ

توفي يوم العيد الأضحى من هذه السنة ، ودفن بباب حرب ببغداد ، الغزالي أبو حامد ، محمد بن محمد ، بن أحمد ، الغزالي ، الملقب حجة الاسلام ، زين الدين ، الطوسي ، الفقيه الشافعي ، لم يكن للطائفة الشافعية في آخر عصره مثله .

اشتغل في مبدأ أمره بطوس على أحمد الراذ كاني ، ثم قدم نيسابور ، واختلف إلى درس الامام ، وصبر في الاشتغال ، حتى تخرج في مدة قريبة ، وصار من أعيان المشار إليهم في زمن استاذه ، وصنف في ذلك الوقت ، ولم يزل ملازماً له إلى أن مات في التاريخ المذكور في ترجمته ، فخرج من نيسابور الى العسكر ، ولقي نظام الملك ، فأكرمه ، وعظمه ، وبالغ في الاقبال عليه ، وكان يحضر الوزير جماعة من الافاضل ، وجرى بينهم الجدال ، والبحث ، والمناظرة في عدة مجالس ، وظهر عليهم ، واشتهر اسمه ، وسارت باسمه الركبان ، ثم فوض إليه الوزير تدريس النظامية ببغداد ، فجاءها ، وباشر القاء الدروس بها ، وذلك في جمادى الأولى من سنة أربع وثمانين وأربعمائة ، وأعجب به أهل العراق ،

(١) هو الحافظ بدر الدين ابو محمد محمود بن احمد المعروف بالعيني الحنفي ولد سنة ٧٦٢ وتوفي سنة ٨٥٥ ﻫ . والكلام هنا من كتابه « عقد الجمان » مخطوط بدار الكتب المصرية في مادة وفيات سنة ٥٠٥ .

وار تمعت عندهم منزلته ،، ثم ترك جميع ما كان عليه في ذي القعدة سنة ثمان وثمانين وأربعمائة ،، وسلك طريق التزهد والانقطاع ، وقصد الحج ، فلما رجع ، توجه إلى الشام ،، فأقام بدمشق مدة ، يذكر الدروس في زاوية الجامع ، في الجانب الغربي منه ،، انتقل منها إلى بيت المقدس ، واجتهد في العبادة ، ثم قصد مصر ، وأقام بالاسكندرية مدة ،، ويقال انه قصد الركوب منها في البحر إلى بلاد المغرب ،، على عزم الاجتماع بالامير يوسف بن تاشفين ، صاحب مراكش ، فبينما هو كذلك ،، اذ بلغ إليه نعي يوسف المذكور ، فصرف عزمه عن تلك الناحية ، ثم عاد الى وطنه بطوس ، واشتغل بنفسه .

وصنف الكتب المفيدة في عدة فنون ، منهـا ماهو أشهرها : الوسيط والبسيط ، والوجيز ،، والخلاصة ،، في الفقه . ومنها احياء العلوم ، وهو من أنفس الكتب وأجلها ، وله في أصول الفقه المستصفى ، والمنخول ، والمنتحل في علم الجدل ، وله تهافت الفلاسفة ، ومحك النظر ، ومعيار العلم ، وغير ذلك .

ثم ألزم بالعود إلى نيسابور بالمدرسة النظامية ، فأجاب إلى ذلك بعد تكرار المعاودة ، ثم ترك ذلك وعاد إلى بيته في وطنه ، واتخذ خانقاه للصوفية ، ومدرسة للمشتغلين في العلم في جواره ،، ووزع أوقاته على وظائف الخير ، من ختم القرآن ، ومجالسة أهل القلوب ،، والقعود للتدريس ، الى أن انتقل الى ربه الكريم .

ويروى له شعر ، فمن ذلك مانسبه اليه الحافظ أبو سعد السمعاني ، في الذيل :

حلت عقارب صدغه في خـــده ... قمراً فجل بهـــا عن التشبيه
ولقد عهدناه يحـــل بروجها ... فمن العجايب كيف حلت فيه

وذكر ابن الجوزى في منتظمه ، وقال : صنف الكتب الحسان في الاصول ، والفروع . . . . (١)

(١) انظر الكتاب ص ٥٠٩ - ٦١٠ .

وكان بعض الناس يشتغل بكتاب الاحياء فأعلمته بعيوبه فأصلحت مايصلح أسقاطه وزدت مايصلح أن يزاد .

وقال ابن كثير وكتاب الاحياء كتاب عجيب، يشتمل على علوم كثيرة من الشرعيات، وممزوجة بأشياء لطيفة من التصوف ، وأعمال القلوب . ولكن فيه أحاديث كثيرة غرايب ومنكرات ، وفيها ماهو موضوع ، كما يوجد في غيره من كتب الفروع ، التي يستدل بها على الحلال والحرام ، فالكتاب الموضوع للرقايق ، والترغيب والترهيب أسهل أمراً من غيره .

هذا وقد شنع عليه ابن الجوزي ، ثم ابن الصلاح في ذلك تشنيعاً كثيراً ، وقد كان الغزالي يقول أنا مزجى البضاعة في الحديث ، ويقال إنه مال في آخر عمره ، الى سماع الأحاديث ، والحفظ للصحيحين .

وفي المرآة [١] : وسمع حديث صحيح البخاري ، من أبي سهل محمد بن عبد الله الحفصي. وكان إماماً في الفقه مذهباً وخلافاً .

وقال ابن خلكان وكانت ولادة الغزالي في سنة خمسين وأربعمائة ، وتوفي يوم الاثنين الرابع عشر من جمادى الآخرة سنة خمس وخمسمائة .. بالطابران ودفن بظاهرها ، وهي قصبة طوس ، وهي بفتح الطاء ، والباء الموحدة بينها ألف ساكنة وبالراء المفتوحة بعدها ألف ، وفي آخرها نون . وهي إحدى بلدتي طوس ، بضم الطاء المهملة ، وسكون الواو ، وبالسين المهملة ، وهي ناحية بخراسان ، تشتمل على مدينتين : احداهما طابران ، والأخرى نوقان ، بفتح النون ، وسكون الواو ، وفتح القاف وبعد الألف نون . ولهما مايزيد على الف قرية . والغزّالي نسبة ، على عادة أهل خوارزم وجرجان ، فانهم ينسبون الى القصار والعطّار ، فقالوا العطاري والقصّاري ، وقيل إن الزاي مخففة ، نسبة الى غزالة من قرى طوس ، قالوا وهي خلاف المشهور وأنا أقول : ينبغي أن يكون هو المشهور والله أعلم .

---

(١) المقصود «مرآة الزمان» لسبط ابن الجوزي مرت ترجمته .

وفي تاريخ بيبرس ، وقيل إنه دخل بغداد ، فقُومَ ملبوسه ، ومركوبه ، بخمسة عشر قيراطاً ، وسأله بعض أصحابه قبيل الموت ، اوصني ، فقال : عليك بالاخلاص ، ولم يزل يكررها حتى مات . وحكى أخوه أحمد ، قال : لما كان يوم الاثنين وقت الصباح ، توضأ أخي أبو حامد ، وصلى وقال : علي بأكفاني ، فأخذها ، وقبلها ، وتركها على عينيه ، وقال سمعاً وطاعة للدخول على الملك ، ثم مد رجليه ، واستقبل القبلة ، ومات قبل الاسفار ، ولبعضهم فيه شعر يذكر فضائله ، وبعض تصانيفه ، في الفقه والمذهب وهو شاب :

شيد المذهب حبرٌ   أحس الله خلاصه
بيسيط ووسيط   ووجيز وخُلاصه



ذكر كلام الزبيدي (١)

١٢٠٥ هـ

الحمد لله الذي أحيا بذكره قلوب عباده العارفين ، وأماط عن بواطنهم حجب الخفاء ، فقاموا لاحياء علوم الدين ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد سيد الاولين والآخرين ، وصفوة الانبياء والمرسلين ، وقائد الغر المحجلين وخلاصة الله من خلقه أجمعين ، وعلى آله السادة الاكرمين ، وأصحابه الغر الميامين ،وأتباعهم بإحسان الي يوم الدين. وبعد فهذه تقريرات شريفة ، وتحريرات خفيفة ، امليتها على كتاب الاحياء للامام حجة الاسلام ابي حامد الغزالي رحمه الله تعالى حين سئلت في اقرائه . . . . : . . . .

. . . . (٢)

وهذا بيان الكتب (٣) : التي منها أخذت ، وعنها بلا واسطة نقلت واستفدت .

---

(١) هو ابو الفيض محمد بن محمد المعروف بالمرتفى الزبيدي ولد في زبيد باليمن سنة ١١٤٥ وانتقل الى القاهرة وتوفي فيها . والكلام هنا من مقدمة كتابه الكبير « اتحاف السادة المتقين بشرح اسرار إحياء علوم الدين » .

(٢) لم أثبت المقدمة كلها وإنما اقتصرت على بعض المواضع التي لها علاقة بموضوع الكتاب أكثر من غيرها .

(٣) أثبت هذا الفصل لأهميته للباحث الذي يريد الرجوع الى المصادر التي اعتمد الزبيدي عليها في شرحه للاحياء .

فمن ذلك في علم اللغة : شرحي على القاموس الذي أحاط بجيد اللغة ، وحوشيّها الذي إذا رآه المدقق البعيد عن المرا قال كل الصبر في جوف الفرا ، فاستغنيت بمراجعته عن جملة من الكتب المؤلفة في الفن ، وأوردت منه كل مستحسن ، ولم أخل مع ذلك نظري في كتاب النهاية لابن كثير ، والفائق للزمخشري ، والمفردات لأبي قاسم الراغب ، وعمـــدة الحفاظ للحلبي ، والتوفيق للمناوي ، وكتاب الزينة لأبي حاتم الرازي ، ومشكل القرآن لأبن قتية ، فربما استفدت منها جملاً كثيرة ، وأوردتها مع مناسباتها في مواضعها .

ومن كتب أصول الفقه : التوضيح لصدر الشريعة ، وشرحاه التنقيح للسيد الجرجاني ، والتلويح للسعد التفتازاني ؛ والمنهاج للبيضاوي ، وشرحه لمحمد بن طاهر القزويني ، وشفاء الغليل في مسالك التعليل للمصنف .

ومن كتب الحديث التي احتاج الأمر لمراجعته : شرح البخاري للحافظ ابن حجر العسقلاني المسمى بفتح الباري ، وهو البحر الـــتي تقف عنده الافهام وتعترف من فيوضاته الاعلام ، مع اعادة النظر في كل من شروح القسطلاني ،وابن الملقن ، والكوراني ، والزركشي، والسيوطي ، والسندي ، وشرح الجامع الصغير للمناوي ، والسنن لكل من البيهقي ، والدارقطني ، وشرح السيوطي على الترمذي ، ومن المسانيد للامام أحمد ، وعبد بن حميد، ومسدد، وابن أبي شيبه ، والديلمي .

ومن المعاجم : الكبير والأوسط للطبراني ولابن جميع الغساني .

ومن الكتب التي اعتمد تخريج احاديث الكتاب عليها : المغني عن حمل الاسفار للحافظ العراقي في مجلد ، فأذكر كلامـه عقيب الحديث ، ثم ازيد عليه حسبما فتح الله عليّ في مطالعتي لكتب الفن ، وربما نقلت في بعض المواضع من تخريجه الكبير عليه ، ولم أظفر منه الا على كراريس ؛ ومن ذلك الجامع الكبير والصغير ، والذيل عليـــه ، الثلاثة للسيوطي ، وموضوعات ابن الجوزي ، واللآلىء

المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ، استدراكا على ابن الجوزي للسيوطي ، مع الذيل عليه ، له ، ونوادر الاصول للحكيم ابي عبد الله محمد بن علي الترمذي ، والعلل للدارقطني اثنا عشر مجلداً ، والكامل لابن عدي نحو ذلك ، والاصلاح على المستدرك للعراقي الحافظ بخطه ، واقتضاء العلم العمل ، وشرف أصحاب الحديث ، كلاهما لأبي بكر الخطيب الحافظ ، وتاريخه الكبير الحافل في عشر مجلدات ، والذيل عليه للبنداري في مجلد ، وأيضاً لابن البجار الحنبلي في مجلدات ، وتجريد الصحاح والسنن ، لرزين بن معاوية العبدري ، والسرقسطي ، والقول المسدد في الذب عن مسند الامام أحمد للحافظ السخاوي ، والامالي على مسانيد أبي حنيفة للرزين قاسم الحنفي الحافظ ، واللآلىء المتناثرة في الاحاديث المتواترة لابن طولون الحنفي ، واطراف المسانيد العشرة للشهاب الأبوصيري ، وجمع الفوائد لمحمد بن سليمان ، وكتاب العلم لابن خثيمة زهير بن حرب النسائي ؛ الى غير ذلك مما استفدت من معانيها واسرارها ، كشرح الملاعلي على مختصر هذا الكتاب المسمى بعين العلم والذريعة الى محاسن الشريعة للقفال الشاشي ، والذريعة الى مكارم الشريعة لابي القاسم الراغب[1] والبحر الزاخر لأبي الطيب حمدان بن حمدويه ، وجواهر القرآن للمصنف ، وفضائل القرآن للقرطبي .

واما ما يتعلق باحوال الدين والاعتقاد والفقه وفروعه : فسيأتي بيان مآخذ كل ذلك في مواضعه على مايسر الله تعالى عليَّ في مراجعته والكشف عن مظانه ، فأذكر في كتاب العقائد ماتحصل لدي ، وفي العبادات كذلك .

وأما التصوف والرقائق فقد طالعت عليه كتباً كثيرة ، واجلها مقداراً الرسالة للامام أبي القاسم القشيري ، وشرحاها لابي محمد عبد المعطي بن محمود اللخمي ولشيخ الاسلام زكريا ، وقوت القلوب لابي طالب المكي[2] ، وعليهما مدار كتاب

---

(١) اعتمد الغزالي على هذا الكتاب في كثير من ابحاثه الاخلاقية .

(٢) قوت القلوب من أم المصادر التي استفاد منها الغزالي .

الشيخ غالباً ، ومنازل السائرين لشيخ الاسلام الهروي ، وعوارف المعارف للشهاب السهروردي ، والتعرف لابي نصر الكلاباذي ، وتأييد الحقيقة العليـــة للحافظ السيوطي ، ومنارات السائرين ومقامات الطائرين للشيخ نجم الدين داية ، ومفيـد العلوم لابي بكر الخوارزمي ، والذهب الابريز في مناقب سيدي عبدالعزيز تأليف أفضل المتأخرين أحمد بن مبارك المطي السجلماسي .

ومن كتب التواريخ : الوافي بالوفيات للصلاح الصفدي ،والطبقات الكبرى لابن السبكي ، وطبقات القطب الخيضري ، والحافظ عماد الدين بن كثير الدمشقي .

وفي أسماء الرجال : الكاشف للحافظ الذهـبي ، والديوان له ، والمشتق له، والكني لابن المهندس ، والتبصير للحافظ بن حجر .

وأما مانقلت منه مسألة ، أو كلمـــة غريبة ، أو نادرة عجيبة ، من اجزاء ومعاجم ومسانيد ومشيخات ورسائل وأمالي ومستخرجات ، فشيء لاأحصيه الآن كما ستقف عليه عند رفع الستور عن وجه البيان .

الاحوال المتعلقة بمصنف هذا الكتاب وهي مشتملة على أحد وعشرين فصلا وخاتمة

الفصل الاول : في ترجمته

قال ابن السبكي في طبقاته ، هو الامام الجليل . . . . . .(١)

وزاد المناوي في طبقاته بعد قوله في اول الترجمة في المنطوق منهـا والمفهوم مانصه : بحر ليس للبحر ما عنده من الجواهر ، وحبر سما على السماء وأين للسماء مثل ماله من الزواهر ، وروضة علم تستقل الرياض فنشرها أن تحكي مالديه من الازاهر، انتظمت بقدره العظيم عقود الملة الاسلامية ، وابتسمت بدرره ثغور

(١) انظر الكتاب ص ٩٤

الشريعة المحمدية ، فغاص من العلوم في بحار عميقـة ، وروض نفسه في دفع أهل البدع وسلوك الطريقة .

وقال أبو إبراهيم ، الفتح ، بن علي البغدادي في ذيله على تاريـخ بغداد : هو من لم تر العيون مثله ، لسانا ، ونطقاً ، وبياناً ، وخاطراً ، وذكاء ، وطبعاً .

وقال ابن المقري في تحفة الارشاد ، الى سبيل الرشاد ، ما نصه : باسمه تنشرح الصدور ، وتحيا النفوس ، وبرسمه تفتخر المحابر وتشتهر الطروس ، ولسماعه تخشع الاصوات وتخضع الرؤوس .

وترجمه الحافظ أبو القاسم بن عساكر ، في تاريخه ، فأطال فيها ؛ وكذا الحافظ ابن السمعاني نحوا منه .

وقال الحافظ محب الدين بن النجار الحنبلي ، في ذيله على تاريخ بغداد مانصه: إمام الفقهاء على الاطلاق ، وربانى الامة بالاتفاق ، ومجتهد زمانه ، وعين وقته وأوانه ، ومن شاع ذكره في البلاد ، واشتهر فضله بين العباد ، واتفقت الطوائف على تبجيله وتعظيمه وتوقيره وتكريمه ، وخافه المخالفون ، وانقهر بحججه المناظرون وظهر بتنقيحه فضائح المبتدعة والمخالفين ، وقام بنصر السنة وإظهار الدين وسارت مؤلفاته في مسير الشمس في البهجة والجمال ، وشهد الموافق والمخالف بالبهجة والكمال.

الفصل الثاني: في بيان مولده وشيء من أخبار نشأته

. . . . (١)

الفصل الثالث : في بيان مبدأ طلبه للعلم

. . . . (٢)

(١) أكثره من طبقات السبكي انظر الكتاب ص ٩٣ ومابعدها

(٢) هذا الفصل مأخوذ كله من طبقات السبكي انظر الكتاب ص ٩٥ ومابعدها

الفصل الرابع : في بيان ما آل اليه أمره .

. . . . (١)

ورأيت في بعض المجامع ، أن سبب سياحته وزهده ، أنه كان يوماً يعظ الناس فدخل عليه أخوه أحمد فأنشده :

أخـذت باعضادهم إذ ونوا ... وخلفك الجهـد إذا أسرعوا
وأصبحت تهدي ولا تهتدي ... وتسمع وعظـاً ولا تسمع
فيا حجر الشح حـتى متى ... تسن الحديد ولا تقطـع

فكان ذلك سبباً في تركه علائق الدنيا .

وذكر عبد الغافر بن اسماعيل الفارسي خطيب نيسابور في ترجمته بعد أن وصفه قال : وسلك طريق الزهد والتأله . . . . . . (٢)

بحيث لا تخلو لحظة من لحظاته ولحظات من معه عن فائدة .

ومما وجد بخط الزاهد قطب الدين محمد بن الارديلي قال : قال حجة الاسلام : كنت في بداية أمري منكراً لأحوال الصالحين ، ومقامات العارفين ، حتى حظيت شيخي يوسف النساج بطوس فلم يزل يصقلني بالمجاهدة ، حتى حظيت بالواردات ، فرأيت الله في المنام فقال لي : يا أبا حامد ، قلت : أو الشيطان يكلمني ، قال لا بل أنا الله المحيط بجهاتك الست ، ثم قال : يا أبا حامد ذر مساطرك ، واصحب أقواماً جعلتهم في أرضي محل نظري ، وهم الذين باعوا الدارين بحبي ، فقلت بعزتك الا أذقتني برد حسن الظن بهم ، فقال : قد فعلت ، والقاطع بينك وبينهم تشاغلك بحب الدنيا ، فاخرج منها مختاراً قبل أن تخرج منها صاغراً ، فقد أفضت عليك أنواراً

(١) القسم الأكبر من هذا الفصل مأخوذ من طبقات السبكي انظر الكتاب ص ٩٢ .
(٢) انظر الكتاب ص ٤٢-٤٥

من جوار قدسي ،ففز ونل . فاستيقظت فرحـاً مسروراً وجئت الى شيخي يوسف النساج ، فقصصت عليه المنام ، فتبسم. وقال يا أبا حامد هذه ألواحنا في البداية ، محوناها بأرجلنا ، بل إن صحبتني سيكمل بصر بصيرتك بإمْد التأييد حتى ترى العرش ومن حوله ، ثم لا ترضى بذلك حتى تشاهد مالا تدركه الأبصار فتصفو من كدر طبيعتك ، وترقى على طور عقلك ، وتسمع الخطاب من الله تعالى كموسى « إنيّ أَنا اللهُ رَبُّ العالمينَ » .

ونقل القطب سيدي عبد الوهاب الشعراني في كتاب الأجوبة المرضية ، عن الشيخ الاكبر(١) مانصه ، وكان الغزالي يقول : لما أردت أن أنخرط في سلك القوم ، وأشرب من شرابهم ، نظرت الى نفسي ، فوجدت كثرة حجبها ، ولم يكن لهشيخ إذ ذاك ـ فدخلت الخلوة، واشتغلت بالرياضة والمجاهدة أربعين يوماًفانقدح لي من العلم مالم يكن عندي ، أصفى وأرق مما كنت أعرفه ، فنظرت فيهفإذا فيه قوة فقهية ، فرجعت إلى الخلوة ، واشتغلت بالرياضة والمجاهدة أربعين يوماً ،فانقدح لي علم آخر . أرق وأصفى مما حصل عندي أولا ، ففرحت به ، ثم نظرت فيه فإذا به قوة ممزوجة بعلم علم « ولم ألحق بأهل العلوم اللدنية ، فعلمت أن الكتابة على المحو ، ليست كالكتابة على الصفاء الاول والطهارة الاولى ، ولم أتميز عن النظار إلا ببعض أمور ، ثم قال الشيخ الاكبر رحم الله أبا حامد ما كان اكثر إنصافه وتحرزه من الدعوى . اهـ .

الفصل الخامس: في ثناء الأكابر عليه من مشايخه وممن عاصره وممن أتى بعده

قال السبكي : حكي عن الشيخ العارف أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه ، وكان سيد عصره ، ولسان وقته ، وبركة زمانه ، أنه رأى النبي ﷺ في النوم ،

---

(١) محي الدين بن عربي

وقد باهى عليه الصلاة والسلام موسى وعيسى عليهما السلام ، بالامام الغزالي ،وقال أفي أمتكما حبر مثل هذا قالا: لا.

وسئل السيد العارف بالله سيد وقته أيضاً أبو العباس المرسي عن الغزالي ، فقال : أنا أشهد له بالصديقية العظمى.

ونقل المناوي في طبقاته ، عن القطب اليافعي عن بعض العلماء الجامعين بين علم الظاهر والباطن ، أنه قال : لو كان نبي بعد النبي لكان الغزالي .

وشهد له القطب سيدي محي الدين بن العربي ، وناهيك به ، أنه من رؤساء الطريقة وساداتهم ، ونقل عنه انه كان يرى المناسبة ، ويقول بها ؛ فرأى في بيت المقدس حمامة وغراباً لصق احدهما بالآخر ، وأنس به ، ولم يستوحش منه فقال : اجتماعهما لمناسبة فأشار اليهما بيده فدرجا فإذا بكل منهما عرج . قال : والمناسبة في مساق الاشياء صحيحة ، ومعرفتها من مقامات خواص أهل الطريقة ، وهي غامضة ، موجودة في كل شيء ، حتى بين الاسم والمسمى . قال : والقائلون بها من طريقتنا عظماء أهل المراقبة والأدب ، ولاتكون إلا بعد كشف عملي ، ومشهد ملكوتي .

ويروى عن بعضهم قال : الاقطاب ثلاثة : قطب العلوم كحجة الاسلام ، وقطب الأحوال كأبي يزيد البسطامي ، وقطب المقامات كعبد القادر الجيلاني ، نقلته من كتاب القصر والسداد في مناقب القطب السيد عبد الله باحداد .

وفيه أيضاً من كلمات المترجم قدس سره ، هذا الثوب نسجه الغزالي ، وقصه عبد القادر الجيلاني ، أو قال الشعراني أوهما ونحن خيطناه ونقشناه ، وأين من يلبسه ، قال : ففيه إشارة الى أن الغزالي والشعراني ، قد بلغا من العلوم اللدنية ، المبلغ الذي فاقا به الكل .

وقال السبكي في جواب كتاب أبي العفيف المطري وقد سأله عن الغزالي مانصه:

وماذا يقول الانسان وفضله واسمه قد طبق الأرض ، ومن خبر كلامه عرف أنه فوق اسمه .

وقال محمد بن يحيي النيسابوري تلميذ الغزالي : لا يعرف الغزالي وفضله الا من بلغ أو كاد أن يبلغ الكمال في عقله . قال ابن السبكي يعجبني هذا الكلام ، فإن الذي يجب أن يطلع على منزلة من هو أعلى منه ، في العقل يحتاج الى العقل والفهم ، فبالعقل يميز ، وبالفهم يقضي ، ولما كان علم الغزالي في الغاية القصوى ، احتاج من يريد الاطلاع على مقداره أن يكون هو تام العقل ، وأقول لا بد مع تمام العقل من مداناة مرتبته في العلم ، لمرتبة الآخر ، وحينئذٍ فلا يعرف أحد ممن جاء بعد الغزالي قدر الغزالي ، الا بمقدار علم الغزالي ، إذ لم يجيء بعده مثله ، ثم المداني له إنما يعرف قدره بقدر ما عنده ، لا بقدر الغزالي نفسه . سمعت الإمام الوالد يقول : لا يعرف قدر الشخص في العلم إلا من ساواه في رتبته ، وخالفه مع ذلك : قال وإنما يعرف قدره بمقدار ما أوتيه هو ، وكان يقول لنا : لا أحد من الاصحاب يعرف قدر الشافعي كما يعرفه المزني ، قال وإنما يعرف المزني من قدر الشافعي بمقدار قوى المزني ، والزائد عليها من قوى الشافعي لم يدركه المزني . وكان يقول أيضاً : لا يقدر أحد النبي ﷺ حق قدره الا الله تعالى ، وإنما يعرف كل واحد من مقداره بقدر ما عنده هو ، قال فأعرف الأمة بقدره ﷺ أبو بكر الصديق رضي الله عنه لأنه أفضل الأمة ، قال وإنما يعرف أبو بكر من مقدار المصطفى ﷺ ماتصل اليه قوى أبي بكر ، وثم أمور تقصر عنها قواه لم يحط بها علمه ومحيط بها علم الله وهو كلام نفيس .

وقال الحافظ ابو طاهر السلفي : سمعت الفقهاء يقولون كان الجويني يعني إمام الحرمين يقول في تلامذته إذا ناظروا : التحقيق للخوافي ، والحدسيات للغزالي ؛ والبيان للكيا .

الفصل السادس في ذكر شيء من كراماته .

. . . .[1]

الفصل السابع في انتقاله من دار الدنيا الى دار الآخرة :

قالوا : ولم يزل موزعاً أوقاته على تلاوة القرآن ، ومجالسة أرباب القلوب ، وإدامة الصيام والقيام ، حتى كان في جمادى الآخرة سنة خمس وخمسمائة . وفي كتاب « الثبات عند الممات » لابن الجوزي قال أحمد أخو الغزالي : لما كان يوم الاثنين وقت الصبح توضأ أخي وصلى ، وقال عليّ بالكفن فأخذه وقبله ووضعه على عينيه وقال سمعاً وطاعة للدخول على الملك ، ثم مد رجليه واستقبل القبلة فانتقل الى رضوان الله تعالى قبل الإسفار ، طيب الثناء ، أعلى منزلة من نجم السماء ، لا يكرهه الا حاسد أو زنديق ، ولا يسومه بالسوء الا من كان في قلبه ريب ، أو حاد عن سواء الطريق .

وقال فخر الدين ، ابن عساكر : مضى الى رحمة الله ، يوم الاثنين الرابع عشر من جمادى الآخرة ، سنة خمس وخمسمائة ، ودفن بظاهر قصبة طابران ، والله يخصه بأنواع الكرامة في أخراه ، كما خصه بفنون العلم في دنياه بمنه ولم يعقب الا البنات . وكان له من الأسباب إرثاً وكسباً ما يقوم بكفايته ونفقة أهله وأولاده ، فما كان يباسط أحداً في الأمور الدنيوية ، وقد عرضت عليه فما قبلها وأعرض عنها واكتفى بالقدر الذي يصون دينه ولا يحتاج معه الى التعرض للسؤال والمنال من غيره .

قال ابن السمعاني وقد زرت قبره بالطابران قصبة طوس .

سمعت أبا جعفر عمر ، بن أحمد الطوسي ، مذاكرة يقول : تمثل الامام اسماعيل

(١) يردد الكرامات التي ذكرها السبكي . انظر الكتاب ص ١٠٤ - ١٠٥ .

الحاكمي، بعد وفاة الامام أبي حامد الغزالي بهذا البيت :

عجبت لصبري بعده وهو ميت　　وكنت امرأ أبكي دماً وهو غائب

ووجدت في كتاب بهجة الناظرين، وأنس العارفين، للعارف بالله محمد بن عبد العظيم الزموري، ما نصه: ومما حدثنا به من أدركنا من المشيخة، أن الامام أبا حامد الغزالي، لما حضرته الوفاة، أوصى رجلا من أهل الفضل والدين، كان يخدمه أن يحفر قبره موضع بيته، ويستوصي أهل القرى القريبة الى موضعه ذلك بحضور جنازته، وأن لا يباشره أحد حتى يصل ثلاثة نفر من الفلاة لا يعرفون في بلاد العراق، يغسله اثنان منهم، ويتقدم الثالث بالصلاة عليه، بغير أمر أحد ولا مشورة. فلما توفي فعل الخادم كل ما أمره به. وحضر الناس، فلما اجتمعوا لحضور جنازته، رأوا ثلاثة رجال خرجوا من الفلاة، فعمد اثنان منهم الى غسله، واختفى الثالث ولم يظهر، فلما غُسّل، وأدرج في أكفانه، وحملت جنازته، ووضعت على شفير قبره، ظهر الرجل الثالث ملتفا في كسائه، في جانبه علم أسود، معمماً بعمامة صوف، وصلى عليه، وصلى الناس بصلاته، ثم سلم وانصرف فتوارى عن الناس. وكان بعض الفضلاء من أهل العراق ممن حضر الجنازة ميزه بصفاته، ولم يعرفه الى أن سمع بعضهم بالليل هاتفاً يقول لهم: إن ذلك الرجل الذي صلى بالناس هو الشيخ أبو عبد الله محمد، بن إسحق الشريف، جاء من المغرب الأقصى من عبر القطروان والذين غسلاه هما صاحباه، أبو شعيب أيوب بن سعيد بن دازمور وأبو عيسى وازجيج. فلما سمعوا بذلك، عملوا الرحلة من العراق الى صنهاجة أزمور بالمغرب الاقصى، فلما وصلوا اليهم واستوهبوا منهم الدعاء، انصرفوا الى العراق، وأخبروا متصوفة العراق وأشاعوا كرامتهم. ثم إن جماعة منهم لما سمعوا بذلك أتوا الى زيارتهم فوجدوهم أولئك الذين ميزوا، واستوهبوا منهم الدعاء. وهو سياق غريب.

الفصل الثامن في ذكر شيء مما رثي به بعد موته :

فمن ذلك قول أبي المظفر الابيوردي قال يرثيه :

بكى على حجة الاسلام حين ثوى . . . . . . (١)

وقال القاضي عبد الملك بن أحمد بن محمد بن المعافى

بكيت بعين واجم القلب واله . . . . . . (٢)

الفصل التاسع في ذكر شيء من رسائله ومكاتباته الى اصحابه :

قال ابن السمعاني : قرأت في كتاب كتبه الغزالي الى أبي حامد أحمد بن سلامة بالموصل فقال في خلال فصوله : أما الوعظ فلا أرى نفسي أهلا له لأن الوعظ زكاة نصابه الاتعاظ ، فمن لا نصاب له فكيف يخرج الزكاة، وفاقد الثوب كيف يستتر به غيره ، ومتى يستقيم الظل والعود أعوج، وقد اوحى الله الى عيسى عليه السلام عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس ، والا فاستحي مني [٣] .

وقال ابن السمعاني أيضاً : سمعت أبا نصر الفضل بن الحسن بن علي المقري مذاكرة بمرو ، يقول : دخلت على الامام أبي حامد مودعاً ، فقال لي : احمل هذا الكتاب الى المعين أبي القاسم البيهقي ، ثم قال وفيه شكاية على العزيز المتولي للاوقاف بطوس ، وكان ابن أخي المعين فقلت له كنت بهراة عند عمه المعين وكان العماد الطوسي جاء بمحضر فيه الثناء على المعين ، وعليه خطك وكان عمه قد طرده وهجره ، فلما رأى خطك وثناءك عليه ، قربه ، ورضي عنه ، فقال الامام الغزالي سلم الكتاب الى المعين واقرأ عليه هذا البيت وانشد :

ولم أر ظلماً مثل ظلم ينالنا يساء الينا ثم نؤمر بالشكر

---

(١) انظر الكتاب ص ٦٤

(٢) انظر الكتاب ص ١٠٨

(٣) انظر كلام السبكي . الكتاب ص ١٠٣ - ١٠٤ .

ذكر في الرسالة التي كتبها إلى بعض أهل عصره مانصه: بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين والصلاة على سيد المرسلين محمد وآله وصحبه اجمعين أما بعد : فقد انتسج بيني وبين الشيخ الاجل معتمد الملك . . . .

أسأل الله ان يصغر في عينه الدنيا التي هي صغيرة عند الله وان يعظم في عينه الذي هو عظيم عنده وان يوفقنا وإياه لمرضاته ويحله الفردوس الاعلى من جناته بمنه وفضله وكرمه .

الفصل العاشر : في ذكر شيء من فتاويه غير ماتضمنته فتاويه المشهورة

غيبة الكافر :

سئل ماقوله فيمن يغتاب كافراً ، أيأثم بذلك أم لا ، وهل يفترق الحال بين الذمي والحربي، وفيمن يغتاب مبتدعاً بغير بدعته أيحرم أم لا ؟

الجواب : وبالله التوفيق الغيبة المنهى عنها هي أن يذكر المغتاب بما يكرهه إذا سمعه وإن كان صادقاً ، وهو في حق المسلم محذور لثلاث علل : إحداها مافيه من الايذاء إن سمعه، أو يضيق بسببه إن لم يسمعه ، والثانية أن فيه تنقص ماهو فعل الله تعالى فإن الله عز وجل هو خالق الخلق صفاتهم وأفعالهم وأخلاقهم حتى ينهى بسبب هذا عن مذمة الأطعمة الرديئة وتنقصها ، والثالثة أنه يضيع الوقت بما لايغني وهو جار في النطق بما ليس فيه غرض صحيح ، والعلة الاولى تقتضي التحريم فإن إيذاء المسلم حرام ، والثانية تقتضي الكراهة وهو يطرد في الاطعمة والحيوانات ، والثالثة يقال إن تركه أولى وهو رتبة دون الكراهه ، فهم ذلك من قوله ﷺ من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه .

فاذا فهم هذا في المسلم فالكافر ان كان حربياً فايذاؤه ليس بحرام ، إذ لاعصمة له فتزول علة التحريم ، ويبقى انه تنقص لما هو من خلق الله تعالى ،

(١) ذكرت هذه الرسالة في ترجمة السبكي للغزالي.

فإن كان ذلك تعرضاً لذميم اخلاقه لا لنشأة خلقته وانضم اليه الإشعار وقال ذلك من أثر ضلاله وكفره تنفيراً عن الكفر وتحقيراً له ببيان أنه ممـــا ينتج الاخلاق السيئة فهذا لا كراهية فيه ، وان لم يكن على هـذا القصد ولا مع هذا الإشعار ولم تكن فيه فائدة التنبيه من تحذير وتحقير فالكراهية فيها أخف ؛ وإنما لا تستشعر النفس فيها كراهة ، لأنه يسبق اليها أن مذمته مذمة الكفر واشارة اليه وقـد سبق أن ذلك لا بأس به ، وهذا بأن يكون مندوباً أشبه من أن يكون مكروهاً ، واما التعرض لبشرة خلقته فالكراهة فيهـا أخف من التعرض للاطعمة والبهائم ، لأنه مما استحق ايذاؤه ، ويمكن أيضاً أن يوهم ان ذلك من شؤم ضلاله وأنه عذاب له على كفره ..

وأما الذمي فهو كالمسلم فيما يرجع الى المنع من الايذاء لان الشرع عصم عرضهم كما عصم دمهم وأموالهم ..

وأما المبتدع ان كفر فهو كالحربي ، وإن لم يكفر فهو كالمسلم ، وأما ذكره ببدعته فليس مكروهاً ، وكذا ذكر اخلاقه في معرض التعليل بشؤون البدعة ، فلا بأس به فأما ذكر خلقته فلا وجه له والله اعلم ، كتبه الغزالي .

الغرس في المسجد :

وسئل مايقول ادام الله علوه هل يجوز الغرس [1] أم لا ؟ وإن غرس فالفاكهة الحاصلة منها من يملكها ؟ وان غرس على ان تكون الفاكهة مباحة للمسلمين هل يجوز أم لا ؟

الجواب : وبالله التوفيق ينظر إلى الغارس فإن كان لنفسه ، منع منه مهما كان قصده الانتفاع بالمسجد ، فإن فعل وحصلت الفاكهة فهي له وعليه أجرة المثل للمسجد ، لانه استوفى منافعه فهو كما لو أحرق خشباً من المسجد تلزمه الغرامة،

---

(١) يقصد الغرس في المسجد .

ويجوز الأكل من الفاكهة باذن المالك مادام حيا فإذا مات قبل أداء الاجرة تعلق حق الاجرة بالشجرة والثمرة ، وصار مرهونا فلا يجوز الأكل منه بالاذن السابق فإنه متعلق بحق المسجد ، وإن غرس على أن يكون الغراس للمسجد وينصرف الريع لمصالحه فـذلك غير جائز ، إلا أن يكون المسجد واسعاً ، وتكون فيه فائدة للمصلين بالاستظلال ، إن لم يكن فيه مايجمع من الطيور ماينجس المسجد فيرخص فيه ، كما في بناء السقف فإن فائـدة الاستظلال من الشمس مقصوده وما يشغله الشجر من عرصة المسجد أقل مما تشغله الحيطان ، فاما اذا غرس على ان يكون وقفاً على قوم لاتعلق لهم بالمسجد فيمنع منه ، كما لو غرس لنفسه إذ لا يجوز صرف منافع المسجد الا إلى مصلحة المسجد ومصلحة قيام الصلاة فيه ، وان غرس على أن يكون وقفاً للمجاورين والمصلين فهذا له تعلق بالمسجد محتمل جوازه ، ويمكن أن لايجوز صرف مال المسجد إذا فضل من مصالحها إلى المجاورين وان جاز صرفها الى الامام والمؤذن فمن هـذا الوجه يكاد يلتحق المجاور بسائر المسلمين ، وان أشكل الأمر ولم يدر أنه على نية قصد فالأصل بقـاؤه على ملكه ، فيجعل كأنه غرسه لنفسه ، فعلى المتولي قلعه لأنه لاسبيل الى تركه مجاناً ، ولا الى تركه للاجرة فان ذلك اختيار بيع المنفعة في المستقبل ، بخلاف ماحصل فواته في الماضي ، فان غرامة ذلك تشبه غرامة إتلاف الوقف والمستولده ، وأما التبقية اختيـاراً بالأجرة ، فشبه اجارة المسجد وبيع الوقف والمستولدة . فينبغي أن يرد مافضل من الأجرة بعد القلع الى الملاك أو وارثه ، وان كان الفارس قد مات ولم يبق له وارث فهو متعلق أجرة المسجد ، فيؤخذ للمسجد بدل ماوجب من الاجرة ، فان فضل شيء أولم تكن اجرة باقية فهو مال المصالح ، فان رأى القاضى من المصلحة أن يتركه ويجعله وقفاً على المسجد فله ذلك وان كان في المصالح ماهو أهم من المسجد ، وكان للمسجد فائدة بابقـائه للاستظلال

وأراد بقاءه ليأخذ من فاكهته للمسجد بقدر الأجرة ويصرف الفاضل الى المصالح فهذا قد يصادم فيه محذوران ، أحدهما : قلعه مع أنه فيه فائدة الاستظلال كما في البناء ، والآخر ابقاؤه بالاجرة وكأنه اجارة ، والأليق بمصلحة الجوانب الرخصة في الابقاء ، إذ ليس في قلعه للمسجد فائدة وله في ابقائه فائدة ، ومع هذا فلو اتسعت خطة المسجد، وأراد المتولي أن يزرع بعض جوانب المسجد فيتخذه مستغلاً للمسجد ، أو يجعل بعض بيوته مستغلاً لم يجز ، لان ذلك اكتساب مال المسجد وليس في نفس الزرع للمصلين فائدة بخلاف الشجر ذات الظل ، فانها تقوم في دفع حر الشمس عن المصلين مقام السقف ، فلاجل ذلك رخص في غرسه وابقائه عند اتساع المسجد والله أعلم ، كتبه الغزالي .

حكم مصلى العيد :

وسئل ، ماقوله دام علوه في المصلى المبني لصلاة العيد خارج البلد أله حكم المسجد في الاحكام أم لا وان لم يكن فما سببه ولم يبن الا للصلاة ؟

الجواب: وبالله التوفيق لا يثبت له حكم المسجد في الاعتكاف ومكث الجنب وغيره من الاحكام لان المسجد هو الذي أعد لرواتب الصلاة وعين لها حتى لا ينتفع به في غيرها، وموضع صلاة العيد معد للاجتماعات ولنزول القوافل ولركوب الدواب ولعب الصبيان ، ولم تجر عادة من سلف المنع من شيء من ذلك فيه ، فلو اعتقدوه مسجداً لصانوه عن هذه الاسباب ولقصد لإقامة سائر الصلوات ، فصلاة العيد تطوع وهو ايضاً لا يكثر تكرره ولا يبني ذلك لقصد الصلاة بل للاجتماع وتكون كالتبع في القصد ، والله اعلم ، كتبه الغزالي .

إقطاع الرسول للدارمي :

وسئل ماقوله دام علوه فيما أقطع رسول الله ﷺ تميما الدارمي رضي الله عنه من الشام قبل ان ملكه أهل الإسلام ماوجه صحته مع انه جرى قبل الملك ولم يتصل به القبض ، ولم يجر تحديد محل الاقطاع ؛ وهل يجوز للامام ان ينتزع ذلك

من يد أولاده ، ومتى يحصل الملك للمُقطَع ؟ يتفضل بشرح القول فيه .

الجواب : وبالله التوفيق ذلك الاقطاع صحيح، والملك حاصل لتميم الدارمي، ومنتقل الى اعقابه بالوراثة ووقت حصول الملك عند تسليم الامام المستولي عليه اليه، ووجه صحته انه كان ﷺ مختصاً بالصفايا من المغنم ، حتى كان يختار من المغنم ما يريد ، ويرفع ملك المسلمين عنه بعد استيلائهم ، وكذلك له ان يستثني نفعه من ديار الكفار عن ملك المسلمين ، ويعينه لبعضهم فيصير ملكا له ، ويكون سبب الملك تسليم الامام أمر رسول الله ﷺ بالتسليم ؛ وقد نقل امثال ذلك من التخصيصات قبل الاستيلاء وليس ذلك لغيره من الائمة ؛ فانه كان ﷺ مطلعاً بالوحي على ما سيملك في المستقبل وعلى وجه المصلحة في التخصيص والاستثناء ، وغيره لا يطلع عليه ؛ وأما قول من قال لا يصح اقطاعه لانه قبل الملك فهو كفر محض اذ يقال له هل حل لرسول الله ﷺ فعله او كان ظالماً بتصرفه قبل الملك ، فان جعله ظالماً فقد كفر ؛ وان قال ﷺ له ذلك ولكن الملك لا يحصل به فيقال وهل علم ان الملك لا يحصل به أم لا ؟ فإن قال انه لم يعلم فقد جهّله بحكم وهذا كفر ، وان قال علم ذلك فيقال لا يبقى لاقدامه عليه مع العلم ببطلانه إلا تطييب قلب تميم الدارمي رضي الله عنه بما لا حاصل له ولا طائل تحته وهو محض الخداع والتلبيس ؛ ومن نسبه الى شيء من ذلك فهو كافر ؛ وأما قوله ان القبض لم يتصل به فهو باطل من وجهين احدهما ان افعال رسول الله ﷺ حجة تتعرف بها شروط الافعال ، فاما ان يتحكم عليها بالشرط فلا ، ففعله يبين أن ذلك ليس بشرط ، وهو كما لو نكح بغير ولي ولا شهود ، أو يبين به أن ذلك خاصيته ، ونكاح تسع نسوه من هذا القبيل ؛ بل لو اقطع مثلا زوجة مسلم لمسلم آخر لوجب ان يقال قد اوحي اليه انها حرمت على زوجها وحلت للآخر ، فإن فعله ﷺ نص في الجواز ؛ والثاني ان الاقطاع ليس بتمليك في الحال حتى يشترط اتصاله بالقبض بل هو كما لو اقطع الامام بعض أراضي الموات ليحييه المقطع فإنه لا يملكه الا بالاحياء ، وفي الحال

لايملكه والقبض ليس شرطاً في صحة هذا التخصيص ، وأما ذكر الحد فليس شرطاً للصحة لاسيما في الامور السلطانية وإنما يشترط للتسليم ، وللامام عند التسليم ان يعول فيه على الاشتهار وله ان يسامح في ما وقع منه في محل الاشتباه فإن مبنى هذه الامور على المساهلات بخلاف التصرفات الجزئية والله أعلم ؛ كتبه الغزالي .

شهادة المتصل بالسلطان :

وسئل ماقوله دام علوه فيمن له أدرار من سلطان العصر أتقبل شهادته أم لا؟ فإن لم تقبل فما حكم القضاة الذين لهم أدرار من السلطان امنعزلون أم لا ؟ الجواب وبالله التوفيق : ادرار السلطان منقسم الى ماهو حلال ، كالجزية والفيء فأخذ ذلك لايوجب الفسق. ان كان الأخذ ممن تقتضي مصلحة بوجه من الوجوه أن يصرف اليه ومهما كان من فطنة المصلحة واتصل به اجتهاد السلطان فلا يفسق ، فأما الذي ليس بفقير ولا مرتب لعمل ولا مصلحة للناس مثل كونه فقيهاً او طبيباً أومعلماً أو غيره بل هو بطال في نفسه عن هذه الاشغال غير مفتقر ايضاً اليه فأخذ ذلك لارخصة فيه ، وآخذه فاسق لاتقبل شهادته ؛ وأما الفقيه ومن يجري في مجراه فهو على الجملة من قبيل من يصرف اليه مال المصالح ، وان كتب له ادرار على ملك للسلطان أحياه أو اشتراه لم يفسق بأخذه وإن لم يكن من أهل مال المصالح فان ذلك ينزع ، وما يثبت عن ملك اشتراه السلطان في الذمة هو ملكه ، وان كان الثمن الذي فيه لم يكن من حله فالثمن في ذمته بعد ، والثابت من الارض ملكه وانما اجتنابه من الورع ؛ وان كتب الادرار على الخزانة وهي جامعة للخراج المأخوذ من المسلمين وهو حرام ، وللجزية والفيء والمواريث وهي حلال ، وللهدايا وهي في محل الاجتهاد ، أعني هدايا الملوك فإن كان الغالب على مال ذلك السلطان جهات الحل لم يفسق بأخذه ، وكذا إذا لم يكن جانب التحريم غالباً الا أن يعلم عين ماياخذه على الخصوص من جهة محرمة ، وان كان الغالب الحرام ولكن احتمل ان يكون ماياخذه من جملة مايحل فهذا حل قد عارضه غالب اذ الاصل في الاموال الحل وفي الايدي الدلالة على الملك وقد عارضه الغالب فهو

قريب من قول الشافعي رضي الله عنه في تعارض الاصل ، والغالب في النجاسات كطين الشوارع وغيره ، ولكان كما توضأ عمر رضي الله عنه من ماء في جـــرة نصرانية والغالب النجاسة . ثم كانوا إذا أراد احتمال التحريم في المأكـول الى هذا الحد يتفحصون عنه ، دل على أن الأمر في الحل والحرمة أضيق منـه في الطهارة والنجاسة ، فهذا في محل الاجتهاد والرأي فيه الى القاضي ، والاولى أن لاترد شهادته إن كان يأخذ مثل ذلك عن حاجة ، وان ترد شهادته ان كان يأخذه مع الاستغناء ، واذا اخذ القاضي من الادرار ماقضينا بالتفسيق فيـــه فيتعين على السلطان عزله ، ولكن لايحكم بانعزاله لاجل المصلحة فان استمـرار الولاية لو اشترط فيه استمرار العصمة من موجبات الفسق مع أن الشهوات غالبة والشيطان بالمرصاد لادى ذلك الى ان لايدوم قضاء قاض الاساعة قريبه فنقضي باطراد الولاية ، ووجب العزل والاستبدال مهما ظهر ذلك للسلطان والله أعـلم ؛ كتبه الغزالي .

في المنتصبين على أبواب السلاطين :

وسئل ماقوله دام علوه في المنتصبين على ابواب السلاطين والوزراء من ارباب الحشمة والجاه من العلماء وغيرهم لقضاء إرادات الناس وتسويفاتهم ودفع ظلاماتهم وقضاء حقوقهم طمعاً في مال صاحب الحق اذا قضي حقه ، أيحل له ذلك المال أولا ؟ وكيف يحل له وربما لم تصدر منه إلا كلمة واحدة يشفع بها الى السلطان فقط فهذا مقابلة الجاه والحشمة بالمال فما طريق حله له ؟ وما معنى الرشوة المحرمـة في الشرع . وان لم يحل لهم هذا اصلاً فربما افضى ذلك الى حرج ، إذ لاغنية بالناس عن ذلك وهل يفرق الحـــال بين ان يتعب هذا في قبض الادرار في تكرير المراجعة والمطالبة وتكثير القاضي والالحاح أولا يتعب بل يتكلم على سبيل الشفاعة؟

الجواب وبالله التوفيق : إنه إن كان السعي الملتمس منـــه حراماً لم يحل أخذ المال عليه ، وان كان فرض عليه مثل إقامة الشهادة على من ظلمه أو مايجري مجراه لم يحل اخذ المال ، وان كان من قبيل فرض الكفايات في دفع الظلامات او

كان مباحاً ُنظر، فإن كان فيه تعب بحيث لو كان الفعل معلوماً لصح الاستئجار عليه جاز أخذ المال عليه بطريق الجهاله ، وان لم يكن فيه تعب نظر ، فإن لم يكن فيه ابتذال حشمة وجاه لم يحل أخذ المال فان مقابلة مالا يتقوم بالمال غير جائز ،وان كان المتباذل يحتاج اليه حتى لو اشترى حبة حنطة ليجعلها في فخ طائر حيث لايجد غيرها لم يجز ، وصورة هذا أن لايلتمس منه إلا وضع القصة بين يدي السلطان أو يقول للبواب لاتغلق الباب دونه فهذه الكلمة الخفيفة لايجوز أخذ جعل عليها وان كان فيه تبذل من حيث الحشمة ولكن الفعل قليل في نفسه فهذا في محــل النظر ، والأشبه المنع من مشارطة الجعل عليه فإن تجويزه لامستند له إلا تخليـة الناس والتراضي في المفاوضات وبذل المال في مقابلة مافيه عوض ، ولا خلاف في أنه لايجوز مقابلة المال باسقاط حق الشفعة ، وخيار الرد ، وأمور أخر فيها اعراض فهذا يدل على ان المال يشترط في مقابلة بضع أومال أو عمل متقوم ، والجاه ليس من هذا القبيل ، وأما مسيس الحاجة اليه فالطريق فيه ترك المشارطة للجعل وهو العادة ولايمتنع على ذي الجاه ان يقبل هدية من المحتاج بطريق الهبة ، وإن كان يعلم انه لم يبذله إلا طمعاً في معونة ولكن قوله عليه السلام تهادوا تحابوا وقوله تعالى « فحيوا بأحسن منها أو ردوها » يوجب الرخصة فإن المهدي يستجاب محبة المهدى اليه ، وبواسطة المحبة يستحثه على بذل الجاه في مقابلته ، فهذه هبة تقتضي ثواباً بقرينة الحال ، والصحيح أن ذلك جائز وان الثواب واجب في هذه الصورة فلربما يهدي الفقير إلى ذي الجاه طمعاً في أن يمكنه من أن يمشي بين يديه فرسه في معرض الغلمان ليكون له بالانتساب اليه جاه فيحصل لذي الجاه بخدمته زيادة جاه مع المال ، ولايمكن ان يجعل ذلك معارضة ولايمنع التوصل الى مثل ذلك بالهدية ، بل أقول يحل للقاضي ان يقبل الهدية وإن كانت لاتهدى اليه لو لم يكن قاضياً ، ولكن انما يجوز إذا علم ان المهدي يبغي مودته وحشمته وعنايته في أمور لاتحرم عليه ولاتجب وجوب عين بحكم القضاء وانما الرشوة المحرمــة التي يبذلها صاحبها

جعلا على حكم بالحق واجب ، أو ميل بالظلم محرم ، ولذلك قال عمر رضي الله عنه لابن مسعود وقد ولاه بلداً أجب الداعي ، ولا تقبل الهدية ، وليس بحرام ،ولكني اخشى عليك القيل والقال . واذا منعنا المشارطة بطريق الجعالة في مثل هـذا فيتعدى النظر في مثل بذل الجعل على فعل لا تعب فيه ، ولكنه عظيم الجدوى بسبب علم صاحبه فرب سيف ومنواله معوج تتضاعف قيمته بدقة واحدة من بصير بمحل الدق ، والا شبه ان انضمام العلم الى الفعل القليل لا يكون كانضمام الجاه ، وان أخذ الجعل على هذا يجوز فإن هذه صناعة مكتسب لكسب المال ، ودون هذا مالو علم الطبيب دواء ولم يذكره الا بجعل المال على مجرد التنبيه عليه من غير عمل باليد فيه نظر ، وهو بين مسألة السيف ومسألة بذل الجاه في كلمة والله أعلم. كتبه الغزالي .

نقلت هذه الفتاوي أجمعها من خط الامام أبي الفضل محمد بن محمد بن فضل بن مظفر العبدي البحراني ، قال : فرغت من نسخه ،في تاسع محرم سنة ٥٦٤ بدمشق.

الفصل الحادي عشر في بيان حال المنتسب اليه :

قال صاحب « تحفة الارشاد » نقلاً عن الامام النووي ، في « دقائق الروضة »: التشديد في الغزّالي هو المعروف الذي ذكره ابن الأثير ، وبلغنا أنه قال منسوب إلى غزالة بتخفيف الزاي ، قرية من قرى طوس ، قلت : وهكذا ذكره النووي أيضاً في التبيان .

وقال الذهبي في العبر ، وابن خلكان في التاريخ ، عادة أهـل خوارزم وجرجان يقولون القصّاري والحبّاري باليـاء ، فيهما ، فنسبوه للغزل ، وقالوا الغزّالي ومثل ذلك الشحامي .

وأشار لذلك ابن السمعاني أيضاً وأنكر التخفيف ، وقال : سألت أهل طوس عن هذه القرية فأنكروها ، وزيادة هذه الياء قالوا : للتأكيد ، وفي تقرير بعض

شيوخنا ، للتمييز بين المنسوب الى نفس الصنعة ، وبين المنسوب إلى من كان صنعة والده وجده .

ولكن في المصباح للفيومي مايؤيد التخفيف ، وأن غزالة قرية بطوس ، واليها نسب الامام أبو حامد ؛ قال : أخبرني بذلك الشيخ مجد الدين بن محمد بن أبي الطاهر شروان شاه ، بن أبي الفضائل بن عبيد الله بن ست المنا ، بنت أبي حامد الغزالي ببغداد ، سنة عشر وسبعمائة ، وقال لي أخطأ الناس في تثقيل جدنا ، وإنما هو مخفف .

وقال الشهاب الخفاجي في آخر « شرح الشفا » ويقال إنه منسوب الى غزالة ابنة كعب الأحبار ، وهذا إن صح فلا محيد عنه .

والمعتمد الآن عند المتأخرين من أئمة التاريخ والأنساب ، أن القول قول ابن الاثير أنه بالتشديد .

وسمعت شيخنا القطب السيد العبد روس نفع الله به يقول : إنه هكذا سمعه من لسان النبي ﷺ في واقعة منامية ، وعليه أنشدنا شيخنا المرحوم عبد الخالق بن أبي بكر الزجاجي بزبيد ، لأحد الشعراء اليمنيين وقد أجاد :

ما للعواذل في هواك ومالي ... روحي فداك ياحبيب ومالي
غزّال طرفك إن رنا أحيابه ... وكذلك الإحياء للغزالي

الفصل الثاني عشر في بيان من تكنى بأبي حامد من شيوخ مذهبه قبله :

. . . .[1]

الفصل الثالث عشر في شيوخه في الفقه والتصوف والحديث[2]

أول مشايخه في الفقه كما تقدم الامام أبو حامد ، احمد بن محمد الراذكاني

---

(١) لم أر اثبات هذا الفصل لعدم ضرورته في سياق موضوع الكتاب .

(٢) أثبت هذا الفصل لضرورته للباحث لمعرفة منابع المعرفة عند الغزالي .

الطوسي ، ثم أبو نصر الاسماعيلي ، ثم إمام الحرمين ، قرأ على الأول بطوس، وعلى الثاني بجرجان ، وعلى الثالث بنيسابور .

وفي التصوف الامام الزاهد ، أبو علي الفضل بن علي الفارمدي الطوسي ، من أعيان تلامذة أبي القاسم القشيري ، صاحب الرسالة توفي بطوس سنة ٤٩٧ ، ومن مشايخه أيضاً يوسف النساج .

وفي الحديث أبو سهل محمد بن محمد بن أحمد بن عبيد الله الحفصي المروزي ، والحاكم أبو الفتح نصر بن علي بن أحمد الحاكمي الطوسي ، وأبو محمد عبد الله بن محمد بن الخواري ، خوار طاران ، ومحمد بن يحيى بن محمد السجاعي الزوزني ، والحافظ ابو الفتيان عمر بن أبي الحسن الرؤاسي الدغستاني ، ونصر بن إبراهيم المقدسي على قول الذهبي ؛ وقال غيره لم يدركه .

فهؤلاء شيوخه في العلوم الثلاثة . ولم أطلع على أسماء شيوخه الذين قرأ عليهم في الكلام ،أوالجدل، فان عثرت على شيء من ذلك بعد، ألحقت به ، إن شاء الله تعالى.

وأما علوم الفلسفة فلا شيخ له فيها ، كما صرح بذلك في كتابه المنقذ من الضلال .

الفصل الرابع عشر في تفصيل ما سمع من هؤلاء ورواه عنهم :

قال ابن السمعاني : لما عاد إلى وطنه كانت خاتمة أمره الإقبال على طلب الحديث ومجالس أهله ، وقراءته ، ونسخه ، واستدعى الحافظ أبا الفتيان عمر بن أبي الحسن الرؤاسي إلى طوس ، وأكرمه واغتنم أيامه ، وسمع منه الصحيحين . وما أظن أنه حدث بشيء ، وإن حدث فيسير لأن رواية الحديث ما انتشرت عنه .

. . . . (١)

(١) يكرر هنا ماذكره الفارسي وابن عساكر والذهبي والسبكي عن رواية الغزالي الحديث وضعفه فيه .

الفصل الخامس عشر :

في ذكر شيء من كلماته المنثورة البديعة، انقلتها من طبقات المناوي وغيرها.

قال رحمه الله « الدنيا مزرعة الآخرة ، وهي منزل من منازل الهدى ، وإنما سميت دنيا ، لأنها أدنى المنزلتين » .

وقال رحمه الله « ربما وجد بعضهم في نفسه أنساً وتقرباً في عبادته ومجلسه ، فظن أنه بها يغفر لجميع من حضره ، فضلاً عنه ، ولو أنه تعالى عامله بما يستحقه على سوء أدبه في ذلك لأهلكه » .

وقال رحمه الله « إنما تفرق كل سالك بالمنزل الذي يبلغه في سلوكه، وما خلفه من المنازل ؛ وأما ما بين يديه فلا يحيط بحقيقته علماً ، بل قد يصدق به إيماناً بالغيب » .

وقال رحمه الله: « أنوار العلوم لم تحجب من القلوب لبخل ومنع من جهة المنعم ، تعالى عن ذلك ، بل لخبث وكدورة وشغل من جهة القلوب ، فإنها كالأواني ما دامت مملوءة بالماء لا يدخلها الهواء ، والقلب المشغول بغير الله لا تدخله المعرفة بجلاله » .

وقال رحمه الله : « أشرف أنواع العلم ، العلم بالله عز وجل ، وصفاته ، وأفعاله ؛ وفيه كمال الإنسان ، وفي كماله سعادته وصلاحه بجوار حضرة الجلال والكمال » .

وقال رحمه الله : « جلاء القلوب والأبصار يحصل بالذكر ، ولا يتمكن منه إلا الذين اتقوا ، فالتقوى باب الذكر ، والذكر باب الكشف، والكشف باب الفوز الأكبر » .

وقال رحمه الله « من ارتفع الحجاب بينه وبين قلبه ، تجلى له الملك والملكوت في قلبه ، فيرى جنة عرضها السموات والأرض » .

وقال رحمه الله « عالم الملكوت هو الأسرار المشاهدة عن مشاهدة الابصار ، المخصوصة بإدراك البصر ، وجملة عالم الملك والملكوت تسمى الحضرة الربوبية، لأنها محيطة بكل الموجودات ، إذ ليس في الوجود سوى الله وأفعاله ومملكته وعبيده من أفعاله » .

وقال رحمه الله « مدار الطاعات وأعمال الجوارح كلها تصفية القلب ، وتزكيته أشراق نور المعرفة » .

وقال رحمه الله « الإيمان ثلاث مراتب : الأولى : إيمان العوام وهو إيمان التقليد المحض ، والثانية إيمان المتكلمين وهو ممزوج بنوع استدلال ، والثالثة إيمان العارفين وهو المشاهدة بنور اليقين ».

وقال رحمه الله « ظنُّ من يظن أن العلوم العقلية مناقضة للعلوم الشرعية وأن الجمع بينهما غير ممكن ، ظنٌّ صادر عن عمى في عين البصيرة ، نعوذ بالله منه ، والعلوم العقلية دنيوية وأخروية ، فالدنيوية كالطب ، والحساب ، والنجوم ، والحرف ، والصنائع ؛ والأخروية كعلم أحوال القلب، وآفات الأعمال، والعلم بالله، وصفاته ، وأفعاله ، وهما علمان متناقضان ، أعني ، من صرف عنايته الى أحدهما حتى يعمق فيه ، قصرت بصيرته عن الآخر على الأكثر ».

وقال رحمه الله « مهما سمعت أمراً غريباً من أمور الدين ، جحده أهل الكياسة من سائر العلوم ، فلا ينفرنك جحودهم عن قبولها ، إذ محال أن يظفر سالك طريق الشرق بما في الغرب » .

وقال رحمه الله « تهب رياح الألطاف ، فتكشف الحجب عن أعين القلوب ، فيتجلى لها بعض ما هو مسطور في اللوح المحفوظ » .

وقال رحمه الله « ميل أهل التصوف الى العلوم الإلهامية دون التعليمية ،

ولذلك لم يحرصوا على دراسة العلم ، وتحصيل ما صنف المصنفون ، والبحث عن الأقاويل والأدلة » .

وقال رحمه الله « ليس الورع في الجبهة حتى تقطب ، ولا في الخد حتى يصفر ، ولا في الظهر حتى ينحني ، ولا في الرقبة حتى تطأطيء ، ولا في الذيل حتى يضم ، إنما الورع في القلوب ، أما من تلقاه يبشر ، فيلقاك بعبوس ، يمن عليك بعلمه ، فلا أكثر الله في المسلمين من مثله » .

وقال رحمه الله « قلب المؤمن لا يموت ، وعلمه عند الموت لا ينمحي ، وصفاؤه لا يتكدر ، واليه أشار الحسن بقوله ، التراب لا يأكل محل الإيمان ، إما ما حصله من نفس العلم ، أو ما حصله من الصفاء والاستعداد بقبوله » .

وقال رحمه الله « العلم الباطن سر من أسرار الله تعالى يقذفه في قلوب أحبابه » .

وقال رحمه الله « القرآن مصرح بأن التقوى مفتاح الهداية والكشف، وذلك علم من غير تعلم » .

وقال رحمه الله « العلم اللدني الذي ينفتح في سر القلب من غير سبب مألوف من خارج » .

وقال رحمه الله « إذا حضر في القلب ذكر شيء ، انعدم عنه ما كان فيه من قبل » .

وقال : «أعظم أنواع علوم المعاملة الوقوف على خدع النفس ، ومكائد الشيطان ، وذلك فرض عين على كل جسد وقد أهمله الخلق واستقلوا بعلوم تجر اليهم الوسواس ، وتسلط عليهم الشيطان » .

وقال رحمه الله « مهما رأيت العلماء ، يتغايرون ويتحاسدون ولا يتآنسون ، فاعلم أنهم اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة ، فهم خاسرون » .

وقال رحمه الله « كل من ادعى مذهب إمام ، ولا يسير سيرته ، فذلك الإمام خصمه ، يقول له : كان مذهبي العمل دون الحديث واللسان ، وكان الحديث واللسان لأجل العمل لا للهذيان ، فما بالك خالفتني في العمل والسيرة التي هي مذهبي الذي سلكته ، وذهبت فيه الى الله ، ثم ادعيت مذهبي كاذباً فهـــذا مدخل من مداخل الشيطان أهلك به أكثر العالم » .

وقال رحمه الله: « أشد الناس حماقة أقواهم اعتقاداً في فضل نفسه ، وأثبت الناس عقلاً أشدهم اتهاماً لنفسه » .

وقال رحمه الله « العامي إذا زنى أو سرق ، خير له من أن يتكلم في العلم ، فإنه من تكلم فيه من غير إتقان العلم في الله وفي دينه ، وقع في الكفر من حيث لا يدري ، كمن ركب في البحر ولا يعرف السباحة » .

وقال رحمه الله « أورع النـاس وأتقاهم وأعلمهم ، من لا ينظر الناس كلهم اليه بعين واحدة بل بعضهم بعين الرضـا ، وبعضهم بعين السخط . وعين الرضا عن كل عيب كليلة » .

وقال رحمه الله « مهما رأيت إنساناً سيء الظن بالله ، طالباً للعيوب فاعلم أنه خبيث في الباطن ، والمؤمن سليم الصدر في حق كافة الخلق » .

وقال رحمه الله « حقيقة الذكر لا تتمكن من القلب إلا بعد عمارته بالتقوى، وتطهيره من الصفات المذمومة ، وإلا فيكون الذكر حديث نفس ولا سلطان له على القلب ، ولا يدفع الشيطان » .

وقال رحمه الله « الروح أمر رباني ، ومعنى كونه ربانياً أنه من أسرار علوم المكاشفة ، ولا رخصة في إظهاره ، إذ لم يظهره الرسول ﷺ » .

وقال رحمه الله « الشهوة إذا غلبت على القلب ، ولم تتمكن من سويدائه ، فيستقر الشيطان في سويدائه ، وأما القلوب الخالية من الصفـــات المذمومة فيطرقها الشيطان ، لا للشهوات ، بل لخلوها بالغفلة عن الذكر ، وإذا عاد للذكر خنس » .

وقال رحمه الله « كما أنك تدعو ولا يستجاب لك،لفقد شرط الدعاء ، فكذا تذكر الله ولا يهرب الشيطان ، لفقد شروط الذكر » .

وقال رحمه الله « الشياطين جنود مجندة ، ولكل نوع من المعاصي شيطان ، يخصه ويدعو اليه » .

وقال رحمه الله « الصورة في عالم الملكوت تابعة للصفة ، فلا يرى المعنى القبيح إلا في الصورة القبيحة ، فيرى الشيطان في صورة نحو الكلب والضفدع والخنزير ، والملك في صورة جميلة ، فتكون تلك الصورة عنوان المعاني ومحاكية لها بالصدق ، وبذلك يدل القرد والخنزير في النوم على إنسان خبيث ، والشاة على إنسان سليم الباطن ، وكذا كل أنواع التعبير » .

وقال رحمه الله « خالص الرياضة وسرهـا ، ألا تتمتع النفس بشيء ، لا يوجد في القبر إلا بقدر الضرورة ، فيقتصر من أكله ونكاحه ولباســه وسكنه على قدر الحاجة والضرورة ، فإنه لو تمتع بشيء منه ألفه ، وإذا مات تمنى الرجوع الى الدنيا ، ولا يتمنى الرجوع اليها إلا من لا حظ له في الآخرة » .

وقال رحمه الله « النفس إذا لم تمنع بعض المباحات ، طمعت في المحظورات » .

وقال رحمه الله « المستقل بنفسه من غير شيخ ، كشجرة تنبت بنفسها ، فإنها تجف عن قرب ، وإن بقيت مدة وأورقت لم تثمر » .

وقال رحمه الله « النوم يقسي القلب ويميته ، إلا إذا كان بقدر الضرورة ، فيكون سبباً لمكاشفة أسرار الغيب » .

وقال رحمه الله « لا بد للسالك من ضبط الحواس إلا من قدر الضرورة ، وليس ذلك إلا بالخلوة في مكان مظلم ، فإن لم يكن ، فيلف رأسه في الجيب أو يتدثر بكساء ، أو إزار مثل هذه الحالة ، ليسمع نداء الحق ، ويشاهد جلال حضرة الربوبية ، أما ترى أن نداء المصطفى ﷺ بلغه ، وهو بهذه الصفة ، فقيل يا أيها المدثر ، يا أيها المزمل » .

وقال رحمه الله « البطن والفرج باب من أبواب النار ، وأصله الشبع ؛ والذل والانكسار باب من أبواب الجنة ، وأصله الجوع ؛ ومن أغلق باباً من أبواب النار ، فقد فتح باباً من أبواب الجنة لتقابلها ، فالقرب من أحدهما بعد عن الآخر » .

وقال رحمه الله « السعادة كلها في أن يملك الرجل نفسه ، والشقاوة كلها في أن تملكه نفسه » .

وقال رحمه الله « الشبع يمنع العبادة وإشراق القلب والفكر وينغص العيش ، والجوع يدفع ذلك كله ، لأن قلة الأكل تصحح البدن وبكثرته تحصل فضلة الأخلاط في المعدة والعروق » .

وقال رحمه الله « حد المراء كل اعتراض على كلام الغير باظهار خلل فيه ، والمجادلة قصد إفحام الغير وتعجيزه وتنقيصه بالقدح في كلامه ، ونسبته الى القصور والجهل فيه » .

وقال رحمه الله « من عود نفسه الفكر في جلال الله وعظمته ، وملكوت أرضه وسمائه ، صار ذلك عنده ألذّ من كل نعيم ، فلذة هذا في عجائب

الملكوت على الدوام ، أعظم من لذة من ينظر الى ثمار الجنة وبساتينها بالعين الظاهرة ، هذا حالهم وهم في الدنيا ، فما الظن عند انكشاف الغطاء في العقبى » .

وقال رحمه الله « إن كنت لا تشتاق الى معرفة الله فأنت معذور ، فالعنين لا يشتاق الى لذة الوقاع ، والصبي لايشتاق للملك ، والشوق بعد الذوق، ومن لم يذق لم يعرف ، ومن لم يعرف لم يشتق ، ومن لم يشتق لم يطلب ، ومن لم يطلب لم يدرك ، ومن لم يدرك بقي من المحرومين في أسفل سافلين » .

وقال رحمه الله « من فاته اللحاق بدرجة الأكابر في الدين لم يفته ثواب حبه لهم ، مهما أحب ذلك » .

وقال رحمه الله « الحسد ليس مظلمة يجب الاستحلال منها ، بل معصية بينك وبين الله ، وإنما يجب الاستحلال مما يجب على الجوارح » .

وقال رحمه الله « دنياك وآخرتك ، عبارتان عن حالتين من أحوال قلبك ، فالطرف الداني منها يسمى دنيا وهي كلها قبل الموت ، والمتأخر يسمى آخرة وهي ما بعده ، وكل مالك فيه حظ وشهوة عاجلة قبل الوفاة فهي الدنيا في حقك » .

وقال رحمه الله « لا يبقى مع العبد عند الموت إلا ثلاث صفات : صفاء القلب أعني طهارته من أدناس الدنيا ، وأنسه بذكر الله ، وحبه لله ؛ وطهارة القلب لا تحصل إلا بالكف عن شهوات الدنيا ، والأنس لا يحصل إلا بكثرة الذكر ، والحب لا يحصل إلا بالمعرفة ، ولا تحصل المعرفة إلا بدوام الفكر » .

وقال رحمه الله : « ليس الموت عدماً وانما هو الفراق لمحب ألفه للقدوم على الله » .

وقال رحمه الله : « معنى الربوبية التوحيد بالكمال ، والتفرد بالوجود على

سبيل الاستقلال ؛ والمنفرد بالوجود هو الله إذ لا موجود معه سواه ، فان ماسواه أثر من آثار قدرته لا قوام له بذاته ، بل هو قائم به » .

وقال رحمه الله : « من لم يطلع على مكايد الشيطان وآفات النفوس ، فأكثر عبادته تعب ضائع ، تفوت عليه الدنيا ويخسر في الآخرة » .

وقال رحمه الله « الكبر دليل الأمن ، والامن مهلك ، والتواضع دليل الخوف وهو مسعد » .

وقال رحمه الله « من ادوية الكبر ان يجتمع مع اقرانه في المحافل ، ويقدمهم ويجلس تحتهم ، وللشيطان هنا مكيدة ، وهو ان يقعد في صف النعال ، او يجعل بينه وبين اقرانه بعض الارذال ، فيظن انه متواضع وهو عين التكبر ، لإيهامه انه ترك مكانه بالاستحقاق فيكون تكبراً باظهار التواضع ، بل يقدم اقرانه ويجلس تحتهم ، ولا ينحط الى صف النعال » .

وقال رحمه الله « أساس السعادات كلها العقل ، والكياسة ، والذكاء ؛ وصحة غريزة العقل نعمة من الله في أصل الفطرة ، فاذا ماتت ببلادة أو حماقة فتتدارك له » .

وقال رحمه الله « كن من شياطين الجن في الأمان ، واحذر شياطين الانس فانهم أراحوا شياطين الجن من التعب في الاغواء والاضلال » .

وقال رحمه الله « علماء الآخرة يعرفون بسيماهم من السكينة ، والذلة ، والتواضع ، أما التمشدق ، والاستغراق في الضحك ، والحدة في الحركة والنطق ، فمن آثار البطر والغفلة ، وذلك من دأب ابناء الدنيا » .

وقال رحمه الله « من شرط من له حاجة ، أن لا يفطر ذلك النهار حتى تقضى ولو عند الغروب » . قال بعضهم : وقد جربناه فصح ، لأن الانسان اذا شبع ، فدعاؤه كسهم يخرج من غير وتر مشدود .

وقال رحمه الله « من الذنوب ما يورث سوء الخاتمة ، وهو ادعاء الرجل الولاية مع فقدها منه » .

وقال رحمه الله « ليس كل أحد له قلب » وقد سئل عن تفسير هـذا القول القطب السيد عبد الله باحداد ، شيخ بعض شيوخنا ، فأجاب بما فيه غاية التحقيق تركته لطوله ، وهو مذكور في آخر كتاب القصد والسداد .

وله رحمه الله دعاء عجيب الشان ، جربه أهل العرفان عند حلول الفاقة وهو هذا : « اللهم يا غني يا حميد يا مبدىء يا معيد ، يا رحيم يا ودود ، أغنني بحلالك عن حرامك وبطاعتك عن معصيتك ، وبفضلك عمن سواك » قال من ذكره بعد صلاة الجمعة وداوم عليه أغناه الله عن خلقه ، ورزقه من حيث لا يحتسب.

ورؤي رحمه الله في النوم فسئل عن حاله فقال : لولا هذا العلم الغريب لكنا على خير كثير . قال ابن عربي : فتأوله علماء الرسوم على ما كان عليه من علم هذا الطريق ، قصد إبليس بهذا الطريق الذي زينه لهم ، أن يعرضوا عن هذا العلم ، فيحرموا هذه الدرجات أتراه أمر بأن يطلب الحجاب عن الله تعالى » .

الفصل السادس عشر

« في بيان شيء من الشعر المنسوب له وما أنشده لنفسه »

قال ابن السبكي : أخبرنا الحافظ أبو العباس الأشعري ، إذناً خاصاً عن أبي الفضل احمد بن هبة الله ابن عساكر ، عن أبي المظفر عبد الرحيم ، أخبرنا والدي الحافظ أبو سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور ، أنشدنا أبو سعيد محمد بن أبي العباس الخليلي املاء بنوقان في الجامع ، أنشدنا الامام أبو حامد الغزالي رحمه الله .

أرفق يبال امرىء يمسي على ثقة ... أن الذي خلق الأرزاق يرزقه [1]

---

(١) السبكي يذكر صدرهذا البيت على شكل آخر . انظر الكتاب ص ١٠٧

فالعرض منه مصون لا يدنسه | والوجه منه جديد ليس يخلقه
ان القناعة من يحلل بساحتها | لم يلق في دهره شيئاً يؤرقه

قال و كتب أحمد بن أبي طالب المسند ، عن الحافظ ابي عبد الله محمد بن محمود ، عن ابي عبد الله محمد بن احمد بن سليمان الزهري ، أنشدني ابو محمد عبد الحق بن عبد الملك العبدري ، أنشدني ابو بكر العربي ، أنشدني أبو حامد الغزالي :

سقمي في الحب عافيتي | ووجودي في الهوى عدمي [1]
وعذاب ترتضون به | في فمي أحلى من النعم
ما لضر في محبتكم | عندنا والله من ألم

ومما ينسب للامام الغزالي أنه قال في أيام سياحته :

قد كنت عبداً والهوى مالكي | فصرت حراً والهوى خادمي
وصرت بالوحدة مستأنساً | من شر أصناف بني آدم
مافي اختلاط الناس خير ولا | ذو الجهل بالأشياء كالعالم
يا لائمي في تركهم جاهلاً | عذري منقوش على الخاتم

وكان نقش خاتمه « وما وجدنا لأكثرهم من عهد وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين » .

وبالسند الى الحافظ ابي عبد الله قال : قرأت على أبي قاسم بن اسعد البزار ، عن يوسف بن أحمد الحافظ ، أنشدنا محمد بن أبي عبد الله الجوهري ، قال أنشدنا لأبي حامد الغزالي رحمه الله :

فقهاؤنا كذبالة النبراس | هي في الحريق وضوءها للناس
حبر دميم تحت رائق منظر | كالفضة البيضاء فوق نحاس [2]

---

(١) ذكر السبكي هذه الابيات . انظر الكتاب ص ١٠٧
(٢) انظر الكتاب ص ١٠٧

وقال ابن السبكي أيضاً أخبرنا علي بن الفضل الحافظ أنشدني أبو محمد عبد الله ابن يوسف الآمدى ، أنشدني أمية بن أبي الصلت ، أنشدني أبو محمد التكريتي ، أنشدني أبو حامد الغزالي لنفسه :

حلت عقارب صدغه في خده ... قمراً يجل بها عن التشبيه
ولقد عهدناه يحل ببرجها ... ومن العجائب كيف حلت فيه[1]

وذكر ابن السمعاني في الذيل، والعماد في الخريدة له :

حلت عقارب صدغه في خده ... وحظيت منه بلثم خد أزهر
إني اعتزلت فلا تلوموا أنـــه ... أضحى يقابلني بوجه أشعر

قلت : ولشيخنا السيد القطب عبد الرحمن بن السيد مصطفى العيدروس أمتع الله به في هذا المعنى بيت واحد وهو مما سمعنا ، ومن لفظه ،و كتبته عنه بالطائف وقد أجاد :

وقيل لم اعتزلت فقلت لمـــا ... يقابلني بوجه أشعري

ومما أنشده الغزالى ببغداد في اثناء درس الاحياء ، ورواه عنـــه أبوسعيد النوقاني ، الآتي ذكره في الرواية عنه :

وحبب أوطان الرجال إليهم ... مآرب قضاها الفؤاد هنالكا
إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم ... عهود الصبا فيها فحنوا لذلكا

قال فبكا وأبكى الحاضرين .

ورآه بعضهم[2] في البرية ، عليه مرقعة ، وبيده ركوة وعكاز ، بعـد أن كان رآه يحضره في مجلسه ثلاثمائة مدرس ، ومائة من أمراء بغداد ، فقال يا إمام

---

(١) انظر الكتاب ص ٧ .

(٢) رويت هذه الحادثة عن القاضي ابن العربي انظر شذرات الذهب لابن العماد في مادة سنة ٥٠٥

أليس تدريس العلم أولى فنظر اليه شذراً وقال: لما بزغ بدر السعـــادة في فلك الارادة، وجنحت شمس الافول الى مغرب الوصول، وأنشد:

تركت هوى ليلى وسعدى بمنزل   وعدت الى مصحوب أول منزل
فنادتني الأشواق مهـلاً فهذه   منازل من تهوى رويدك فانزل

ومما ينسب اليه، هذه الأبيات في أسرار الفاتحة رحمة الله عليه:

إذا ماكنت ملتمساً لرزق   ونيل القصد من عبد وحر
وتظفر بالذي ترجو سريعـــاً   وتأمن من مخالفة وغـدر
ففاتحة الكتاب فان فيها   لمـــا أملت سراً أي سر
فالزم ذكرها عقبى مساء   وفي صبح وفي ظهر وعصر
وتمسي قارئاً في كل ليل   إلى التسعين تتبعها بعشر
تنـل ماشئت من عز وجاه   وعظم مهابة وعلو قـــدر
وستر لاتغـيره الليـــالي   بحادثة من النقصان تجرى
وتوقـــير وأفراح دواماً   وتأمن من مخاوف كل شر
ومن عري وجوع وانقطاع   ومن بطش لذي نهي وأمر

الفصل السابع عشر: في بيان بعض مااعترض عليه والجواب عنه.

قال الفخر ابن عساكر: ومما كان يعترض به عليه، وقوع خلل من جهة النحو في أثناء كلامه، ورجع فيه فانصف من نفسه، واعترف بأنه مامارس ذلك الفن واكتفى بما يحتاج اليه من كلامـــه، مع أنه كان يؤلف الخطب، ويشرح الكتب بالعبارات الرائعة التي تعجز الادباء والفقهاء عن أمثالها، وأذن للذين يطالعون كتبه فيعثرون على خلل من جهة اللفظ أن يصلحوه ويعذروه، فما كان قصده الا المعاني وتحقيقها، دون الالفاظ وتلفيفها.

ومما نقم عليه ماذكر من الألفاظ المستبشعة بالفارسية ، في كتابه كيمياء السعادة والعلوم ، وشرح بعض الصور والمسائل ، بحيث لايوافق مراسم الشرع ، وظواهر ماعليه قواعد الاسلام ، وكان الأولى والحق أحق مايقال ترك ذلك التصنيف ، والاعراض عن الشرح به ، فان العوام ربما لا يحكون أصول القواعد بالبراهين والحجج ، فإذا اسمعوا شيئاً من ذلك تخيلوا منه ماهو المضر بعقائدهم ، وينسبون ذلك إلى مذاهب الاوائل ، مع أن المنصف اللبيب ، إذا رجع إلى نفسه ، علم أن أكثر ماذكره ، مما رمز اليه إشارة الشرع وان لم يبح به ، ويوجد أمثاله في كلام مشايخ الطريقة مرموزة ومصرحاً بها ، متفرقة ، وليس لفظ منه إلا وكما يشير أحد وجوهه بكلام موهم ، فانه يشعر سائر وجوهه بما يوافق عقائد أهل الملة ، فلا يجب إذاً حمله إلا على مايوافق ، ولا ينبغي أن يتعلق به في الرد عليه متعلق ، إن أمكن أن يبين له وجهاً من الصحة يوافق الأحوال ، على أن هذا القدر يحتاج الى من يظهره ويقوم به ، وكان الاولى ن يترك الافصاح بذلك والله اعلم .

هذا مايتعلق بالطعن عليه مجملاً في سائر كتبه .

وكذلك أنكر عليه ابن الصلاح قوله في أول المستصفى ، هـذه مقدمة العلوم كلها ؛ ومن لا يحيط بها فلا ثقة له بعلومه أصلاً .

وقد نحامنحاه ابن القيم ؛ في مفتاح دار السعادة ، وأقام النكير عليه ؛ وعلى من يقول بعلم المنطق ؛ مما سيأتي بعضه في الباب الثاني . وقد أجاب عنه التقي السبكي وأوسع فيه مما نقله عنه ولده التاج في الطبقات فراجعه . وأما ما يتعلق بكتابه الاحياء فسيأتي كلام المنكرين عليه والجواب عنه عند ذكر هذا الكتاب في مصنفاته .

الفصل الثامن عشر في بيان كونه مجددا للقرن الخامس

ولنذكر اولاً الحديث الذي استنبط منه العلماء التجديد .

روى أبو داوود في الملاحم ؛ والحاكم في الفتن وصححه ؛ والبيهقي في كتاب المعرفة له ؛ كلهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ؛ رفعه ،«ان الله تعالى يبعث لهذه الامة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها» قال العراقي وغيره : سنده صحيح ؛ أي يقيض لها على رأس كل مائة من الهجرة أو غيرها ، من يبين السنه من البدعة ؛ ويكثر العلم وينصر أهله ؛ ويذل أهل البدعة . قالوا ولايكون الا عالماً بالعلوم الدينية الظاهرة والباطنة . فكان في المائة الاولى عمر بن عبد العزيز ؛ والثانية الشافعي ؛ والثالثة الأشعري أو ابن سريج ؛ والرابعة الاسفرايني أو الصعلوكي أو الباقلاني ؛ والخامسة حجة الاسلام الغزالي . وقال ابن السبكي: يتعين عندي تقديم ابن سريج في الثالثة على الاشعري ؛ فإن الأشعري وإن كان أيضاً شافعي المذهب ؛ إلا أنه رجل متكلم ؛ كان قيامه للذب عن اصول العقائد دون فروعها ؛ وكان ابن سريج فقيهاً وقيامه للذب عن هـذا المذهب . فكان اولى بهذه المرتبة ؛ لاسيما وان وفاة الأشعري تأخرت عن رأس القرن الى بعد العشرين . وقد صح أن هذا الحديث ذكر في مجلس ابن سريج ؛ فقام شيخ من أهل العلم ، فقال : أبشر أيها القاضى ، فإن الله بعث على رأس المائة الاولى عمر بن عبد العزيز ، وعلى الثانيه الشافعي ، وبعثك على رأس الثلاثمائة ثم انشأ يقول :

اثنان قد مضيا فبورك فيهما عمر الخليفة ثم خلف السؤدد
الشـافعي الألمعي محمد إرث النبوة وابن عم محمد
أرجو أبا العباس أنك ثالث من بعدهم سقيـاً لتربة أحمد

فصاح ابن سريج فيما يحكى وبكى ، وقال لقد نعى إليّ نفسي ، وقيل

إنه مات في تلك السنة . وقال : وأما الرابعـــة فقد قيل أن الشيـخ أبا حامد الاسفرايني هو المبعوث فيها ، وقيل : بل الاستاذ سهل الصعلوكي ، وقد كان ممن لا يدفع عن هذا المقام بوجه ، يتضح ، لمشاركة الشيخ أبي حامد في الفقه ، وقرب الوفاة من رأس المائة ، بخلاف الأشعري مع ابن سريج . قال: والخامس الغزالي وقد قال في قصيدة نظمها في أسمائهم :

والخامس الحبر الإمام محمد هو حجة الإسلام دون تردد

وكذلك ذكره الحافظ جلال الدين السيوطي في أرجوزة له فقال :

والخامس الحبر هو الغزالي وعده ما فيـه من جدال

وقال فيها :

والشرط في ذلك أن تمضي المائة وهو على حياته بين الفئة
يشار بالعلم الى مقامه وينصر السنـة في كلامه
وأن يكون جامعاً لكل فن وأن يعم علمه أهل الزمن
وأن يكون في حديث قد روي من أهل بيت المصطفى وقد قوي
وكونه فرداً هو المشهور قـد نطق الحديث والجمهور

ونقل العراقي ، عن البعض ، أنه جعل في الرابعة أبا اسحق الشيرازي ، وفي الخامسة أبا طاهر السلفي ، ولا مانع من الجمع فقد يكون المجدد أكثر من واحد ؛ قال الذهبي : هذا للجمع لا للمفرد ، فتقول مثلاً على رأس الثلاثمائة ابن سريج في الفقه ، والأشعري في الأصول ، والنسائي في الحديث ؛ وقال في جامع الأصول : قد تكلموا في تأويل هذا الحديث فكل أشار الى العالم الذي هو في مذهبه ، وحمل الحديث عليه ، والأولى العموم ؛ فإنه يقع على الواحد والجمع ، ولا يختص أيضاً بالفقهاء ، فإن انتفاع الأمة أيضاً يكون بأولي الأمر ، واهل الحديث ، والقراء ، والوعاظ ؛ لكن المبعوث ينبغي أن يكون

مشاراً إليه ، في كل من هذه الفنون . في رأس الأولى من أولي الأمر عمر بن عبد العزيز ، ومن الفقهاء محمد الباقر ، والقاسم بن محمد ، وسالم بن عبد الله ، والحسن ، وابن سيرين ؛ ومن القراء ابن كثير ، ومن المحدثين الزهري . وفي رأس الثانية من أولي الأمر المأمون ، ومن الفقهاء الشافعي ، واللؤلؤي من الحنفية ، وأشهب من المالكية ، وعلي بن موسى الرضي من الإمامية ، والحضرمي من القراء ، وابن معين من المحدثين ، والكرخي من الزهاد . وفي الثالثة من أولي الأمر المقتدر ، ومن الفقهاء ابن سريج ، ومن الحنفية الطحاوي ، ومن المتكلمين الباقلاني ، وابن فورك ، ومن المحدثين الحاكم ، ومن الزهاد الدينوري ؛ وهكذا يقال في بقية القرون . ومن كلام النووي ما يشير الى ذلك . وأيده الحافظ بن حجر في الفتح وقال كل من اتصف بشيء من تلك الأوصاف عند رأس المائة هو المراد تعدد أم لا . والبحث في هذا المقام يستدعي لذكر مسهب ولكن اقتصرنا على المقصود منه .

الفصل التاسع عشر : في ذكر مصنفاته التي سارت بها الركبان

قال المناوي : نقل النووي في بستانه ، عن شيخه التفليسي ، قال نقلاً عن بعضهم ، أنه أحصيت كتب الغزالي التي صنفها ، ووزعت على عمره فخص كل يوم أربعة كراريس ، قلت : وهذا من قبيل نشر الزمان لهم وهو من أعظم الكرامات . وقد وقع كذلك لغير واحد من الأئمة كابن جرير الطبري ، وابن شاهين ، وابن النقيب ، والنووي ، والسبكي ، والسيوطي وغيرهم .

ثم إن الامام الغزالي رحمه الله تعالى له تصانيف في غالب الفنون ، حتى في علوم الحرف ، واسرار الروحانيات ، وخواص الاعداد ، ولطائف الأسماء الالهية وفي السيمياء وغيرها على ماسيأتي بيانها إن شاء الله تعالى .

فمن أشرف مصنفاته ، وأشهرها ذكراً وأعظمها قدراً ، هذا الكتاب المسمى:
(إحياء علوم الدين)[1]

---

(١) يذكر الزبيدي هنا شرحاً عن كتاب الإحياء وما انكر عليه بعض العلماء من مسائله ثم يعقد فصلا لمن خدم الاحياء أو اختصره . وقد اكتفيت بتثبيت كلامه عن الذين خدموا الإحياء او اختصروه مكتفياً بما اوردناه من كلام الذهبي والسبكي في الانكار عليه والدفاع عنه .

بيان من خدم الإحياء : لم أر من شرح هذا الكتاب ولا تعرض أحد لايضاح سياقه المستطاب الا ما كان من المصنف نفسه لما بلغه إنكار بعض المنكرين على مواضع فقد كتب في الرد عليهم كتاباً صغيراً أسماه « الاملاء على الاحياء » وسيأتي ذكره في تعداد مصنفاته ، وإنما خرج أحاديثه الامام زين الدين ابو الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي ، رحمه الله تعالى ، في كتابين أحدهما : كبير الحجم في مجلدات وهو الذي صنفه في سنة ٧٥١ هـ وقد تقرر فيه الوقوف على بعض أحاديثه ، ثم ظفر بكثير مما عزب عنه الى سنة ٧٦٠ ، ثم اختصره في مجلد وسماه « المغني عن حمل الاسفار » اقتصر فيه على ذكر طريق الحديث ، وصحابيه ، ومخرجه ، وبيان صحته ، وضعف مخرجه ، وحيث كرر المصنف الحديث ، اكتفى بذكره في أول مرة ، وربما اعاده لغرض من الاغراض .

ثم أتى تلميذه الحافظ شهاب الدين بن حجر العسقلاني ، فاستدرك عليه ما فاته في مجلد .

وصنف الشيخ قاسم بن قطلوبغا الحنفي ، كتاباً سماه تحفة الاحياء ، فيما فات من تخريج أحاديث الإحياء .

ولابن السبكي كلام على بعض أحاديثه المتكلم فيها سرده على ترتيب الأبواب ، في آخر ترجمته من طبقاته الكبرى .

بيان من اختصر كتاب الاحياء : أول من اختصره اخو المؤلف أبو الفتوح أحمد بن محمد الغزالي توفي ٥٢٠ وسماه لباب الإحياء ثم اختصره احمد بن موسى الموصلي ، المتوفي سنة ٦٢٢ ، ثم محمد بن سعيد اليمني ، ومحمد بن أبي الخير اليمني ، ومحمد بن عمر بن عثمان البلخي وسماه « عين العلم » وعبد الوهاب بن علي الخطيب المراغي ، وسماه « لباب الإحياء » ألفه في بيت المقدس وهو عندي . والشمس محمد بن علي بن جعفر العجلوني المشهور بالبلالي وهو شيخ خانقاه سعيد السعيد بمصر توفي ٨٢٠ قال الحافظ السخاوي هو أحسن المختصرات . والجلال السيوطي الحافظ وآخرون .

حرف الالف : (إحياء علوم الدين) « الإملاء على مشكل الاحياء » أجاب فيه عن بعض ما اعترض عليه في كتابه ويسمى أيضاً الاجوبة المسكتة عن الاسئلة المبهتة ، وهو مؤلف لطيف عندي .

ومنها « الاربعين » وهو قسم من كتابه المسمى بجواهر القرآن ، وقد أجاز أن يكتب مفردا فكتبوه وجعلوه مستقلا وهو عندي .

ومنها كتاب أسماء الله الحسنى .

ومنها « الاقتصاد في الاعتقاد » .

ومنها « إلجام العوام عن علم الكلام » .

ومنها اسرار معاملات الدين .

ومنها « أسرار الانوار الإلهية بالآيات المتلوة » وهو مرتب على ثلاثة فصول.

ومنها اخلاق « الأبرار والنجاة من الاشرار »

ومنها « أسرار اتباع السنة »

ومنها « أسرار الحروف والكلمات »

ومنها « ايها الولد » وهي فارسية عربها بعض العلماء . وسماه بهذا الاسم مشهور

حرف الباء : « بداية الهداية » وهو مختصر في الموعظة ، ذكر فيه ما لا بد منه للعامة من المكلفين ، من العادات والعبادات.

ومنها « البسيط في فروع المذهب » وهو كالمختصر لنهاية المطلب لشيخه إمام الحرمين ، الذي قال فيه ابن خلكان ماصنف في الاسلام مثله ،

ومنها « بيان القولين » للشافعي .

ومنها « بيان فضائح الاباحية »

ومنها بدائع « الصنيع »

حرف التاء : « تنبيه الغافلين » .

ومنها « تلبيس ابليس »

ومنها « تهافت الفلاسفة » صدره بأربع مقدمات قد ردّ فيها على الفلاسفة ، ثم ذكر بعدها المسائل التي تناقض مذهبهم فيها ، وهي عشرون مسألة ، وذكر في خاتمته ما يقطع القول بكفرهم من ثلاث وجوه . وقد صنف في الرد عليه أحد علماء الاندلس القاضي ابو الوليد محمد بن أحمد بن رشد[1] ، قال فيه في آخره: لا شك أن هذا الرجل أخطأ على الشريعة ، كما أخطأ على الحكمة ، ولولا ضرورة طلب الحق ، ما تكلمت في ذلك . ثم تكلم فيما بعد في المحاكمة بينهما من علماء الروم مصطفى بن يوسف البرموني ، المعروف بخواجة زادة ، والمولى علاء الدين علي الطرطوسي ؛ وعلى الأول منها تعليقة لابن كمال باشا

ومنها « التعليقة في فروع المذهب » كتبها بجرجان عن الاسماعيلي

ومنها « تحصين الادلة »

ومنها « تفسير القرآن العظيم »

ومنها « التفرقة بين الايمان والزندقة » ذكره عياض في آخر الشفاء .

حرف الجيم : « جواهر القرآن » ذكر فيه أنه ينقسم الى علوم وأعمال ظاهرة وباطنة والباطنة إلى تزكية وتحلية ، فهي أربعة أقسام . وكل قسم يرجع إلى عشرة أصول ، فيشتمل على أصول القرآن ؛ وهو عندي .

حرف الحاء : « حجة الحق »

ومنها « حقيقة الروح »

ومنها « حقيقة القولين »

حرف الخاء : « خلاصة الرسائل الى علم المسائل » في فروع المذهب واحد الكتب المشهورة ذكر فيها انه اختصره من مختصر المزني وزاد عليه

حرف الراء : « رسالة الاقطاب »

---

(١) كتاب تهافت التهافت لابن رشد.

ومنها « رسالة الطير »

ومنها « الرد على من طغى »

ومنها « الرسالة القدسية بأدلتها البرهانية » في علم الكلام ، كتبها لأهل القدس وقد شرحها المصنف .

حرف السين : « السرّ المصون » وهو مؤلف صغير رتب فيه الآيات القرآنيه على أسلوب غريب ، يذكر بعد كل جملة منها ، أعداؤنا ان يصلوا الينا بالنفس ، ولا بالواسطة ، لا قدرة لهم على إيصال السوء إلينا ، بمحال من الاحوال

حرف الشين : « شرح دائرة علي بن ابي طالب » المسماة نخبة الاسماء وهو مشهور بين أيدي الناس

ومنها « شفاء الغليل في بيان مسألة التعليل » رتبه على مقدمة وخمسة اركان ، وهو عندي . المقدمة في بيان معاني القياس والعلة والدلالة ، الركن الأول في إثبات علة الأصلة ، الثاني في العلة ، الثالث في الحكم ، الرابع في القياس ، الخامس في الفرع الملحق بالأصل .

حرف العين : « عقيدة المصباح »

ومنها « عجائب صنع الله »

ومنها «عنقود المختصر» وهو تلخيص المختصر المقتصر من المزني لأبي محمد الجوني

حرف الغين : « غاية الغور في مسائل الدور » ألفها في المسألة السريجية على عدم وقوع الطلاق ثم رجع وافتى بوقوعه

ومنها « غور الدور » في المسألة المذكورة وهو المختصر الاخير ألفه ببغداد سنة ٤٨٣

حرف الفاء : « الفتاوى » مشتملة على مائة وتسعين مسألة غير مرتب

« فاتحة العلوم » وهو مشتمل على فصلين

« فضائح الإباحية »

« الفكرة والعبرة »

« فواتح السور »

« الفرق بين الصالح وغير الصالح » ذكره في كتابه نصيحة الملوك

حرف القاف : « القانون الكلي »

ومنها « قانون الرسول »

ومنها « القربة » إلى الله عز وجل

ومنها « القسطاس المستقيم » مختصر جعله ميزاناً لإدراك حقيقة المعرفة

« قواعد العقائد » وهو في علم الكلام شرحه السيد ركن الدين الاسترابادي، والعلامة محمد أمين بن صدر الدين الشرواني

« الرد الجميل على من غير الانجيل »

حرف الكاف : « كيمياء السعادة والعلوم » بالفارسية وهو كتاب كبير يقال إنه ترجم فيه كتابه الإحياء ، وقد رأيته بمكة ، وقد تكلم عليه في مواضع منه تقدمت الاشارة إليه . وكتاب آخر صغير بالعربية نحو أربعة كراريس سماه كذلك وهو عندي

« كشف علوم الآخرة »

« كنز العدة »

حرف اللام : « اللباب المنتحل في الجدل »

حرف الميم : « المستصفى في أصول الفقه » مؤلف ضخم رتبه على مقدمة ، وأربعة أقطار ، وخاتمة . فالمقدمة فيها التوطئة والتمهيد ، والقطر الأول في الاحكام المشتملة على لباب المقصود ، الثاني في الأدلة الحكمية ، الثالث في ذكر الاشتهار

والمناسبة ، والرابع في الاستمرارات ، والخاتمة في الايقاعات . وذكر في أوله أنه صنفه قبل الاحياء . واختصره أبو العباس أحمد بن محمد الشبلي ، المتوفى سنة ٦٥١، وشرحه الفاضل أبو علي الحسن بن عبد العزيز الفهري المتوفي سنة ٧٧٦ ، وعليه تعليقة لسليمان بن داود الغرناطي المتوفي سنة ٨٣٢ .

« المنحول في الأصول » قال ابن السبكي ألفه في حياة أستاذه إمام الحرمين ، قلت : والذي يقتضي سياق المستصفى في أوله ،أنه متأخر عن الاحياء و كيمياء السعادة وجواهر القرآن ، لأنه بعد ما ذكر هذه الكتب الثلاثة قال : ثم ساقني التقدير الإلهي إلى التصدر للتدريس ، فكتبت من تقريري في علم أصول الفقه ، فحصلوا تصنيفاً على طريق لم يقع مثله في تهذيب الأصول ، فلما كملوه عرضوه علي ولم أخيب سعيهم ، وسميته المنحول . وللشيخ شمس الأئمة الكردي الحنفي في الرد عليه مصنف لطيف ، وهو عندي .

المآخذ في الخلافيات بين الحنفية والشافعية .

المبادىء والغايات في أسرار الحروف المكنونات .

« المجالس الغزالية » ذكر ابن السبكي ، أنه لما قعد مجالس الوعظ ببغداد ، ازدحم الناس عليه ، فكان يدون مجالس وعظه من وراء الناس ، الشيخ صاعد ابن فارس ، المعروف بابن اللبان ، فبلغت مائة وثلاثة وثمانين مجلساً ، ثم قرأها بعد ذلك عليه فأجاز بها ، بعد أن صححها . فبيضها في مجلدين ضخمين .

« مقاصد الفلاسفة » عرف فيه مقاصدهم وحكى من معلوماتهم .

المنقذ من الضلال والمفصح عن الاحوال بث فيه غاية العلوم وأسرارها، والمذاهب وأغوارها، ورد فيه على الحكماء والفلاسفة ونسبهم الى الكفر والضلال وهو عندي .

معيار النظر

معيار العلم في المنطق .

« محك النظر »

« مشكاة الانوار في لطائف الاخبار » في الموعظة حصر مقصوده في ثمانية وأربعين باباً ، قال في أوله : انكشف لأرباب القلوب ، أن لاوصول للسعادة للانسان ، الا باخلاص العلم والعمل للرحمن ، فسنح في خاطري ، أن أجمع كتاباً جامعاً لجمع أشياء من آيات القرآن العظيم ، وسنن الرسول عليه الصلاة والسلام ، وكلمات الأولياء ، ونكت المشايخ رحمهم الله ، وحكم أهل العرفان ، وأخذت من كل ما يشرق القلب اليه سبحانه وتعالى . ويقطع لذة النفس عن الدنيا وشهواتها ، ويرغبها في الآخرة ودرجاتها ، الى آخر ما قال ، وهو عندي .

« المستظهري في الرد على الباطنية .

« ميزان العمل »

« مواهم الباطنية » قال ابن السبكي : وهو غير المستظهري في الرد عليهم .

« المنهج الأعلى »

« معراج السالكين » وهو مختصر أورد فيه المواعظ والتذكير .

« المكنون في الأصول »

« مسلم السلاطين »

« مفصل الخلاف في أصول القياس »

« منهاج العابدين الى جنة رب العالمين » قيل : هو آخر تأليفه رتبه على سبعة عقبات وقال في أوله : صنفنا في قطع طريق الآخرة ، وما يحتاج اليه من علم وعمل كتبا ، كاحياء العلوم ، والقربة الى الله عز وجل ، فلم يحسنوها . فأيما كلام أصح من كلام رب العالمين ، فقد قالوا أساطير الأولين ، واقتضت الحال الى كافة خلق الله بعين الرحمة ، وترك المماراة ، فابتهلت الى الله سبحانه ، أن يوفقني الى كتاب يقع عليه الاجماع ، ويحصل بقراءته الانتفاع ، فأجابني وأطلعني بفضله وكرمه ،

على أسرار ذلك، وألهمني ترتيباً عجيباً لم أذكره في الـــتي تقدمت. وقد شرحه شمس الدين البلاني، شرحين كبيراً وصغيراً، ثم اختصر المنهاج في جزء سماه بغية الطالبين، قلت: ولم يذكره ابن السبكي في تعداد مصنفاته. ورأيت في كتاب المسامرة للشيخ الأكبر محي الدين بن عربي قدس سره، مانصه، أن الشيخ أبا الحسن على بن خليل السبتي، كان عالماً بالحقيقة، عارفا مخمول الذكر، رأيته بسبتة وتباحثت معه، ورأيت له منه تصانيف، منها منهاج العابدين الذي يعزى لأبي حامد الغزالي، وليس له. وهو غريب يستفاد.

حرف النون

« نصيحة الملوك » فارسي نقله بعضهم الى العربية وسماه التبر المسبوك.

حرف الواو

« الوجيز في الفروع » أخذه من البسيط والوسيط وزاد فيه أموراً. وهو كتاب جليل عمدة في المذهب، شرحه الفخر الرازي، وأبو الثناء محمود بن أبي بكر الارموي، والعماد أبو حامد محمد بن يونس الأربلي، وأبو الفتوح العجلى، وأبو القاسم عبد الكريم بن محمد القزويني الرافعي، وسماه العزيز على الوجيز، وقد تورع بعضهم فسماه فتح العزيز؛ وقد اختصر النووي في شرح الرافعي كتابا سماه الروضة، وقد خدم الوجيز علماء كثيرون يقال إن له نحو سبعين شرحاً، وقد قيل لو كان الغزالي نبياً لكان معجزته الوجيز. وأما من خرج أحاديثه فابن الملقن في سبع مجلدات، سماه البدر المنير، ثم اختصره في أربع مجلدات سماه الخلاصة، ثم لخصه وسماه المنتقى في جزء، وهو عندي. ولخصه أيضاً الحافظ ابن حجر، ومنهم البدر بن جماعة، والبدر الزركشي، والشهاب البوصيري، والجلال السيوطي، وآخرون.

« الوسيط في فروع الفقه » وهو ملخص من البسيط مع زيادات، وهو أحد

الكتب الخمس المتداولة ، شرحه تلميذه محمد بن يحيى النيسابوري ، سماه المحيط ، في ستة عشر مجلداً ، وشرحه نجم الدين أحمد بن علي بن الرفق في ستين مجلداً ، وسماه المطلب ، وشرحه النجم القمولي ، وسماه البحر المحيط ، وشرحه الظهير جعفر بن يحيى التزيتي ، ومحمد بن عبد الحاكم ، والعز عمر بن أحمد المدلجي ، وأبو الفتوح العجلي ، وابراهيم بن عبد الله بن الدم ، وابن الصلاح من الربع الأول في ضربين ، والكمال أحمد بن عبد الله الحلي الشهير بابن الاستاذ ، في أربع مجلدات ويحيى بن أبي الخير اليمني ، وعليه حواش للعماد عبد الرحمن بن علي المصري القاضي ، وخرج أحاديث الوسيط السراج بن الملقن ، سماه تذكرة الاخيار بما في الوسيط من الاخبار في مختصر ، واختصره النور ابراهيم بن هبة الله الأسنوي ، وشرح فرائضه فقط ابراهيم بن اسحق المناوي ، وقد مدح كتبه الأربعة أبو حفص عمر ابن عبد العزيز بن يوسف الطرابلسي فقال:

هذب المذهب حبر ... حسن الله خلاصه
بسيط ووسيط ... ووجيز وخلاصه

حرف الياء

« ياقوت التأويل في تفسير التنزيل » أربعون مجلداً .

تنبيه : (كتب ليست للغزالي) اعلم أنه قد عزي الى الشيخ أبي حامد الغزالي كتب ، وقد صرح أهل التحقيق أنها ليست له. من جملتها :

« السر المكتوم في اسرار النجوم » ونسب هذا الكتاب الى الإمام الفخر ، فأنكر كونه له أيضاً ، لكن أصحاب الروحانيين ، وأهل التصحيح ينقلون منه أشياء كثيرة بقولهم قال الفخر الرازي ، في كتابه السر المكتوم في اسرار النجوم كذا وكذا. قال صاحب تحفة الارشاد : وهو موضوع عليه .

ومنها « كتاب تحسين الظنون » وله فيه :

لا تظنوا الموت موتاً وإنه   لحياة وإنه لغاية المنى
أحسنوا الظن برب راحم   تشكروا السعي وتأتوا أمنا
ما أرى نفسي إلا أنتم   وإعتقادي أنكم أنتم أنا

وقد صرح الشيخ الأكبر أنه موضوع .

ومنها « كتاب النفخ والتسوية » فإنه كذلك موضوع عليه .

ومنها « المضنون به على غير أهله » قال ابن السبكي : ذكر ابن الصلاح أنه منسوب اليه وقال : معاذ الله أن يكون له ، وبين كون سببه مختلقاً موضوعاً عليه ، والأمر كما قال. واشتمل على التصريح بقدم العالم ، ونفي علم القديم بالجزئيات ، وكل واحد من هذه يكفر الغزالي قائلها هو وأهل السنة أجمعون ، فكيف يتصور أنه يقولها ؛ وهو عندي . وفي المسامرة أنه من تأليف علي بن خليل السبتي . وكذلك صرح صاحب تحفة الارشاد بأنه موضوع عليه وقد صنف أبو بكر محمد بن عبد الله المالقي كتابا في رده وتوفي في سنة ٧٥٠ .

الفصل العشرون في بيان من تتلمذ عليه وتفقه به وصحبه وروى عنه :

وفي أثناء ذلك نورد بعض اسانيدنا للمصنف .

فمنهم القاضي أبو نصر أحمد بن عبد الله بن عبد الرحمن الخمقري ، منسوب الى خمسة قرى وتعرف بسيخ ربه . ولد سنة ٤٦٦ هـ وتفقه بطوس على أبي حامد الغزالي ، وسمع الحديث من آخرين توفي سنه ٥٤٤ .

ومنهم الإمام أبو الفتح أحمد ، بن علي ، بن محمد ، بن برهان ، بفتح الموحده ، الاصولي . كان حنبلياً ثم انتقل وتفقه على الشاشي ، وأبي حامد الغزالي ، والكيا . وكان يدرس في النظامية في أنواع العلوم ، وكان يدرس لهم في الإحياء في نصف

الليل ، وقد سمع الحديث من ابن البطر ، وأبي عبد الله النعالي ، وسمع البخاري قراءة على أبي طالب الزيني . ولد سنة ٤٧٦ ، وتوفي سنة ٥١٨ .

ومنهم أبو منصور محمد ، بن اسماعيل ، بن الحسين ، بن القاسم العطاري الطوسي الواعظ ، الملقب بحفدة توفي سنة ٤٨٦ ، وتفقه بطوس ، على أبي حامد الغزالي ، وبمرو علي أبي بكر السمعاني ، وسمع من البغوى كتبه ، وأبي الفتيان الدهستاني الحافظ توفي بمرو سنة ٥٧٣ .

ومنهم السيد أبو سعيد محمد بن أسعد بن محمد النوقاني ، تفقه علي أبي حامد الغزالي ، وقتل في مشهد علي بن موسى الرضي توفي سنة ٥٥٤ هـ في واقعة النغر .

ومنهم أبو عبد الله محمد ، بن عبد الله ، بن تومرت المصمودي ، الملقب بالمهدي ، صاحب دعوة سلطان المسلمين ، عبد المؤمن ، بن علي ، ملك المغرب . دخل المشرق ، فتفقه علي أبي حامد الغزالي ، والكيا ، وأخباره طويلة ذكرها الاخباريون .

ومنهم أبو حامد محمد ، بن عبدالملك ، بن محمد الجوزقاني ، الاسفراييني ، تفقه على أبي حامد الغزالي ببغداد ، وسمع ابن أبي عبد الله ، الحميدي الحافظ ، لقيه ابن السمعاني بأسفرايين .

ومنهم أبو عبد الله محمد ، بن على ، بن عبد الله العراقي ، تفقه على أبي حامد الغزالي ، والكيا ، والشاشي ، وبقي بعد الأربعين وخمسمائة .

ومنهم أبو سعيد محمد ، بن علي الجاواني ، الكردي ، حدث بكتاب إلجام العوام للغزالي ، عنه ، وقرأ المقامات الحريرية على مؤلفها .

ومنهم الإمام أبو سعيد محمد ، بن يحيى ، بن منصور النيسابوري ؛ ولد سنة ٤٧٦ وهو من أشهر تلامذة أبي حامد الغزالي ، تفقه عليه ، وشرح كتابه البسيط ، وسمع الحديث من أبي حامد بن عبدوس ، ونصر الله الخشناني ، وعليه

تفقه الموفق الخوشاني ، المدفون تحت رجلي الإمام الشافعي بمصر . استشهد في رمضان سنة ٥٤٨ في واقعة النفر .

ومنهم أبو طاهر ، إبراهيم بن المطهر الشيباني ، حضر دروس إمام الحرمين بنيسابور ، ثم صحب الغزالي ، وسافر معه الى العراق ، والحجاز ، والشام ، ثم عاد الى وطنه بجرجان ، وأخذ في التدريس والوعظ . قتل شهيداً سنة ٥١٣ .

ومنهم أبو الفتح نصر ، بن محمد ، بن إبراهيم الأذربيجاني ، المراغي ، الصوفي ، حكى عن أبي حامد الغزالي وغيره ، حكى عنه أبو سعد بن السمعاني ، قال : سمعت أبا الفتوح نصر بن محمد بن ابراهيم المراغي إملاء ، بأصل طبرستان ، يقول : اجتمع الأئمة أبو حامد الغزالي ، واسماعيل الحاكمي ، وإبراهيم الشباكي ، وأبو الحسن البصرى ، وجماعة كثيرة من أكابر الغرباء ، في مهد عيسى عليه السلام . وأنشد فقال كهذين البيتين :

فديتك لولا الحب كنت فديتني ... ولكن بسحر المقلتين سبيتني
أتيتك لما ضاق صدري من الهوى ... ولو كنت تدري كيف شوقي أتيتني

فتواجد أبو الحسن البصري وجدا أثر في الحاضرين ، ودمعت العيون ، ومزقت الجيوب ، وتوفي محمد الكازوني من بين الجماعة في الوجد ، قال المراغي : وكنت معهم حاضراً وشاهدت ذلك .

ومنهم ابو عبد الله الحسين ، بن نصر ، بن محمد ، بن الحسين الجهني الموصلي ، تفقه على الغزالي ، وسمع من طراد الزينبي ، وابن البطر ، توفي سنة ٥٥٢ .

ومنهم خلف بن أحمد النيسابوري ، ممن تفقه على الغزالي ، وله عنه تعليقة ، ذكره ابن الصلاح في مشكل الوسيط ، وقال : بلغني أنه توفي قبل الغزالي .

ومنهم أبو الحسن سعد الخير ، بن محمد ، بن سهل ، بن سعد الأنصارى ،

البلنسي ، المحدث ، أحد السياحين ، تفقه ببغداد على الغزالي ، وسمع بها من طراد ، وابن البطر ، روى عنه السمعاني ، وابن الجوزي ، وابنته فاطمة ، بنت سعد ، توفي سنة ٥٣١ .

ومنهم أبو عبد الله شافع ، بن عبد الرشيد ، بن القاسم الجيلي ، تفقه على الكيا ، والغزالي ، وسمع الحديث بالبصرة . روى عنه ابن السمعاني توفي سنة ٥٤١ .

ومنهم أبو عامر دغش ، بن علي ، بن أبي العباس النعمي الموفقي ، خرج الى طوس ، وأقام عند أبي حامد الغزالي مدة ، وأخذ عنه . توفي سنة ٥٤٢ .

ومنهم الاستاذ أبو طالب عبد الكريم ، بن على ، بن أبي طالب الرازي ، تفقه على الغزالي ببغداد ، والكيا محمد بن ثابت الخجندى ، روى عنه أبو النضر الفامى ، مؤرخ هراة ، وكان أبو طالب يحفظ الإحياء سرداً على القلب ، توفي بمرو سنة ٥٢٨ .

ومنهم الإمام أبو منصور سعيد ، بن محمد ، بن منصور الرزاز . ولد سنة ٤٦٣ وتفقه على الشاشي ، والغزالي ، والمتولي ، والطبري ، والكيا ، ودرس بالنظامية ، توفي سنة ٥٠٣ . وولده سعيد ، وحفيده سعيد بن محمد ، وحفيد حفيده سعيد بن محمد بن سعيد ، كلهم حدثوا ، ذكرتهم في شرح القاموس .

ومنهم أبو الحسن علي ، بن محمد ، بن حموية ، الجويني ، الصوفي، صحب الإمام الغزالي بطوس ، وتفقه عليه ، وروى الحديث عن عبد الغفار الشيروي .

ومنهم أبو محمد صالح ، بن محمد ، بن عبد الله ، بن حرازم ، لقيه بالقوس وصحبه ، واتفقت له معه غريبة حكاها الشهاب أحمد ، ابن عبد الله ، بن القاضي السبجلماسي ، في كتابه الأصلين .

ومنهم أبو الحسن علي ، بن المطهر ، بن مكي ، بن مقلاص الدينوري ، من كبار تلامذة الغزالي في الفقه ، وسمع الحديث من ابن البطر ، وطبقته ، روى عنه ابن عساكر ، توفي سنة ٥٣٣ .

ومنهم مروان بن علي ، بن سلامة ، بن مروان ، بن عبد الله ، الطنزي ، من قرية بدياربكر . ورد بغداد ، وتفقه بها على الغزالي ، والشاشي ، روى عنه ابن عساكر ، توفي بعد سنة ٥٤٠ .

ومنهم أبو الحسن علي ، بن مسلم ، بن محمد ، بن علي السلمي ، جمال الاسلام ، لازم الغزالي مدة مقامه بدمشق ، وأخذ عنه . يحكى أن الغزالي ، قال : بعد خروجه من الشام ، خلفت بالشام شاباً ان عاش كان له شأن يعني جمال الاسلام هذا ، فكان كما تفرس فيه .

وممن روى عنه الحافظ أبو القاسم ، بن عساكر . والحافظ السلفي ، وبركات الخشوعي ، والقاسم بن عساكر ، آخرهم وفاة القاضي عبد الصمد الحرستاني[1] .

ملاحظة : ويختم الزبيدي مقدمة الاتحاف بفصل عنوانه « من الاعتذار عن المصنف في إيثاره الرخصة والسعة في النقل والرواية وقد رأينا الاكتفاء بما أوردناه لصلته بسياق موضوع الكتاب .

---

(١) اكتفينا بتثبيت هذا الجزء من الفصل ومن أراد التوسع ، فليرجع الى مقدمة الاتحاف

الترتيب الزمني لمؤلفات الغزالي[١]

١ً — المرحلة الاولى (من ٤٦٥ – ٤٧٨ هـ) أي قبل وفاة إمام الحرمين :

١ – التعليقة في فروع المذهب

٢ – المنخول في أصول الفقه

* * *

٢ً — المرحلة الثانية (من ٤٧٨ – ٤٨٨ هـ) :

٣ – البسيط

٤ – الوسيط

٥ – الوجيز

٦ – خلاصة المختصر ونقاوة المعتصر ، أو الخلاصة في الفقه

٧ – المنتحل في علم الجدل

٨ – مآخذ الخلاف

٩ – لباب النظر

١٠ – تحقيق المآخذ

١١ – المبادىء والغايات

١٢ – شفاء الغليل

١٣ – فتوى (لابن تاشفين) – ٤٨٤ –

١٤ – الفتوى التيزيدية

١٥ – غاية الغور في دراية الدور (في المسألة السريجية) – ٤٨٤ –

---

(١) أكثره مستقى من كتاب بويج.. Essai de chrono lo gie وهويذكر هنا الكتب التي تحقق من تاريخ تأليفها ويشير الى باقي تصانيف الغزالي التي لم يتحقق من فترتها الزمنية تماماً

١٦ - تهافت الفلاسفة - ٤٨٨ -

١٧ - مقاصد الفلاسفة - ٤٨٧ -

١٨ - معيار العلم « بعد التهافت » وقبل سفره إلى دمشق

١٩ - معيار العقول ٤٨٧ - ٤٨٨ -

٢٠ - محك النظر في المنطق (٤٨٧ - ٤٨٨) ويذكر الذهبي أنه ألفه بدمشق.

٢١ - ميزان العمل (٤٨٧ - ٤٨٨) يخالف ذلك سليمان دنيا في كتابه الحقيقة عند الغزالي ويرى أنه ألف هذا الكتاب في آخر حياته.

٢٢ - المستظهري - ٤٨٨ -

٢٣ - حجة الحق ~

٢٤ - الاقتصاد في الاعتقاد - ٤٨٨ - (يخالف حنا فاخوري وخليل الجر في كتاب الفلسفة العربية فيريان انه ألفه عام - ٤٨٩ -

٢٥ - الرسالة القدسية في العقائد - ٤٨٨ - ٤٨٩ -

٢٦ - المعارف العقلية والأسرار الالهية - ٤٧٨ - ٤٨٩ -

٢٧ - قواعد العقائد - ٤٨٨ - ٤٨٩ -

★ ★ ★

٣ - المرحلة الثالثة « مرحلة العزلة (من ٤٨٨ - ٤٩٩)

٢٨ - إحياء علوم الدين بين ٤٨٩ و ٤٩٥

٢٩ - كتاب في مسألة كل مجتهد مصيب. كتبه في دمشق

٣٠ - جواب (الغزالي على مؤيد الملك بشأن دعوته للتدريس في نظامية بغداد ٤٩٤)

٣١ - مفصل الخلاف

٣٢ - جواب المسائل الأربع التي سألها الباطنية بهمذان

٣٣ ـ المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى ـ بين ٤٩٠ ـ ٤٩٥ كما يروي صاحبا الفلسفة العربية ـ

٣٤ ـ رسالة في رجوع أسماء الله الى ذات واحدة على رأي المعتزلة والفلاسفة

٣٥ ـ بداية الهداية (يحدد صاحبا الفلسفة العربيه وقت تأليفه بين ٤٩٠ـ٤٩٥)

٣٦ ـ الوجيز في صَفَر ٤٩٥

٣٧ ـ جواهر القرآن ـ ٤٩٥ ـ ٤٩٨ ـ

٣٧ ـ الأربعين في أصول الدين ـ وهو قسم من الجواهر كتبه في طوس بعد عودته

٣٩ ـ المضنون به على غير أهله ـ يرى ماسينيون ان المضنونين كتبا بين ٤٩٥ ـ ٥٠٥ ـ

٤٠ ـ المضنون الصغير

٣١ ـ كتاب الدرج المرقوم بالجداول ـ بين الجواهر والقسطاس ـ

٤٢ ـ القسطاس المستقيم ـ ٤٩٧ ـ

٤٣ ـ فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة ٤٩٧

٤٤ ـ القانون الكلي في التأويل

٤٥ ـ كيمياء السعادة (بعد الجواهر) ـ يحدد ماسينيون وقت تأليفه بين ٤٩٠ ـ ٤٩٥ ـ

٤٦ ـ أيها الولد ـ يرى صاحبا الفلسفة العربيه أنه ألفه في نيسابور سنة ٥٠٠ ـ

٤٧ ـ نصيحة الملوك ـ بعد عودته من الشام ٤٩٨ ـ ٤٩٩ ـ

٤٨ ـ زاد أخرة (فارسي)

٤٩ ـ رسالة الى أبي الفتح أحمد بن سلامة بالموصل ـ قبل ٥٠٠ ـ

٥٠ ـ الرسالة اللدنية

٥١ ـ رسالة إلى بعض أهل عصره

٥٢ ـ مشكاة الأنوار ـ قبل ٥٠٠ ـ

٥٣ ـ تفسير ياقوت التأويل

٥٤ ـ الكشف والتبيين في غرور الخلق أجمعين ـ حوالي ٤٩٠ ـ

٥٥ ـ تلبيس إبليس ـ إن صح أنه له ـ بعد الاحياء

* * *

٤ً ـ المرحلة الثانية من التعليم ـ بين ٤٩٩ ـ ٥٠٣ ـ

٥٦ ـ المنقذ من الضلال ٥٠١ ـ ٥٠٢

٥٧ ـ في عجائب الخواص

٥٨ ـ غاية الغور

٥٩ ـ المستصفى من علم الأصول (٦ محرم ٥٠٣ في نيسابور كاروي ابن الاثير)

٦٠ ـ سر العالمين و كشف ما في الدارين

٦١ ـ الاملاء على الاحياء ـ في نيسابور ٥٠٣ ـ

* * *

٥ً ـ السنوات الأخيرة : ـ من ٥٠٣ ـ ٥٠٥ ـ

٦٢ ـ الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة

٦٣ ـ الجام العوام عن علم الكلام ـ بين ٥٠٤ ـ ٥٠٥

٦٤ ـ منهاج العابدين (يقول محي الدين بن العربي إنه لابي الحسن على المسفر السبتي) والمستشرقون ينقسمون في نسبة هذا الكتاب له الى مؤيدين في نسبته له مثل جاردنر ، وجوش ، وأسين بالاسيوس ، ودوبور ، وشاكين في هذه النسبة مثل ماسينيون [١] .

---

(١) يرى ماسينيون ان كتاب منهاج العابدين كتب بين ٤٩٢ ـ ٤٩٥ ويرى كارادوفو في كتابه رأي بويج أنه كتبه آخر حياته .

ولم يشر ماسينون الى مدارج السالكين الذي يرى صاحبا الفلسفة العربية أنه كتبه في هذه المرحلة بين ٥٠٤ ـ ٥٠٥

أهم ما طبع من مؤلفات الغزالي

١ - إحياء علوم الدين :

يتألف من أربع مجلدات تتناول أربعة مواضيع : ١ - العبادات ٢ - العادات المهلكات ٤ - المنجيات . وهو اشهر كتب الغزالي وقد شرح واختصر من قبل كثير من العلماء ومن أهم الشروح « ابحاث السادة المتقين » للمرتضى الزبيدي .

٢ - الاربعين في أصول الدين :

وهو قسم من جواهر القرآن ويشبه في بحوثه علوم الدين ويتألف من أربعة أقسام : الأول في العلوم وأصولها وفيه عشرة فصول . الثاني في الأعمال الظاهرة وهي عشرة أصول . الثالث في تزكية القلب عن الاخلاق المذمومة وفيه عشرة أصول . الرابع في الاخلاق المحمودة وهي عشرة أصول .

٣ - آداب الصوفية :

رسالة صغيرة في الآداب الصوفية .

٤ - اسعاد الأمة (مختصر موعظة المتقين) :

من مواضيعه فضيلة التعلم والتعليم ، والكسب ، والحض عليه ، ووجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الخ .

٥ - الاقتصاد في الاعتقاد :

وهو في علم الكلام ويبدؤه بمبررات الخوض في هذا العلم وفرق الخائضين فيه ، وكيف أن البحث في هذا الموضوع يتطلب الحديث عن ذات الله ، ثم

صفاته ، ثم أفعاله ، ثم عن إثبات نبوة الرسول عليه الصلاة والسلام والتصديق بالعقل والسمع الخ ...

٦ **الجام العوام عن علم الكلام :**

ويتألف من ثلاثة أبواب :

الأول : في حقيقة مذهب السلف بالنسبة لصفات الله وأفعاله وذاته .

الثاني : في البرهان على أن الحق فيه مذهب أهل السلف .

الثالث : في فصول متفرقة من نفس الفن .

٧ - **الاملاء على مشكلات الاحياء** (الأجوبة المسكتة على الأسئلة المبهتة).

يرد فيه على بعض الاشكالات والانتقادات التي وجهت لكتاب الإحياء .

٨ - **الأدب في الدين**

مجموعة من الآداب الاسـلامية مثل آداب المؤمن بين يدي الله ، وآداب الواعظ والصوفي والناسك ، والولد مع الوالد ، والرعية مع السلطان الخ...

٩ - **أيها الولد :**

وهي رسالة صغيرة ولكنها من أهم تآليفه وسبب تأليفها أن واحداً من الطلبة الذين لازموا الإمام أراد أن يعلم منه أي العلوم أفضل له في عاقبته ، وقد بين له أن بعض مسائله لايجاب عليها بالكتابة والقول لأنهـا دقيقة والبعض يستقيم له الجواب وقد ذكره في الإحياء وغيره من كتبه ، ثم نصحه بثمانية أمور يأخذ بأربع منها ويدع أربعاً .

١٠ - **أسرار الحج :**

رسالة في الحج على المذهب الشافعي .

١١ ـ بداية الهداية :

مجموعة من الآداب الاسلامية والصوفية مثل آداب دخول المسجد والصيام واجتناب المعاصي الخ ..

١٢ ـ التبر المسبوك في نصيحة الملوك (عمدة المحققين وبرهان اليقين).

يُشكّ في نسبته اليه ، ويتضمن مجموعة من الآداب والحكايات . يتحدث فيه عن الإيمان وأصوله وفروعه ، وأصول العدل والانصاف، ثم يذكر مجموعة من الحكايات والحكم المنقولة عن ملوك فارس وحكمائهم ، ثم يستعرض سياسة الوزارة والوزراء والكتاب الخ ...

١٣ ـ الأوفاق :

يبدؤه بعد البسملة والاستعانة بالله فيقول « هذا وفق اسم اللطيف الثلاثي » وينهيه بقوله : وسيعلم الواقف لعمل هذه الدائرة الصحيحة الموجودة في هذا الكتاب تمت وبالخير عمت وصلى الله ... » وهو يحتوي على مجموعة استعمالات أسماء الله في قضاء المطالب والحاجات يشك في نسبة للغزالي .

١٤ ـ تنزيه القرآن عن المطاعن

١٥ ـ تهافت الفلاسفة :

من الكتب التي كان لها تأثير فاصل في الفكر الاسلامي ، يرد فيه على بعض الآراء الفلسفية . ويتألف من عشرين مسألة من مسائل الفلاسفة والرد عليها ، يكفرهم في ثلاثة منها ويبدّعهم في الباقية .

وقد شرح هذا الكتاب من قبل الكثيرين ، ورد عليه ابن رشد في كتابه « تهافت التهافت » .

١٦ - **جواهر القرآن** :

يتكلم فيه عن القرآن وعلومه وأنواعها .

ويتألف من ١٩ فصلاً منها : أن القرآن هو البحر المحيط المنطوي على أصناف النفائس ، وحصر مقاصد الكتاب وشرحها ، وكيفية انشعاب العلوم الدينية وسائر العلوم ، والتنبيه على الرموز تحت الالقاب ، وأسرار الفاتحة وآية الكرسي والإخلاص وحال العارفين ..

١٧ - **الحكمة في مخلوقات الله عز وجل** :

وهو في حكمة خلق جميع المخلوقات ، ومن أبحاثه : التفكير في خلق السماء والعالم ، وفي حكمة خلق الشمس ، والقمر ، والكواكب ، والارض ، والماء ، والهواء ، والنار ، والإنسان ، والطير ، والبهائم ...

١٨ **خلاصة التصانيف** :

ألفه بالفارسية وترجمه محمد أمين الكردي الى العربية.

١٩ - **الدرة الفاخرة في كشف علوم الاخرة** :

يتحدث عما يشعر به الانسان حين الموت ، ومايصير اليه بعده ،وعن أحوال القبر والجنة والنار..الخ..

٢٠ - **رسالة الطير** :

رسالة رمزية يهدف منها الى وجوب عدم الغرور ، والعودة الى كنف الله .

٢١ - **الرسالة القدسية بأدلتها البرهانية** :

أوردها في كتاب الإحياء ، في قواعد العقائد.

٢٢ - **رسالة في الوعظ والاعتقاد (الرسالة الوعظية)**

رسالة صغيرة تقع في حوالي ١٠ صفحات

٢٣ ـ الرسالة اللدنية

فيها شرح لمعاني النفس والروح والعلم الشرعي والعقلي وبيان طرق تحصيل العلم ومراتب النفوس في تحصيله .

٢٤ ـ روضة الطالبين وعمدة السالكين

فيها بعض الآداب الاسلامية وتقترب أبحاثها من أبحاث الإحياء،ومن أبوابها : أركان الدين ، معنى الأدب والسلوك والوصول ، والنفس والروح والقلب والعقل، الآفات وحيل الشيطان ، حسن الخلق ، الصبر ، والتوبة ..

٢٥ ـ سر العالمين و كشف ما في الدارين

في جهاد النفس والتدبير ،وفي الخضر والمنامات وحكايات الانبياء .

٢٦ ـ عقيدة أهل السنة

من قواعد العقائد في الإحياء .

٢٧ ـ فاتحة العلوم

في العلم وشرفه ، والتعلم والتعليم ، وشروط العلم والتعليم ..

٢٨ ـ فضائح الباطنية (المستظهري)

يرد فيه (بتكليف من الخليفة المستظهر) على ما أسماه « مجموعة حيل الباطنية» ويتحدث عن معتقداتهم في النبوات ويرد على فكرة « الامام المعصوم » ويفتي بتكفيرهم .

٢٩ ـ في جواب مسائل سئل عنها

نشرها Malter في فرانكفورت .

٣٠ - فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة

تظهر فيه حرية تفكير الغزالي وعدم استساغته التقليد المطلق ولذلك يبين أن مخالفة الامام الاشعري ليست كفراً وكذلك من خالف غيره من المذاهب ، ثم يتحدث عن حد الكفر ويعرفه بأنه « تكذيب الرسول في شيء مما جاء به »،ويعرف الايمان بأنه « تصديقه في جميع ما جاء به »

٣١ - القسطاس المستقيم

السبب في تأليفه مناظرة جرت له مع أحد الباطنية ، تحـــدث فيه عن أنواع القياس والبراهين والموازين العقلية ويربط هذا كله بآيات من القرآن الكريم ، كما يسرد فيه على فكرة الامام المعصوم .

٣٢ قواعد الطريق العشرة

يرد فيه قواعد الطريق الصوفي العشرة في رأيه : النية ، العمل لله بلا شريك، موافقة الحق ، الاتباع ، الهمة ، العجز والذلة ، الخوف والرجاء ،الورد ، المداومة على المراقبة ، علم يجب الاشتغال به ظاهراً وباطناً .

٣٣ - قواعد العقائد

هو نفس قواعد العقائد في كتاب الإحياء

٣٤ - الكشف والتبيين في غرور الخلق اجمعين

من جملة أبحاثه : تقسيم الخلق الى حيوان وغير حيوان،والحيوان الى مكلف وغير مكلف ، والمكلف الى مؤمن وكافر ، والمؤمن الى طائع وعاص وكل من الطائع والعاصي عالم وجاهل والغرور فيهم جميعاً ويكشف عنه في الرسالة ، ويعقد فيها فصلاً خاصاً عن غرور العلماء والصوفية .

٣٥ - كيمياء السعادة

يتكلم فيه عن النفس والقلب واللذة والسعادة ، ويشبه حديثه هنا حديثه في الإحياء عن عجائب القلب .

٣٦ - محك النظر في المنطق

في القياس ، وأنواعه ، وشروطه ، واليقين ، والاعتقاد ، وأصنافها .. الخ ..

٣٧ - المستصفى في أصول الفقه

وهو من أشهر كتب أصول الفقه .

٣٨ - مشكاة الانوار ولطائف الاخبار

وهو رسالة صوفية يبدو فيها التأثير اليوناني .

٣٩ - المضنون به على غير اهله

شك فيه ابن الصلاح وافقه على الشك فيه السبكي والزبيدي وغيرهما وعارضه آخرون والكتاب الموجود بين أيدينا بهذا الاسم ليس فيه مايدعو إلى الشك فيه وهو يتألف من أربعة اركان : الاول في معرفة الربوبية . الثاني في معرفة الملائكة . الثالث في حقائق المعجزات . الرابع في معرفة ما بعد الموت .

٤٠ - المضنون الصغير (الاجوبة الغزالية في المسائل الاخروية)

من أبحاثه : معنى قوله تعالى « فإذا سويته ونفخت فيه من روحي » ، ومعنى قوله ﷺ « إن الله خلق آدم على صورته » وقوله «من عرف نفسه فقد عرف ربه» ، وهل الأرواح حادثة مع الاجساد ، وقوله ﷺ « خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام » ثم بيان اللوح والقلم .

٤١ - معراج السالكين

وفيه سبعة معارج : في النفس وإثباتها ، وحدوث الاجسام والارادة ونور السماوات والأرض ومعنى النبوة والخير والموت .

٤٢ ـ منهاج العارفين

من أبوابه : البيان نحو المريدين « الخوف والرجاء والحب ». وسر الأحكام « أنواع رفع وفتح وخفض ووقف فرفع القلب »، وما يجب على المريد مراعاته « النية ، الشكر . . » الخ ...

٤٣ ـ معيار العلم في المنطق

يتكلم فيه عن مدارك العلوم ، والقياس وأنواعه و كتاب أقسام الوجود ،وهو على الجملة أربع كتب : القياس وفيه كتابان ، الحدود ، وأقسام الوجود .

٤٤ ـ مقاصد الفلاسفة

كتبه ليكون مقدمة لكتابه « تهافت الفلاسفة » وهو يعرض فيه لآراء الفلاسفة عرضاً موضوعياً فيرى أن علومهم أربعة :

أ ـ الرياضيات (لاتخالف العقل ولا تقابل بإنكار وجحد)

ب ـ الإلهيات (أكثر عقائدهم فيها على خلاف الحق)

جـ ـ الطبيعيات (الحق فيها مشوب بالباطل)

د ـ المنطقيات (أكثرها على منهج الصواب والخطأ منها نادر ومخالفتهم لأهل الحق بالاصطلاحات)

٤٥ ـ المقصد الأسنى في شرح اسماء الله الحسنى

والكتاب يتألف من فنين : الفن الأول في السوابق ، والمقدمات في اسماء الله والفن الثاني في المقاصد والغايات في شرف معاني اسماء الله .

٤٦ ـ مكاشفة القلوب

الحديث فيه عن النفس بالمعنى الصوفي وغير ذلك من المواضيع وهو مختصر من مكاشفة القلوب الكبير

٤٧ _ **مكاشفة القلوب الكبير**

يشبه كتاب الاحياء

٤٨ _ **منهاج العابدين إلى الجنة**

يشرح فيه العقبات في طريق الجنة : عقبة العلم ، والتوبة ، والشيطان ، والعوارض ، والبواعث ، والقوادح ، والحمد ، والشكر .. الخ ..

٤٩ _ **المنقذ من الضلال**

من أوائل الكتب التي يتحدث فيها المؤلف عن حياته الفكرية ويسميه الغربيون « اعترافات الغزالي » ويتألف من مقدمة ثم الحديث عن أصناف الطالبين « علماء الكلام ، الفلاسفة ،الباطنية، الصوفية ». وأهم مافيه الحديثعن فترة الشك التي مر بها وكيف انتهى إلى الايمان واليقين .

٥٠ _ **ميزان العمل**

مختصر في علم النفس ، وطلب السعادة التي لا تنال إلا بالعلم والعمل ، وبيان شرف العقل والعلم والتعليم .

٥١ — **معارج القدس في مدارج معرفة النفس**

وهو أكبر كتاب له في النفس إذ يتحدث عن تعريفها وما هيتها وأنواعها وفوائدها ... الخ ويقترب في آرائه من آراء ابن سينا والفلسفة اليونانية . شك بعض الباحثين في نسبة هذا الكتاب للغزالي ، وقدلاحظ آسين بالاسيوس أن الغزالي لم يحل عليه في كتبه كما هي عادته،واعتبر البعض أن هذه الملاحظة كافية للشك في الكتاب ولكن بويج يتردد في الشك فيه ، وأما سليمان دنيا في كتابه الحقيقة في نظر الغزالي فانه يفند آراء الذين يشكون في نسبة هذا الكتاب للغزالي .

٥٢ — **الوجيز في الفروع**

أخذه من البسيط والوسيط وهما له . وقد شرح من قبل الكثيرين .

من آثاره المخطوطة

١ ـ البسيط في الفروع في مكتبة « الاسكوريال » ودار الكتب المصرية (فقه)

٢ ـ البدور في أخبار البعث والنشور في دار الكتب المصرية (تصوف)

٣ ـ التجريد في علم التوحيد 〃 〃 〃 〃 (عقائد)

٤ ـ جامع الحقائق بتجريد العلائق 〃 مكتبة « الأسكوريال » (تصوف)

٥ ـ حقائق العلوم لأهل الفهوم 〃 〃 « باريس » (فلسفة)

٦ ـ رسالة في المؤاخاة في الله 〃 〃 المكتبة الأزهرية (أخلاق)

٧ ـ رسالة الموت 〃 〃 بلدية الاسكندرية (تصوف)

٨ ـ زهد الفاتح 〃 〃 المتحف البريطاني (〃)

٩ ـ شرح الصلاة على النبي (الصلاة للغزالي والشرح للشيخ احمد بن حاجي الفشني)
في دار الكتب المصرية (تصوف)

١٠ ـ شرح الغزالي على حديث « لا إله إلا الله » في المكتبة الأزهرية (عقائد)

١١ ـ غاية الغور في مسائل الدور 〃 المتحف البريطاني (فقه)

١٢ ـ فضائل القرآن 〃 دار الكتب المصرية (عقائد)

١٣ ـ في أسرار الربوبية 〃 المكتبة الازهرية (تصوف)

١٤ ـ مدخل السلوك إلى منازل الملوك في مكتبة « الاسكوريال » (〃)

١٥ ـ المعارف العقلية والحكمة الالهية في مكتبتي « باريس » و « أوكسفورد » (عقائد)

١٦ ـ المنخول في الاصول في دار الكتب المصرية (أصول الفقه)

١٧ ـ نور الشمعة في بيان ظهر الجمعة 〃 مكتبة « ليدن » (فقه)

١٨ ـ الوسيط المحيط بأقطار البسيط 〃 مكتبتي « مونش » وأوكسفورد ودار
الكتب المصرية (فقه)

أهم ماترجم من مؤلفات الغزالي الى اللغات الاخرى

إلى الاتينية :

ـ مقاصد الفلاسفة : Gundisalvi Venetie سنة ١٥٠٦

الى الافرنسية :

ـ الدرة الفاخرة : L. Gautier سنة ١٨٧٨

ـ المنقذ من الضلال : ترجم عدة مرات منها ترجمة Schmolders سنة ١٨٤٢ . وترجمة B. de Meynard . وترجمة اليونسكو

الى الانكليزية :

ـ كيمياء السعادة : ترجمة H. A. Homes سنة ١٨٧٢ . وترجمة C. Field سنة ١٩٠٨ .

ـ اعترافات الغزالي « المنقذ من الضلال » : ترجمة C. Field

الى العبرية :

ـ مقاصد الفلاسفة ترجمه اسحق البلخ . القرن الثالث عشر الميلادي وترجمة يهودا ناثان . القرن الرابع عشر الميلادي

ـ تهافت الفلاسفة : Jerahiak. lia Levy القرن الخامس عشر

ـ في جواب مسائل سئل عنها : H. Malter سنة ١٨٩٣

ـ مشكاة الأنوار : اسحق بن يوسف الفاسي .

كما ترجم الى التركية كتابا :

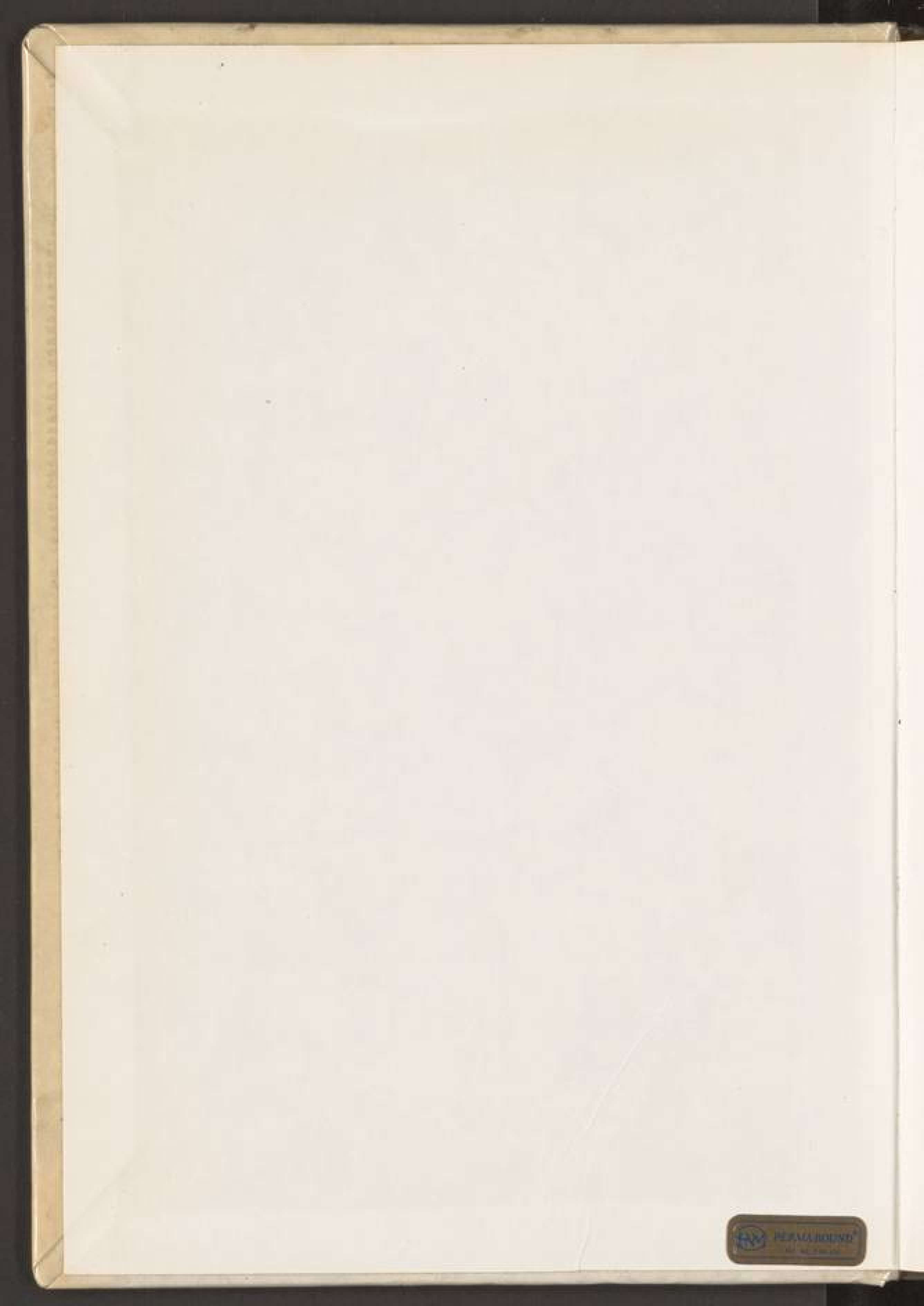
١ ـ نصائح الملوك (التبر المسبوك)

٢ ـ كيمياء السعادة .

فهـــرس

ملاحظة : ورد سهواً في رأس الصفحة (٤٩) الرقم ٩٤٩ فالرجاء حذفه كما أن هنالك بعض الهفوات التي وردت سهواً ولا تخفى على القارىء .

﴿ انتهى بعونه تعالى ﴾





دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر

دمشق : هاتف ١١٠٤١ - ص.ب ٩٦٢

وكيل التوزيع في بغداد

مكتبة المثنى

مطابع دار الفكر بدمشق
☎ ١١٠٤١

٢٥٠ ق.س